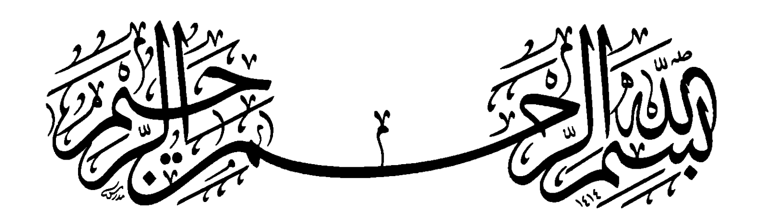


مَعرفَةُ الإمام
أُسس معرفة الإمام - علم الامام
الولاية التكوينيه - التعرف على المصادر
المجمع العالمى لمعرفة الشيعة و التشيع
الاستاذ الشيخ حسين الگنجي



# معرفة الإمام

## أُسس معرفة الإمام ـ علم الإمام ـ الولاية التكوينية ـ التعرف على المصادر

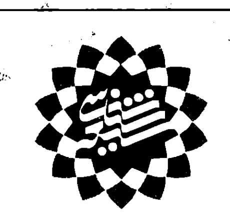





سماحة حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين الگنجي

المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيُّع

گنجی، حسین،
معرفه الإمام، اسس معرفه الامام، الولایه التکوینیه / التعرف فی المصادر / حسین الگنجی؛
[لـ] المجمع العالمی لمعرفه الشیعه والتشیع؛ ترجمه زکریا برکات درویش . - قم: آشیانه مهر،
۱۳۹۰
۳۵۵ ص.
ISBN 978-600-6164-05-2
فهرست نویسی براساس اطلاعات فیپا.
کتابنامه: ص. [۳۴۹] - ۳۵۵ ؛ همچنین به صورت زیرنویس.
عربی
۱. امامت _ بررسی و شناخت . ۲. امامت _ جنبه‌های قرآنی . ۳. علم امام. ۴. ولایت تکوینی.
۵. امامت _ کتابشناسی. الف. مجمع جهانی شیعه شناسی. ب. عنوان.
۲۹۷ / ۴۵
۶ م ۹ گ /۱۲ / ۲۲۳ BP



# المجمع العالمي المعرفة الشيعة والتشيع

قم-۴۵ متری عمار یاسر-پلاک ۹۰-ص‌پ ۶۴۴-۳۷۱۵۸ تلفن: ۷۷۱۳۷۷۳-۷۷۵۶۰۹۲ / دورنگار: ۷۷۱۳۷۷۴

شناسنامه کتاب

اسم الكتاب: ........................ معرفة الإمام
المؤلف: ........................ حجة الإسلام والمسلمين الشيخ حسين الگنجي
دراسة وإعداد: ........................ حجة الإسلام والمسلمين مجيد الفولادي
الترجمة: ........................ المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع
الناشر: ........................ آشيانه مهر
الطبعة: ........................ الأولى/١٤٣٢ هـ .ق
المطبعة: ........................ گلها
الكمية: ........................ ٣٠٠٠ جلد
السعر (سلفون، گالينگور): ........................ ٧٥٠٠ تومان
السعر (شوميز): ........................ ٥٥٠٠ تومان
شابك: ........................ ٩٧٨-٦٠٠-٦١٦٤-٠٥-٢






مجمع جهانی شیعه شناسی

THE WORLD CENTER FOR SHIITE STUDIES

المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع

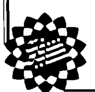


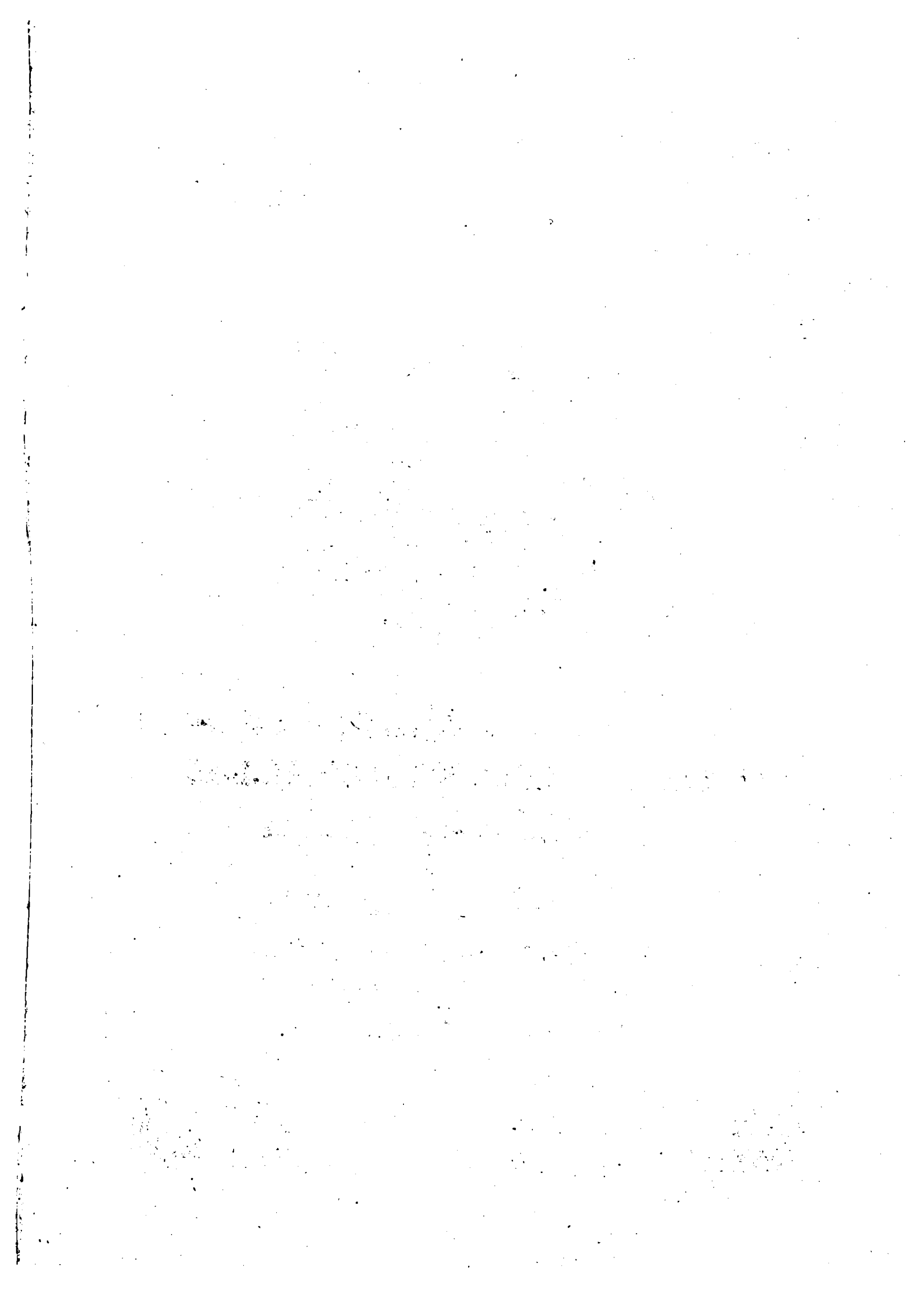
www.shiastudies.com

info@shiastudies.com

قم۴۵- متری عمار یاسر-پلاک -۹۰ص پ ۴۴۴- ۳۷۱۵۸

تلفن: ۷۷۵۶۰۹۲-۷۷۱۳۷۷۳ / دورنگار: ۷۷۱۳۷۷۴

# الإهداء

إلى الحبيب الغائب عن الأنظار..

الإمام الحي الحاضر، الذي ادَّخره الله تعالى..

بقية الله الأعظم عجَّل الله تعالى فرجه الشريف.

وإلى سيدة عشٍّ آل محمَّد، وكريمة أهل البيت..

مولاتي فاطمة المعصومة، التي تفضَّلَتْ علينا بالمُباركة والتسديد..

فعرفنا الإمام في جوارها الكريم.

***

## كلمةُ المَجْمَع العالمي لمعرفة التشيُّع والشيعة
## بقلم فضيلة الأستاذ الأنصاري البويرأحمدي

قال رسول الله صلى الله عليه وآله :

**«إنَّ الله جعل علياً وزوجته وأبناءَهُ حُججَ الله على خلقه، وهم أبواب العلم في أمَّتي، مَن اهتدَى بهم هُدِيَ إلى صراط مُستقيم»**[1].

إنَّ معرفة الإمامة والولاية مِنَ الضروريات الدينيَّة ، و أهمِّ الأسُس العقائدية في الإسلام .

جميع الأديان السماوية نادت بمبادئ : التوحيد ، و النبوة ، و العدل ، و المعاد . و تميَّزَ الإسلام العظيم بخاتمية النبوة ، مع استمرار خطِّ الأنبياء من خلال الإمامة و الولاية المتجسِّدة في أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه و آله . و من المُؤسف أنَّ كثيراً من المُسلمين في غفلة عن هذا الأصل الديني المُهمّ[2].

---

(١) أخرجه الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» : ج١ ص٥٨ ، ط. بيروت . وانظر : الرحماني الهمداني، ***الإمام علي بن أبي طالب*** عليه السلام، ص١٦ ، والسيِّد هاشم الحسيني، ***بوستان معرفت***، ص٥٨ ، والسيِّد صادق الشيرازي، ***أهل البيت في القرآن الكريم***، ص٤٣، ط. بيروت ، والسيِّد محمد هادي الميلاني، ***قادتنا كيف نعرفهم***، ج٣ ص٣٤، ط. بيروت ، والسيد صادق الشيرازي، ***علي في القرآن***، ج١ ص٩٢ وج٢ ص٤٤، ط. بيروت .

(٢) قربانعلي محقق الأرزگاني، ***امامان شيعه از ديدگاه اهل سنت*** (فارسي، ترجمة العنوان: **أئمَّة الشيعة في نظر أهل السنة**) ، ص٣٠ ، منشورات المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيُّع .

بالدراسة و التحقيق العلمي الاستدلالي في متون الآيات الكريمة و الروايات الشريفة ، ننتهي إلى أنَّ الإمامة و الولاية تمثِّل محوريَّة و ركناً أساساً في الدين الإسلامي بعد التوحيد والنبوة ، و أنَّ البشرية لا تخلو أبداً من الحضور المبارك للإمام[١].

**و من المواضيع المُهمّة و الأساسية التي يجب البحث و التحقيق حولها، بل و توضيح الزوايا المبهمة منها، هي خلافة الرسول صلى الله عليه وآله، و مبحث الإمامة و الولاية[٢].**

إنَّ ثمَّةَ حاجةً مَاسَّة إلى تأسيس تخصُّص علميٍّ لمعرفة الإمام ؛ بُغيةَ التبيين المُمنهج، والرُّقِيِّ بمُستوى الدراسات من حيث العلميَّة و الاختصاص، فيما يرتبط بالإمامة التي هي أحد أركان الدين الإسلامي .

و مبحث الإمامة ، كتخصُّص علمي ، يتوفَّر على الملاك و المناط و المبادئ الأساسيَّة ، و يُمثِّل مصدراً مهمًّا لمعرفة الحقيقة[٣].

إنَّ الإمامة من أصول العقائد . و **معرفة الإمام** ، و التحقيق و الدراسة فيما يرتبط

(١) ﴿**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...**﴾ [الإسراء : ٧١] . «الإمام» مشتقٌّ من (أَمَّ ـ يؤُمُّ) بمعنى : القائد ، والمُقدَّم ، والمقتَدَى ، والهادي ؛ على نحو تشمل إمامته جميع شؤون الدنيا والآخرة ، وتؤمِّن السعادة الأبدية .

(٢) الأستاذ عطائي الأصفهاني، ***الحجج البالغة في حقانية التشيع***، ص٢٢ ، المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع .

(٣) إنَّ بيان وكشف الحقيقة من جميع أبعادها الوجودية ، بما يشمل : الذات والصفات والأفعال والعبادات ، هو أمرٌ مُتعذِّر بدون الاستعانة بهداية الإمام .

بالإمامة في مدرسة التشيُّع، له امتداد تاريخي أصيل و واسع، و هو قديم بِقِدَم الإسلام نفسه[١].

إنَّ معرفة الإمام و الإمامة، هي من أهمِّ البحوث البُنيويَّة، و ممَّا يُمكن بيانُه و دراسته و تحقيقه و إثباته من منطلقات و زوايا و رؤى مختلفة، مِن قُرآنٍ، و تاريخٍ، و فقهٍ، و كلامٍ، و عرفانٍ، و معرفة... وغيرها.

و قد بلغت الإمامةُ في إطار التشيُّع مكاناً من الأهمِّية، بحيث سُمِّي الشيعة الاثنا عشريةُ بـ«**الإماميَّة**»[٢].

ونقرأ للشيخ المفيد قوله في هذا الصدد:

**«فأمَّا السِّمة للمذهب بالإمامة، و وصف الفريق من الشيعة بالإمامية، فهو عَلَمٌ على مَن دانَ بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان، و أوجب النص الجَلِيَّ والعصمة والكمال لكلِّ إمام، ثمَّ حصر الإمامة في ولد الحسين بن علي عليهما السلام، و ساقها إلى الرضا علي بن موسى عليهما السلام»**[٣].

و جملةُ القول: أنَّ التشيُّع قد تأسَّس على قاعدة الهداية التي تتجلَّى في إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام.. الإمامة التي ثبتت من طريق العقل والنقل[٤].

لقد اختار الشيعة لأنفسهم ـ في موضوع الإمامة والولاية ـ موقفَ التسليم

(١) عبد الجبار الرفاعي، *معجم ما كتب عن الرسول وأهل البيت*، برقم ١٣٠٥٩.

(٢) عبد الله فياض، *تاريخ الإمامية*، ص٧٣.

(٣) الشيخ المفيد، *أوائل المقالات*، ص٣٨.

(٤) في حين أنَّ مدرسة الخلفاء قائمة على أساس دعوى عدالة الصحابة.

إزاء آيات القرآن الكريم، و منها آيات الولاية، و موقفَ الانصياع و التعبُّد إزاء سنَّة النبي صلى الله عليه وآله، و موقفَ المُتّبع لأهل البيت عليهم السلام، مُلتزمين بمفاد الأدلَّة الشرعية، منقادين لنتائج الأدلَّة و البراهين.

إنَّ الأدلَّة التي استند إليها الشيعة في عقيدة الإمامة، كانت منذ القرون الثلاثة الأولى[1] قد بلغت نُضجَها المنطقي الاستدلالي، و صراحتها ووضوحها الدلالي، في حين لم يكن للمذاهب الأربعة[2] الأخرى عينٌ و لا أثر.

إنَّ ما وصَلَنا من أدلَّة عن القرآن و العترة، يؤكِّد ـ بمفهومه و منطوقه ـ وجوبَ التمسُّك بالولاية و الإمامة[3].

و من اللازم أن يمتلك طُلاَّب العلم معرفة متكاملة حول المسائل و الشبهات و الإشكاليات ذات العلاقة بموضوع الإمامة. و أن يكونوا، وبمنهج استدلالي صحيح ومستوعب و شمولي، أصحابَ دراية فيما يرتبط بضرورة وجود الإمام، و مقام الإمام و عظمته، و الآيات و الأحاديث المتعلقة بالإمام، و الارتباط الوثيق بين النُّبوّة و الإمامة، و كون الإمامة حُكماً إلهيّاً، و علمِ الإمام، و استمرار الإمامة في ذرِّية

---

(١) المقصود بالقرون الثلاثة الأولى: عصر حضور النبي صلى الله عليه وآله، وعصر الصحابة، وعصر التابعين.

(٢) المذاهب الأربعة هي: الحنفي، والمالكي، والشافعي، والحنبلي.

(٣) في «بحار الأنوار» (٢/٣٠٢) باب ٣٤، نقلاً عن «بصائر الدرجات» بسنده عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال بتفسير قوله تعالى ﴿...**وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ من سورة القصص: ٥٠، قال عليه السلام: «يعني من اتَّخذ دينه رأيه ﴿**بغير هُدًى**﴾ إمام من أئمّة الهدى».

النبي صلى الله عليه وآله، وأدلَّةِ العصمة، وعدم خلوِّ الأرض من الإمام في طول التاريخ، والتوسل بالإمام، والآثار المباركة لوجود الإمام... وغيرها من الأمور المرتبطة بالإمامة والإمام.

والإمام في عقيدة الشيعة ذو فضائل وصفات وخصائص مُهمَّة غير اعتيادية، ينفرد بها من بين سائر الخليقة[١].

بيدَ أنَّ بيان جميع الحقائق المرتبطة بالإمام، بحاجة إلى دراسات مُعمَّقة ودقيقة، تتوفَّر على الشمولية والاستيعاب، مع إلمام حقيقيٍّ بالتحليل العلمي وأساليب الاستنباط، إضافةً إلى دقَّة الملاحظة، وتحرِّي الحقِّ، والموضوعية مع علوِّ الهمَّة، إضافةً إلى الاطِّلاع الكامل على التاريخ الصحيح للإسلام.

لقد كانت البعثةُ النبوية ـ على صاحبها وآله آلاف الصلوات والتحيَّة ـ أكبرَ حادثةٍ في التاريخ البشري، ورسالتُه المقدَّسةُ فصلاً جديداً، وبداية تاريخيَّة مُهمَّة لسائر العالمين.

والذين يُمثِّلون استمرارَ خطٍّ هذا المشروع الإلهي العظيم بعد النبي صلى الله عليه وآله، هم الأئمَّة المعصومون عليهم السلام. وتثبيت واستحكام دعائم

---

(١) الشيعة تعتقد أنَّ الإمام أمين الله في أرضه وخلقه، وحجَّتُه على عبادة، وخليفته في بلاده. وهو الأعلم والأفهم بالدين، والأقرب والأتقى لله، وهو أفضل أبناء الجنس البشري. وهو ترجمان الحكمة والعلم الإلهي. والإمامة هي القيادة الشرعية بعد النبي. والإمامة أصل من أصول الدين. والإمام رئيس أعلى للمسلمين في جميع شؤونهم الدينية والدنيوية. والإمامة هي رمز الارتباط بين الخالق والمخلوق. ومن مَهامِّ الإمام أن يبيِّن الدين وأمر الله للعالم كله. فضلاً عن ضرورة أنَّ الإمام معصوم مصون من الخطأ والزلل.

الرسالة النبوية، إنّما يتحقّق عبر ولايتهم عليهم السلام.

إنّ لكلّ أمّة ذات حياة ملامحُ خاصة تحدّد هُويّتها المختصة بها. والأمر الذي هو خاصّة الإسلام الخالد، والذي شكّل هُويّته الخاصة، وحفظ ثقافته ووجوده من الاندراس، هو وجود الأئمّة عليهم السلام.

إنّ المُنصفين من علماء ومُفكّري العالم الإسلامي يقرُّون بأنّ الازدهار العلمي للمسلمين، سواء في ذلك السـنّة والشيعة، هو مدينٌ ـ بصورة مباشـرة أو غير مباشرة ـ لجهود أهل البيت عليهم السلام، فهم ـ عليهم السلام ـ وفي ضوء إحاطتهم العلمية التامّة والشاملة، عملوا على رَفد أُسس العلوم الإسلامية، من فقهٍ وحديث وتفسير... وغيرها، بالتأصيل، والتجديد، والتأثير البناء الذي لا يمكن الاستعاضة عنه.. بما حفظ أصالةَ الإسلام وحياتَهُ من الاندثار، وبما حصّن مسارَه من الانحراف.

إنّ مقام الإمامة وعظمتها لا ينحصران في مجال القيادة السياسيّة للأمّة، بل الإمامة مكمِّلةٌ لمسار النبوّة ومشروعها. والإمام ـ بالإضافة إلى كونه المبيِّن الكامل لحقائق الدين كتاباً وسنّةً ـ هو الحافظ لدين الله، وحجّةُ الله على عباده بعد النبي صلى الله عليه وآله.

وبغير الإمام، بل بغير التمسُّك بالإمام، وبغير المعرفة الصحيحة به، تبرز الانحرافات في العقائد الدينية؛ لأنّ الإنسان عُرضةٌ للخطأ والوقوع في المعصية والانحرافات من جهة، ومن جهة أخرى: سلسلة الأنبياء قد خُتمت، وفي ضوء ذلك: السببُ الوحيد للارتباط الآمن والموثوق بين الخالق والمخلوق، والطريق الوحيد الذي يمكن أن يؤمِّن الهداية بصورة قطعيَّة، هو الإمام عليه السلام. وبغير

ذلك لا تتحقّق الفلسفة والحكمة من الوجود وخلقة الأنبياء، وتخلو الأرضُ من الحجّة.

**«إنّ الأصول والأسُس في مذهب التشيع، ولا سيما في موضوع الإمامة ومعرفة الإمام، مأخوذةٌ من القرآن الكريم وسنّة النبي صلى الله عليه وآله، وسنّة أهل البيت الطيبين الطاهرين عليهم السلام. وهي في ضوء الأدلّة الكثيرة من العقل والنقل، تبتني على الاعتقاد بأنّ الإمامة تنحصر في الأئمة الأطهار من أهل البيت، بدءاً من الإمام عليٍّ عليه السلام، وانتهاءً بالإمام صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف»**[١].

وفي الواقع، وبالرغم من آلاف الكتب التي تمّ تدوينها في الموضوع، سواءٌ منها الكبيرة والصغيرة، والقديمة والجديدة، بالرغم من ذلك لا تزال أبعادٌ مهمّة من حياة وعظمة الأئمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ لم تبيّنْ وتعرف بالشكل الصحيح والمطلوب، وثمّة زوايا من الغموض لَمْ يتمّ تسليط الضوء عليها؛ ولذلك من الضروري أن تنصب جهودنا في معرفة الإمام والإمامة، بصورة مستوعبة وواقعية وموضوعية ومُعمّقة وشاملة وواعية، مع الاعتناء بجميع جوانب شخصيّة الإمام، مِن عظمة شخصيّة، ومن أقوال، ومن أفعال، ومن آثار وبركات.. بحيث نستطيع ـ بإذن الله تعالى ـ أن نقدّم للعالَم صورةً صحيحة ومعرفة متكاملة عن الإمام والإمامة.

وبناء عليه، وبمقتضى التكليف الشرعي، يلزم أن نقوم بمؤازرة جهود أهل العلم والذين يحملون همّ قضيّة الأمّة، بتأسيس وتعميم تخصُّص **(معرفة الإمام)**،

---

(١) الشيخ المفيد، ***أوائل المقالات***، ص٣٨.

و نعمل بذلك على دعم الجهود العلمية و العملية لثقافة و رسالة التشيُّع ، وذلك عبر التخطيط الدقيق و امتلاك الرؤية المستقبلية الواعية و العميقة .

و الكتاب الماثل بين يديك ـ قارئي الكريم ـ هو حصيلة دروس ألقيت على مدى سنة في موضوع **معرفة الإمام** ، من قِبَل المحقِّق الفاضل و الأستاذ القدير ، فضيلة الشيخ حسين الگنجي ، و ذلك في مدرسة آية الله البروجردي بمدينة قم المقدسة . فجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء ، و أدام الله توفيقاته .

و السلام عليكم و على جميع إخواننا المؤمنين في أقطار العالم ، و رحمة الله و بركاته .

**مدير المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيُّع**
**الأنصاري البويرأحمدي**

# مقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين ، والعاقبة للمتّقين ، ثمَّ الصلاة والسلام على سيِّد الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم المصطفى محمَّد وآله الطيبين المعصومين الطاهرين، سيَّما مولانا بقيَّة الله في الأرضين روحي وأرواح العالمين لتراب مقدمه الفداء. واللَّعن الدائم على أعدائهم إلى يوم اللقاء.

وبعدُ؛ فقد قال الإمام الصادق عليه السلام:

**«وَسِّعُوا صُدُورَكُمْ، وَلْتُبْصِرْ أَعْيُنُكُمْ، وَلْتَعِ قُلُوبُكُمْ؛ فَنَحْنُ حُجَّةُ اللَّه تَعَالَى فِي خَلْقِه، وَلَنْ يَسَعَ ذَلِكَ إِلاَّ صَدْرُ كُلِّ مُؤْمِنٍ قَوِيٍّ، قُوَّتُهُ كَقُوَّةِ جِبَالِ تِهَامَةَ»**[1].

إنَّ الإمامة من الأصول المسلَّمة للدين الإسلامي المبين، و**معرفة الإمام** من فروع مبحث **الإمامة**. وبعد أن يطَّلع المسلمُ ـ ولو بصورة إجمالية ـ على أصل **الإمامة**، يصل الدور إلى بحوث **معرفة الإمام**. وفي بحوث **معرفة الإمام** يتمُّ التطرُّق ـ بعدَ إثبات الإمامة ـ إلى مصاديق الإمام، وخصائصه، ومزاياه، ومقامات فضله وأفضليَّته.

## أهمِّية معرفة الإمام

أهمِّيةُ كلِّ علم وشرفه يُعرفان من خلال معرفة موضوعه، وكذا من خلال

---

(١) *بحار الأنوار*، ج٢٦، ص٢٧.

نتائجه والثمرة المترتِّبة عليه. وبتدبُّر الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة، وكذا الأدعية والزيارات المُسنَدة المُعتبَرَة، نصل إلى النتائج التالية فيما يرتبط بأهمِّية بحوث **معرفة الإمـام**:

١ ـ أنَّ الإمامة هي الثمرة المتوخَّاة من الرسالة النبوية على صاحبها وآله آلاف الصلوات والتحية، وهو ما يمكن إفادته من قوله تعالى: **﴿...بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾**[١].

٢ ـ أنَّ الإمامة هي الأجر المطلوب بإزاء الجهود المُضنية التي تحمَّلها النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ طيلةَ ٢٣ سنة؛ وذلك في ضوء قوله تعالى: **﴿...قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى...﴾**[٢].

٣ ـ أنَّ الإمامة هي الأصل الأصيـل والأساس لدين الإسلام. «**إِنَّ الإِمَـامَـةَ أُسُّ الإِسْلامِ النَّامِي**»[٣].

٤ ـ أنَّ معرفة الدين وحقائقه تتوقَّف على معرفة الإمام؛ وذلك في ضوء قوله تعالى: **﴿...وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[٤].

٥ ـ أنَّ سلوك سبيل الإمام لا بُدَّ منه من أجل الوصول إلى القرآن وتأويله وتفسيره وباطنه. «**والله إنِّي لأَعْلَمُ كتابَ الله مِن أوّلِه إلَى آخِرِه، كأنَّه في كفِّي...**»[٥].

---

(١) *المائدة*، من الآية ٦٧.

(٢) *الشورى*، من الآية ٢٣.

(٣) *الكافي*، ج ١، ص ٢٠٠، و *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ١٢٣.

(٤) *الرعد*، من الآية ٢٣.

(٥) *الكافي*، ج ١، ص ٢٢٩.

٦ ـ أنَّ السَّيْر إلى الله تعالى والسلوك إليه، لا يتحقَّق إلاَّ عن طريق وسبيل الإمام المعصوم. «**بنا عُبِدَ الله...**»[(١)].

٧ ـ أنَّ معرفة الإمام مقدِّمةٌ للتوحيد ومعرفة الله. «**مَن أرادَ اللهَ بدأ بكُمْ**»[(٢)].

٨ ـ أنَّ معرفة الإنسان بصورة حقيقية ومعمَّقة، إنَّما تتمُّ بمعرفة الإنسان الكامل، وهو الإمام المعصوم. «**عندي علمُ المَنَايا والبَلايَا و...**»[(٣)].

٩ ـ أنَّ الفقه والعرفان والأحكام والأخلاق... وغير ذلك، كلُّه يُعرَف ويُدرَسُ في طريق معرفة الإمام المعصوم. «**إنَّما العلمُ ثلاثةٌ...**»[(٤)].

١٠ ـ أنَّ عدمَ معرفة الإمام هو ما يُمهِّد لميتة الجاهلية والضلالة والكُفر والنِّفاق. «**مَن مَاتَ لا يَعْرِفُ إمامَه مَاتَ ميتةً جاهليَّة...**»[(٥)].

**وبكلمة موجزة**: إنَّ الإمامَ المعصوم يمثِّل محور عالم الوجود بأسره، من أقصى السماوات إلى أدنى الأرَضين. «**لو بقيت الأرض بغير إمام لساخت**»[(٦)].

وفي ضوء ذلك: لا بُدَّ أن يبتني العلم والمعرفة، وبالخصوص في الحوزات العلمية، على أساس ومحورية معرفة الإمام المعصوم بتمام صفاته وخصائصه، وبجميع أبعاد وزوايا شخصيَّته.

---

(١) ***الكافي***، ج ١، ص ١٤٥، ***وبصائر الدرجات***، ص ٦٤، ***وبحار الأنوار***، ج ٢٣، ص ١٠٢.

(٢) ***الكافي***، ج ٤، ص ٥٧٥، ***ومن لا يحضره الفقيه***، ج ٢ ص ٦١٥.

(٣) ***بصائر الدرجات***، ص ٢٠٢، وعنه: ***بحار الأنوار***، ج ٢٦ ص ١٤٨.

(٤) ***الكافي***، ج ١، ص ٣٢، ح ١، وعنه: ***بحار الأنوار***، ج٢٦ ص١٤٨.

(٥) ***الكافي***، ج ١، ص٣٧٧، ح٣، وللحديث ألفاظ أخرى، راجع: ***بحار الأنوار***، ج٢٣ ص٧٦.

(٦) ***الكافي***، ج ١، ص١٧٩، ح ١٠، وللحديث ألفاظ أخرى، راجع: ***بحار الأنوار***، ج٢٣ ص٢٨.

## ضرورة معرفة الإمام

ممَّا يُضاعف و يؤكِّد ضرورة **معرفة الإمام** ـ بالإضافة إلى مفاد الأدلَّة العقلية والنقلية الكثيرة ـ الإقبالُ المتزايد على مذهب أهل البيت عليهم السلام، وذلك مِن قِبَل أتباع مُختَلَف الأديان والمذاهب في العالم.

إنَّ **معرفة الإمـام**، وبالأخصِّ البحوث المرتبطة بالإمـام المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه، هي من الضرورية المتسالَم عليها في الحوزات العلميَّة للشيعة، وكذا في جامعاتهم وعند سائر الشيعة والمُحبِّين لأهل البيت عليهم السلام.

وممَّا يُضاعف أهمِّيةَ معرفة الأئمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ أضعافاً مُضاعَفةً؛ ما يمارسه المغرضون من دعاية إعلاميَّة تخريبيَّة، ومن إهانات صريحة لمُقدّسات الإسـلام، وبالخصوص فيما يرتبط بالخطِّ الإسـلامي الأصيل الذي يمثِّله ـ بحقٍّ ـ المذهب الاثنا عشري.

## منهج البحث

إنَّ طريقة البحث في دراسة **معرفة الإمـام** تبتني على الآيات والأحاديث. وبالإضافة إلى الإفادة من البحوث العقلية سنقوم بالإفادة من الأدعية والزيارات المعتبرة المُسندَة التي يمكن اقتناص التواتر اللفظي أو المعنوي منها.

لقد كان أحد الأساتذة يقول:

**في البدء عرضت لي شبهةٌ فيما يرتبط ببعض مسائل الإمامة، فقمتُ بالذهاب إلى آية الله السـيِّد المرعشي النجفيِّ ـ رحمه الله ـ وطلبتُ منه أن ينقذني، فتفضَّل بالقول: عليك بـ «الزيارة الجامعة الكبيرة». و بعد أن واظبتُ على**

**الزيارة الجامعة الكبيرة تبدَّدتْ جميعُ الشبهات، وبالإضافة إلى ذلك توصَّلتُ إلى معارف ومراتب أعلى وأسمى. وبناءً عليه: لا إشكال في الاستناد والاستدلال بمجموعة من الأدعية والزيارات المعتبرة**[١].

## موضوعُ درسِ معرفة الإمام

من الممكن ـ في درس **معرفة الإمام** ـ تناول مواضيع عدّة . وإن كان كثيرٌ من بحوث الإمامة ترجع إلى مباحث ثلاثة : العلم والعصمة والقدرة (الولاية التكوينية) ، ومع ذلك يمكن التناول المستقلّ لمباحث من قبيل : خلقة الإمام ،

(١) للتوسُّع: كتاب نسيم معرفت (شرحٌ للزيارة الجامعة) تأليف: الأستاذ حسين الگنجي دامت بركاته .

وقال العلامة المجلسي مُتحدّثاً عن الزيارة الجامعة الكبيرة : «**أصحُّ الزيارات سنداً، وأعمُّها مورداً، وأفصحُها لفظاً، وأبلغها معنًى، وأعلاها شأناً**» (بحار الأنوار، ج٩٩، ص١٤٤) . وقال آية الله السيِّد عبد الهادي الشيرازي ـ من المراجع البارزين في النجف الأشرف ـ : «**كأنَّه صدرت هذه الزيارة لتصحيح عقائدنا**» . وكان إمامُ الأمَّة (الإمامُ الخميني) ـ قُدِّس سرُّه ـ يواظبُ لما يقرب من ١٤ عاماً على الوقوف قرابة الساعة الكاملة كلَّ ليلةٍ بإزاء الضريح المقدَّس المنوَّر لمولى المتقين الإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ يزوره بهذه الزيارة الشريفة .

وحين ندرس الزيارة الجامعة الكبيرة ؛ نلاحظ أنَّ كلَّ فقرة وجملة ومقطع منها، يشهدُ بصحّة مضمونه العشرات من الروايات والأحاديث والزيارات الأخرى . وحين نضمُّ هذه الزيارة إلى زيارة «أمين الله» و زيارة «الجامعة الصغيرة» وغيرهما من زيارات الأئمَّة المعصومين عليهم السلام ، بالإضافة إلى «نهج البلاغة» و«الصحيفة السجَّاديَّة» ؛ فإنَّنا نحصل على التواتر المعنوي .

وكان المرحوم الشيخ عبدالكريم حامد يقول : «**لا يستطيع غير الأئمَّة المعصومين أن ينطق بمثل هذه الكلمات . إنَّ الزيارة الجامعة كلَّها توحيد ، ولا غلوّ فيها ؛ لأنَّها تنسب وتُرجع كلَّ شيء إلى الله تعالى: (معرفة الله) ، (بركة الله) ، (حكمة الله) ، (سرّ الله) ، (مرضاة الله) ... وغير ذلك**» .

والتوسُّل بالإمام، والشفاعة، والرجعة، والسِّيرة، وخصائص كلِّ إمام عليهم السلام، وكذا البحوث المرتبطة بالإمام المهدي المنتظر عجَّل الله تعالى فرجه الشريف.

والكتاب الماثل بين أيدينا هو مجموعة دروس في **معرفة الإمام**، تمَّ إلقاؤها في الحوزة العلمية بمدينة قم المقدسة، بجوار روضة السيِّدة فاطمة المعصومة سلام الله عليها، في مدرسة آية الله البروجردي رحمه الله تعالى. ألقاها الأستاذ القدير، والخطيب الألمعي، حجة الإسلام والمسلمين الحاج حسين الگنجي دامت بركاته، وذلك في العام الدراسي ١٣٨٤ ـ ١٣٨٥ هـ‍ش. وقد تضمّنت هذه الدروس بحوثاً حول مقدّمات دراسة معرفة الإمام، وعلم الإمام، وقدرة الإمام (الولاية التكوينية). وهذه البحوث مُستمرّةٌ في الوقت الحالي.

ويمكننا أن نقول ـ بغير مبالغة ـ: إنَّ الكتاب الماثل بين أيدينا قد حوى أكثر من ألف (١٠٠٠) نكتة في مجال معارف ومعطيات الإسلام الأصيل، الذي هو مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وغنيٌّ عن الذِّكر أنَّ القراءة الناقصة، أو الاكتفاء بالمطالعة لمَرّة واحدة، من شأنه ألاّ يلبِّي حاجة القارئ الكريم في تحصيل المعارف والنِّكات ذات الطابع الدقيق والعميق في هذا الكتاب. وما أروع ما قاله مولى المتقِّين الإمام عليٌّ عليه السلام! حين قال: «**لَنْ يُحْرِزَ الْعِلْمَ إلاَّ مَنْ يُطِيلُ دَرْسَهُ**»[1].

وفي الختام نتقدّم بالشكر الجزيل ونقدِّر الجهود التي بذلها الأعزاء الأفاضل الذين سعوا في إقامة وإنجاح هذه الدروس، ونخص بالذكر: حُجّة الإسلام

---

(١) *غرر الحكم ودرر الكلم*، ج٢، ص٥٩٠.

والمسلمين الشيخ الإسلامي ، وكذا حُجّة الإسلام والمسلمين الشيخ الأنصاري البويرأحمدي ـ زيدَ عزُّهم ـ، وبالأخص: فضيلة الأستاذ حجّة الإسلام والمسلمين الكنجي ـ دامت بركاته ـ، الذي أولى عناية فائقة باستمرار وإنجاح هذه الدروس، حتّى ألغى أسفاره التبليغيَّة في سبيل ذلك[١].

وكذا نشكر الأخ الفاضل حجّة الإسلام حاجي وند ، الذي قام بالمساعدة اللازمة في مراجعة الكتاب.

جزاهم الله خيراً، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

***

(١) كانت دروس **معرفة الإمام** تلبية لتوصيات السيِّد القائد آية الله العظمى الخامنئي مُدّ ظلّه العالي، التي وجّهها إلى مدير الحوزة العلمية، ومتابعة مجموعة من الطلاّب والفضلاء في الحوزة العلمية بقم المقدسة.

# الفصل الأوَّل

## الأُسُس الأوّليَّة لمعرفة الإمام

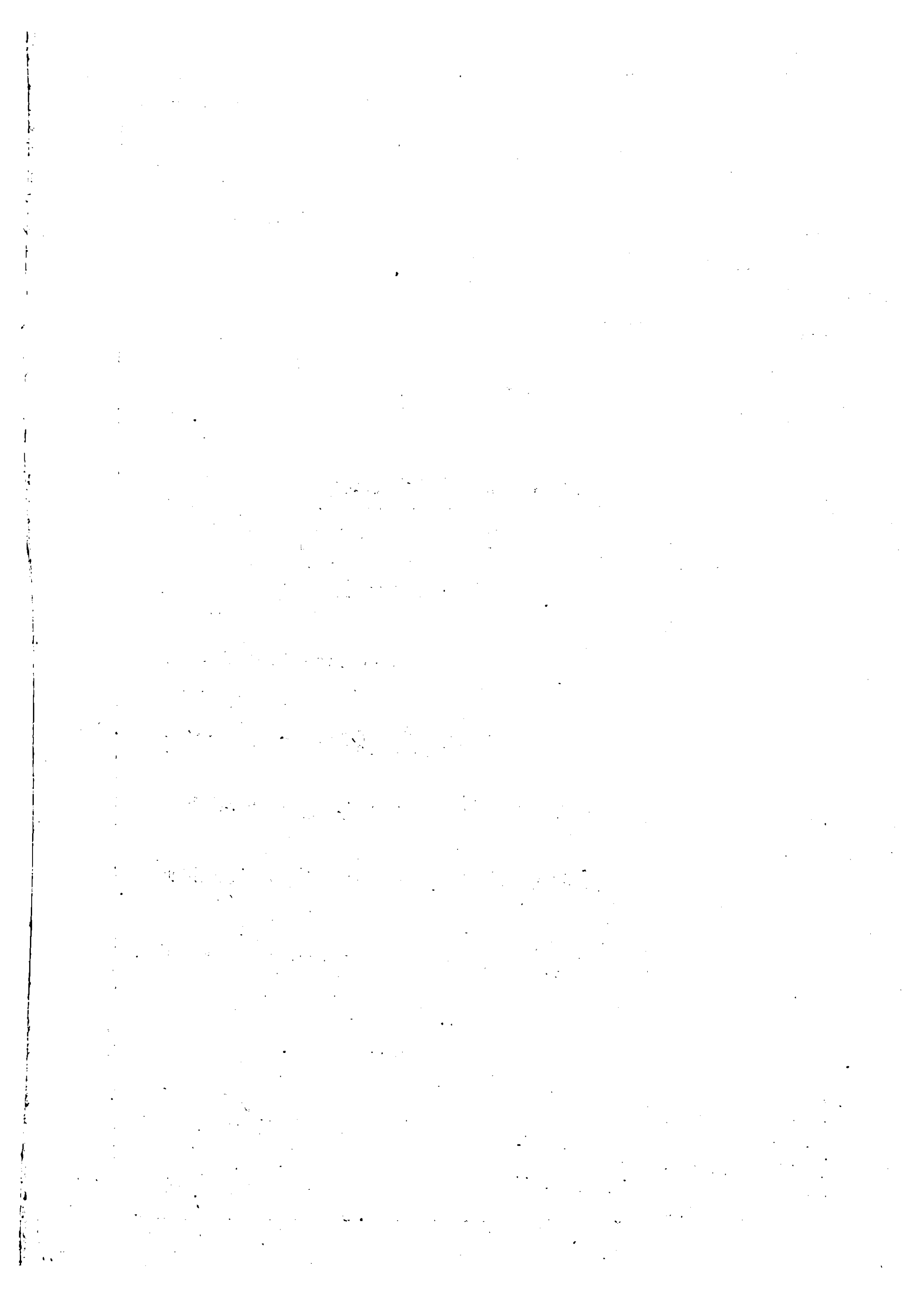
* مكانة الإمامة في الإسلام.

* الإمامة أصل الدين أم الدين كلُّه؟

* الانحراف عن الإمامة انحرافٌ عن الدين كلِّه.

* نقاط الاشتراك والتشابُه بين القرآن والعترة.

* أفضلية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من القرآن الكريم.



# الأسُس الأوّليّة لمعرفة الإمام

## * مكانة الإمامة في الإسلام

من الأسئلة الأساسيَّة في الموضوع : التساؤل عن مكانة الإمامة في تعاليم الدين الإسلامي المبين ؛ هل الإمامة من أصول الدين ، أم هي من أصول المذهب ، أم هي من فروع الدين؟

إنّنا من خلال نظرة إجمالية إلى مجموع الآيات والروايات والزيارات والأدعية القطعية الصدور و المعتمدة عند أساطين الدين ، نخرج بنتيجة مفادها أنَّ الإمامة من أصول دين الإسلام ، أمَّا القول بكونها من أصول المذهب فليس يستند إلى أيٍّ أصل قرآنيٍّ أو روائيٍّ ، بل هذا من البحوث التي ظهرت فيما بعد ، ومن دواعي الأسف الشديد أنَّه يتمُّ اليومَ في المدارس تعليمُ الطلاب أنَّ أصول الدين هي التوحيد والنبوة والمعاد ، وأمَّا العدل والإمامة فهما ـ على حدٍّ زعمهم ـ من أصول مذهب الشيعة[1].

---

(١) إنَّ أكابر المحدثّين من أمثال الشيخ الصدوق والعلامة المجلسي ... وغيرهما ـ رحمهما الله ـ ، وكذا أعاظم الفقهاء ، اتفقوا على عدِّ الإمامة من أصول الدين ، ولم يقبلوا تقسيم الأصول إلى أصول دين وأصول مذهب . وفي كتاب *پيام قرآن* (المجلد٩) تمَّ طرح هذه المطالب مشفوعةً بأدلّتها نقلاً عن كتاب *دلائل الصدق* للمرحوم المظفر ج٢ ، ص٨ . وكذا في كتاب *إحقاق الحق* ج٢ ، ص٢٩٤ ، حيث تمَّ طرح الكثير من الروايات والأدلّة على كون الإمامة أصلاً من قبل المرحوم القاضي نور الله التستري وآية الله السيد المرعشي النجفي . وقال سماحة السيد القائد ←

ومشهور علماء العامّة ـ إن لم نقل بإجماعهم ـ عدّوا الإمامة من فروع الدين، مع أنَّها ـ قطعاً ويقيناً ـ من أصول دين الإسلام، ولكن الأدق هو القول بأنهم لم يقبلوا الإمامة لا كأصل ولا كفرع؛ وذلك لأنَّ الإمامة التي قالوا بفروعيتها ليست هي الإمامة الربانية الحقَّة التي ثبتت بنصوص الكتاب والسنة، بل الإمامة الحقَّة لا يمكن أن يعتقد بها معتقدٌ وهو يدرك ويستوعب معناها ثم يتصور أنها ليست من أصول الدين.

وهنا نشير إلى بعض الأدلّة والبراهين الدالّة على أنَّ الإمامة من أصول الدين.

## أ. الآيات الكريمة

١. قال الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...**﴾[١].

هذه الآية ـ بقول علماء الشيعة والسنَّة[٢] ـ نزلت في حجَّة الوداع من أجل

---

الخامنئي ـ مُدَّ ظله العالي ـ فيما يرتبط بهذا الموضوع: «أهمّ مسألة أساسية في نطاق الدين: مسألة الولاية؛ لأنَّ الولاية تمثِّل دالَّةَ التوحيدِ وانعكاساً له. الولاية تعني الحاكمية المختصة بالله تعالى، والتي تصل من الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وآله، ومنه إلى وليِّ المؤمنين» [فصلية: *حصون*، عدد خاص بالحياة والفكر السياسي لسماحة السيد القائد، العدد ١٠، ص٦١، من محاضرة لسماحته بتاريخ ١٣٧٦/٢/٦ هـ ش].

(١) *المائدة*، من الآية ٦٧.

(٢) كان السابقون من علماء العامّة مجمعين على القول بأنّ هذه الآية مع حديث الغدير وردا في شأن ولاية وإمامة الإمام عليٍّ عليه السلام، وفيما بعد قام عدّةٌ من علمائهم ـ تبعاً لأسباب معينة ـ بالتحريف في هذا المجال.

تعيين الإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ لمنصب الإمامة وخلافة رسول الله صلى الله عليه وآله .

**إنَّنا نتساءل:** ما هو السرُّ في قول الله تبارك وتعالى : إذا لم تبلِّغ الإمامة ، فإنَّك ما بلَّغتَ الرسالة؟

ولماذا لم يقل الله تعالى : **لَمْ تُبلِّغْ** (بالفعل المضارع) ، ولكن استعمل الفعل الماضي ﴿**فما بلَّغتَ**﴾ ؟

إنَّ السرَّ في جميع ذلك يكمن في أنّ ماضي الرسالة وحاضرها يتوقفان على الإمامة ؛ فمن غير الإمامة لا رسالة ، بمعنى ضياع الجهود التي بذلها النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ طيلةَ ٢٣ عاماً..

فبالرّغم من جميع المضامين السامية التي حملتها الرسالة العظمى والخاتمة للنبي الأكرم ، من توحيد ، ومعاد ، ومكارم أخلاق ، وأحكام وفرائض.. بالرغم من ذلك كلِّه يقول الله تعالى : إذا لم تكن الإمامة والولاية فإن جميع ذلك يتبدّد ويذهب سُدًى..

وبعد إبلاغ هذا الأمر السماوي المُهمّ يُنزِلُ اللهُ آيةً أخرى ، وهي قوله تبارك وتعالى : ﴿**...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأسْلامَ دِيناً...**﴾[1] .

إنَّ الله تبارك وتعالى جعل الإمامة مكمِّلةً للدين ، وخلاصةً لتمام النِّعَم ، ويعتبر الإسلام ـ ببركة الإمامة ـ ديناً قد بلغ حدّ الكمال . وبناءً عليه نقول : كما

(١) *المائدة* ، من الآية ٣ .

أنَّ التوحيد جزءٌ مهمٌّ وأصل رئيس، وكما أنَّ النبوّة ركنٌ ركين في الإسلام، فإنَّ الإمامة مُكمِّلةٌ ومتمِّمةٌ لهما، بحيث إذا انتفى هذا الركن المتمِّم، فإنَّ المُجتمع يجمد بلا حراك، ويفقد حركتَهُ صوبَ الكمال المنشود. إنَّ الإمامة بمثابة المحرِّك لمركبة ما، بحيث إذا تمَّ إلغاؤه، تكون النتيجة أن يحدث الخلل والعطل في حركيَّة التوحيد والنبوة[١].

ولذا وقف خاتم الأنبياء ـ صلى الله عليه وآله ـ بكلِّ صلابة واقتدار؛ ليبلِّغ ما أنزل إليه من ربِّه، فقال: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَهذا عَلِيٌّ مَوْلاهُ**»[٢].

٢. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الأسْلامُ...**﴾[٣].

ومعنى الآية: أنَّ من قَبِلَ بالإسلام ديناً، فهو المسلم وذو الدِّين.

---

(١) يقول البروفسور هنري كربن ـ المفكِّر الفرنسي الشهير ـ: إنَّ ديانة اليهود قالوا إنّ النبوة ـ التي هي ارتباط حقيقي بين الله والإنسان ـ قد خُتمت بنبيٍّ الله موسى، وتوقّف المسيحية عند عيسى، وأهل السنة أيضاً توقّفوا عند القول بخاتمية الرسالة المحمدية، ولم يعتقدوا من بعدُ بالارتباط بين الخالق والمخلوق. وكان مذهب الشيعة هو الوحيد الذي اعتقد بأنّ الولاية والإمامة هي استمرارٌ للنبوة، واعتقدوا أنّ ذلك الارتباط المتكفل بالهداية والتكامل احتفظ وللأبد بحياته واستمراريته بعد رحيل النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. انظُر كتاب: *سيره پيشوايان*، ص٧٢٢.

(٢) ولآية الله الآراكي ـ رحمه الله ـ في بحث (المولوية) بيانٌ متينٌ، حيث تفضّل بالقول: «بنحو القطع واليقين نقول: إنّ (المولى) في كلام رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ هو بمعنى القيادة والولاية، ولو كان بمعنى المحبة لكانت الجملة خطأ؛ بمعنى: من كنتُ أنا مُحبَّه، فعليٌّ أيضاً لا بدَّ أن يكون مُحبَّه؛ فهذه الجملة تكليف للإمام عليٍّ عليه السلام، لا للناس. ولو كان النبي بصدد بيان تكليف الناس بالمحبة لعليٍّ، لكان يُفترض أن يكون التعبير: **من كان مولاي فليكن مولى عليٍّ**». انظر: *تفسير القرآن والعقل*، ج١، ص٥٤٩. *أصول الكافي*، ج١، ص٢٩٥.

(٣) *آل عمران*، من الآية ١٩.

وقال الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ في تفسير هذه الآية:

**«التسليم لعليٍّ بن أبي طالب عليه السلام بالولاية»**[١].

٣. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الأسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٢].

وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: **«غير التَّسليم لولايتنا»**[٣].

٤. قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾[٤].

وقال الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ: **«بولاية أمير المؤمنين»**[٥].

٥. قال الله تعالى: ﴿...فَلا تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[٦].

وقال الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ:

**«في قراءة عليٍّ عليه السلام: فلا تموتُنَّ إلاَّ وأنتُم مُسلِّمون الوصيَّةَ لرسول الله والإمام بعدَه»**[٧].

---

(١) *بحار الأنوار*، ج٣٥، ص٣٤١.

(٢) *آل عمران*، الآية ٨٥.

(٣) *بحار الأنوار*، ج٢٢، ص٣٥٨.

(٤) *الماعون*، الآية ١.

(٥) *بحار الأنوار*، ج٢٣، ص٣٦٧.

(٦) *البقرة*، من الآية ١٣٢.

(٧) *بحار الأنوار*، ج٢٣، ص٣٥٨.

**النكتة (١)** : القرآن الكريم في أيِّ بيت نزل؟

في المَثَل السائر: «**أهل البيت أدرى بما فيه**». والمصداق الأتمّ والأكمل لهذا المثل هم السادة المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام، الذين نزل القرآن الكريم في بيتهم الشريف، وهم الذين يحيطون بالتفسير والتأويل الواقعي لآيات القرآن الكريم.

وفي ذلك قول الشاعر:

**بآل محمَّد عُرِفَ الصوابُ وفي أبياتهم نزل الكتابُ**[1]

**النكتة (٢)** : لماذا تمَّ التعبير عن كلِّ الدين بالولاية؟

مع ملاحظة أنَّ الدين هو عبارة عن مجموعة من العقائد والأخلاق والعبادات والأحكام؛ يبرز التساؤل عن السبب الذي دعا إلى تفسير الدين بخصوص الولاية دون ما عداها من أركان الدين التي لم تتمّ الإشارة إليها في هذا القبيل من الروايات؟

وفي سبيل الإجابة عن ذلك نقول:

**أوّلاً**: إنَّ الإمامة هي ضمان بقاء الدين بأكمله، والانحراف عن الإمامة يوجب الانحراف عن جميع أجزاء الدين، وهو ما ستتمُّ الإشارة إليه في البحوث المقبلة.

**ثانياً**: لقد تلقّى العالم الإسلامي بالقبول عقيدةَ التوحيد والنبوة والمعاد والعمل

---

(١) نسبها الشيخ عباس القمي ـ رحمه الله ـ إلى عمرو بن العاص. انظر: ***الفصول العلية في فضائل أمير المؤمنين***، ص٦٢.

بالأحكام ـ ولو بصورة إجمالية ـ، ولم يتمّ بأيَّة صورة التشكيك والمناقشة في هذه الأمور.. وإنَّما وقعت المناقشـة في الإمامة والولاية ؛ ولذا كان هدف الأئمَّة المعصومين عليهم السلام أن يعرِّفوا العالمَ الإسلامي بالإمامة والولاية، ويقولوا: إنَّ الإمامة أيضاً من أركان الدين الإسلامي المبين ، ومتمِّمةٌ له . أو بتعبير أفضل: كانوا بصدد أن يقولوا : إنَّ الإمامة من أصول الدين وليست من أصول المذهب أو فروع الدين .

**ب . الروايات الشريفة**

١ . قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ : «**إنَّ اللهَ جَعَلَ ولايَتَنَا ـ أهلَ البيتِ ـ قُطْبَ القرآنِ وقُطْبَ جميعِ الكُتُبِ...**»[١] .

**القطبُ:** الحديدة القائمة التي تدور عليها الرَّحَى[٢]، وله ثلاث وظائف رئيسة:

**الأولى:** تمنع حجر الرَّحى من الانحراف عن المركز، ومن دونه ينفلت الحجر من موقعه بمجرّد إتمام الدورة الأولى .

**الثانية:** من دون القُطب لا يمكن الإفادة من الرَّحى، ولا يتيسَّر طحن الحنطة .

**الثـالثة:** يتموقع القُطب في مركز الرَّحى ، لا في طرف منها ، ويؤدِّي دوراً محوريًّا ، بحيث يمثِّل محورَ دوران حجر الرَّحى[٣] .

---

(١) *تفسير العياشي*، ج١، ص٥، ح٩ . وعنه: *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٢٧ .

(٢) *لسان العرب*، مادّة «قطب» .

(٣) يقول الإمام عليٌّ عليه السلام في الخطبة الثالثة من نهج البلاغة ، المعروفة بالخطبة الشقشقية : **«أمَا والله لقد تقمَّصها فلان ، وإنه ليعلم أنَّ محلي منها محل القُطب من الرَّحى...»** .

وبالتدبُّر في المثال المضروب أعلاه؛ يمكننا أن ندرك الدّورَ المهمّ والأساس لأهل البيت عليهم السلام.

٢. قال الإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ: «**فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ**»[١].

إنَّ القرآن الكريم يتضمّن جوانب مختلفة، من عقيدة وأخلاق و أحكام.. ومن الواضح أنَّ الجانب العقائدي يمثِّل جذور الأخلاق والأحكام، والجانبان الأخيران هما وليدا الجانب العقائدي.. **إذاً**: العقائد ذات دور مُهمٍّ ومحوري. **وبناء عليه:** لا بُدّ من إنزال الإمامة والولاية في أحسن منازل القرآن، وهي منزلة المسائل العقائدية، فإنَّ آيات القرآن الكريم، وإن كانت جميعها محترمة مقدَّسة، تتفاوت فيما بينها من حيث منازل الشرف والكرامة. ويُطلق على الآيات المهمَّة والأساسية في القرآن الكريم: **الآيات الكريمة**[٢].

٣. قال الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ الإمامةَ أُسُّ الإسلام النَّامي...**»[٣].

٤. قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**لكلِّ شيء أساسٌ، وأساسُ الإسلام حبُّنا أهلَ البيت**»[٤].

٥. قالت فاطمة الزهراء ـ عليها السلام ـ: «**...وطاعتَنا نظاماً للملَّة، وإمامَتنا أماناً من الفرقة**»[٥].

---

(١) *نهج البلاغة*، من الخطبة ٨٧.

(٢) يقول الإمام عليٌّ عليه السلام في الخطبة ١٥٤ من «**نهج البلاغة**»: «**فيهم كرائم القرآن**».

(٣) *الكافي*، ج١، ص٢٠٠، و *بحار الأنوار*، ج٢٥، ص١٢٣.

(٤) *الكافي*، ج٢، ص٤٦.

(٥) *بحار الأنوار*، ج٢٩، ص٢٢٣.

**النكتة (٣)** : التواتر اللفظي والمعنوي لروايات الولاية

إنَّ الأحاديث والروايات الدالَّة على إمامة ومحبَّة أهل البيت عليهم السلام مستغنية عن البحث والدراسة السَّنديَّة ؛ وذلك لأنَّها بلغت مرتبة التواتر اللفظي والمعنوي . وهي بالإضافة إلى ورودها في كتب الشيعة المعتبرة ، قد وردت وبصورة مكرّرة في الكتب المعتبرة لأهل السنَّة أيضاً ، سواءٌ بنفس الألفاظ والقوالب أو بنفس المعاني والمضامين .

وكَتَبَ العلاَّمة محمَّد تقي المجلسي ـ رحمه الله ـ :

**«والذي رأيت في فضائلهم أكثر من مائة ألف حديث، ورأيت كتاباً صنَّفه فاضلٌ من المُخالفين كان ضخماً يقرب من خمسين ألف بيت»**[(١)] .

***

## * الإمامةُ أصلُ الدِّينِ أَمِ الدِّينُ كلُّه؟

لقد أثبتنا في المقدِّمة الأولى أنَّ الإمامة من أصول الدين الإسلامي ، وأنَّها ـ من حيث الضرورة والأهمِّية ـ لا تختلف مع غيرها من الأصول (التوحيد ، النبوة ، المعاد) .

وفي هذه المرحلة من (الأسُس الأولية لمعرفة الإمام) نقول : إنَّ الإمامة هي كلُّ الدين ؛ بمعنى أنَّ انتفاء الإمامة من منظومة الدين يستلزم انتفاء الدين نفسه ، وبذلك يتحقق الانحراف على صعيد سائر أصول الدين ، بل فروعه أيضاً .

---

(١) *روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه* ، ج٨ ، ص٦٤٨ .

إنَّ ثمَّة الكثير من الروايات المتَّفق عليها بين الفريقين ، تتكفَّل بإثبات هذا الأمر ، كما أنَّ ذلك يثبت على صعيد الواقع العملي ؛ فإنَّنا حين نطالع بتدبُّر مسارَ ومنهجَ ودينَ الذين خالفوا أصلَ الإمامة ، ونقارن ونوازن بين عقائدهم وعقائد الشيعة ، نجد أنَّهم بسبب الانحراف عن خطٍّ الإمامة ، ضلُّوا حتى على صعيد الأحكام العمليَّة ، فضلاً عن ضلالهم على صعيد التوحيد والنبوة والعدل والمعاد .

ولإثبات ذلك نكتفي بالاستناد إلى أربعة أدلَّة ، هي على التوالي :

**١ ـ حديث الثقلين.**

**٢ ـ حديث السفينة.**

**٣ ـ حديث معرفة الإمام.**

**٤ ـ دعاء الغريق.**

## ١ ـ حديث الثقلين:

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ:

**«إنِّي تاركٌ فيكُم الثَّقَلَين (الثِّقْلَين) : كتابَ الله وعترتي، ما إن تمسَّكتُم بهما لن تضلوا أبداً، وإنَّهما لن يفترقا حتَّى يردا عَلَيَّ الحوض»** .

**النكتة (٤)** : حديث الثقلين والنكات المرتبطة به :

١ ـ حديث الثقلين ـ في نظر السنة والشيعة ـ من الأحاديث المتواترة . وقد أورده المرحوم السيِّد حامد حسين الهندي رحمه الله في كتاب «**خلاصة العبقات**» ، ج٢،

ص١٠٥عن ١٢٦ كتاباً من كتب أهل السنَّة. وأورده المرحوم السيِّد هاشم البحراني في كتاب «**غاية المرام وكفاية الخصام**»، ص ٢١١، من ٨٢ طريقاً شيعيًّا، و ٣٩ طريقاً سُنِّياً.

٢ ـ هذا الحديث صدر عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ في مناسبات وأماكن متعدِّدة، من جملتها: **يوم عرفة، وفي الجحفة، وفي مسجد الخيف، وحين عودته من الطائف، وفي غدير خُمٍّ، وفي المدينة، وفي مرض الوفاة**.

٣ ـ بلغ عدد رواة الحديث في جيل صحابة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ٢٦ راوياً، منهم: زيد بن أرقم، وأبو سعيد الخُدري، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحذيفة بن اليمان، وخزيمة بن ثابت (ذو الشهادتين)، وسهل بن سعد، وعبد الله ابن عباس، وأبو ذر الغفاري، وعدي بن حاتم، وعبد الله بن عمر.. وغيرهم.

٤ ـ في المصادر المعتبرة لأهل السنَّة توجد عبارات أخرى عن النبي الأعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ رويت بجانب هذا الحديث، ففي «صحيح مسلم» (٤/ ١٨٧٢) بعد ذكر هذا الحديث أنَّ النبي قال: «**أذكِّركم الله في أهل بيتي**». وفي «سنن الترمذي» (٣/٥): «**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**». وفي «المعجم الكبير» للطبراني (١٦٧/٥): «**فلا تَقَدَّمُوهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تُعلِّموهم فإنَّهم أعلمُ مِنْكُم**». وفي كتاب «الصواعق المحرقة»، ص٧٧: رواية أخرى فيها قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**هذا عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان**». وقد وردت الرواية بهذا المضمون في كلٍّ من: «منهاج السنة» لابن تيمية (٤/ ١٠٤)، و«المستدرك على الصحيحين» (١٠٩/٣)، و«المسند» لأحمد بن حنبل

(ص ١٨٢)، والنسائي... وغيرهم.

٥ ـ هناك مضامين دقيقة ونفيسة تُستفاد من هذا الحديث، والتي منها:

**١. أفضليَّة أهل البيت على الخلائق أجمعين.**

لا ريب أنَّ القرآن الكريم يفوق جميع الناس مرتبةً وفضيلةً، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ قُرناء القرآن ومفسِّروه أيضاً، والنبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ أيضاً قَرَنَ ذكرهم بالقرآن الكريم، ولو وُجِدَ في ذلك الزمان أو فيما بعدُ أناسٌ هم خيرٌ من القرآن أو العترة، لنوَّه بذكرهم النبي الأكرم؛ لأنَّه لا ينبغي للنبيِّ أن يترك الفاضل ويقرن ذكر المفضول بالقرآن الكريم.

**٢. احتياج الناس جميعاً إلى أهل البيت عليهم السلام.**

نظراً إلى إحاطة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بعلم القرآن وتفسيره، فإنَّهم ذوو إحاطة بجميع العلوم، وسائر الناس محتاجون إليهم، وليس بوسع أحد ما عدا القرآن وأهل البيت أن يتولَّى هداية وقيادة البشر.. كما أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يعلمون ظاهر القرآن وباطنه، ومُطلقه ومقيَّده، ومُحكمَه ومُتشابهه، وناسخه ومنسوخه، وعامَّهُ وخاصَّهُ، وتأويلَهُ وتنزيلَهُ..

وبما أنَّ أيَّ قَولٍ لا يكون ذا رصيد من الحُجيَّة إلاّ بعد أن يستمدّ مصداقيَّته من الكتاب والسنَّة، فإنَّ النبيَّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ أمرَ بالتمسُّك بكليهما (الكتاب والعترة).

**٣. استغناء أهل البيت بصورة تامَّة عن الناس جميعاً.**

كما أنَّ القرآن لا يصدر عن البشريَّة وعلومها، بل هو مُستغنٍ عنهم تماماً، فإنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أيضاً مستغنون تماماً عن الناس.

إنَّ التاريخ خير شاهد على أنَّ جميع الناس ، حتّى أعداء أهل البيت ، كانوا يلجؤون إلى أهل البيت من أجل العثور على الإجابة فيما أبهم وأشكل عليهم من أمر دينهم ودنياهم.. ولم يتحدَّث التاريخ ولو في جزئية واحدة عن رجوع أهل البيت إلى غيرهم.. وهو ما يدلُّ على استغنائهم التامّ عن الجميع .

إنَّ من الأدلَّة العقليَّة التي استند إليها الخليل بن أحمد الفراهيدي ـ من علماء الشيعة البارزين ـ في إثبات إمامة عليٍّ عليه السلام ، عبارتُه الرائعة حيث قال : «**استغناؤه عن الكُلِّ، واحتياج الكلِّ إليه، دليلٌ على أنَّه إمامُ الكلِّ في الكلِّ**»(١) .

ولذا لا يستطيع غير أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ أن يقول : «**سلوني قبل أن تفقدوني**»(٢) ، ومن اجترأ على دعوى ذلك من بعده ، فإنَّ جزاءه أن يفتضح في الملأ(٣) .

## ٤ . عصمة أهل البيت عليهم السلام.

لا ريب في أنَّ القرآن الكريم ـ الذي هو كلام الله تبارك وتعالى ـ مصون من كلِّ خطأ وباطل ؛ قال الله تعالى : ﴿**لا يَأْتيه الْبَاطلُ منْ بَيْنِ يَدَيْه وَلا منْ خَلْفه تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾(٤) . ولم يطعن أحدٌ من الشيعة أو السنَّة في عصمة القرآن الكريم .

---

(١) *الإمام علي بن أبي طالب* ، د. مهدي محبوبه ، ص١٣٥ ، نقلاً عن *عبقرية الإمام* ، ص١٣٨ .

(٢) *نهج البلاغة* ، الخطبة١٨٧ .

(٣) وقد ذكر العلامة الأميني في «الغدير» بعض الأشخاص الذين ادَّعوا ذلك فانفضحوا .

(٤) *فصلت* ، الآية ٤٢ .

وفي ضوء ذلك يلزم القول بعصمة أهل البيت عليهم السلام ؛ لأنهم قُرناء القرآن ، وإلاّ يمكن أن يتعارض كلام أهل البيت مع القرآن الكريم، في حين أنَّ النبيَّ الأعظم ـ صلى الله عليه وآله ـ بيَّن في هذا الحديث أنَّ القرآن وأهل البيت ـ جنباً إلى جنب ـ يضمنان هداية البشر وعدم انحرافهم ؛ فيلزم من ذلك ضرورة أن يكون كلاهما مصوناً من أيٍّ نوع من الخطأ، وإلاّ لما صحَّ أن يقرن النبيُّ بينهما فيضع أهل البيت بجانب القرآن .

إنَّنا نعتقد أنَّ الله تعالى حين قال : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ...**﴾[1] ، فقرن طاعة رسوله بطاعته هو تبارك وتعالى، وقرن طاعة أولي الأمر بطاعة رسوله ، فإنَّ ذلك يدلُّ على أنَّ الامتثال يستند إلى وحدة وارتباط نوعي بين الأوامر، سواء كانت صادرة من الله أو من رسوله أو من أولي الأمر.. على خلاف رأي **العامَّة** حيث يتصوّرون أنَّ **(أولي الأمر)** عنوان يمكن إطلاقه على أيِّ حاكم كيفما كانت خصائصه، ولو كان ممَّن يرتكب مخالفة أوامر الله ورسوله . إنَّنا نعتقد أنَّ أولي الأمر لا بدَّ أن يكونوا أناساً لا تؤدِّي طاعتهم إلى مخالفة شيء من تعاليم الله ورسوله .

### ٥ . إحاطة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بعلم القرآن الكريم.

إنَّ اقتران أهل البيت بالقرآن في حديث الثقلين، مرجعه إلى أنَّهم ذوو إحاطة بعلم القرآن الكريم ، وتفسيره وتأويله.. إنَّ الله تبارك وتعالى حين تحدَّث عن علم **«آصف بن برخيا»** وإحضاره عرش بلقيس عند النبي سليمان ، قال تبارك وتعالى : ﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ...**﴾[2] .

---

(١) *النساء*، من الآية ٥٩ .

(٢) *النمل*، من الآية ٤٠ .

أمَّا حين ذكر القرآن الكريمُ علمَ الإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ، فإنه قال تعالى: ﴿...وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1]. وهذا دليل على أنَّ علم الكتاب كلِّه، لا جزء منه، هو عند عليٍّ عليه السلام.

**٦. أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هُم خُلفاء الله ورسوله. (إنِّي تاركٌ)**

النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ هو خليفة الله تعالى، وبما أنَّ القرآن والعترة هما خليفتا رسول الله، فهما خليفتا الله تبارك وتعالى أيضاً.

**٧. انحصار الإمامة في أهل البيت عليهم السلام. (عترتي)**

إنَّ حديث الثَّقلين يحدِّد الإمامة والخلافة في إطار أهل البيت عليهم السلام، **وبناء عليه**: ليس في الخلافة نصيب لبني أمية أو بني العباس أو بني تميم.. أو غيرهم.

**٨. الهداية تحصل بالتمسُّك بأهل البيت عليهم السلام. (ما إن تمسكتم بهما لن تضلُّوا)**

إنَّ التصديق بمرجعيَّة القرآن وأهل البيت عليهم السلام، والتمسُّك بهما، هو ما يمكن أن يضمن تحقُّق الهداية والأمن من الضلال؛ لأنَّ القرآن وأهل البيت (معاً) هما الضمان الحقيقي لذلك.. لا أن يقول قائل: «**حسبُنا كتاب الله**».

**٩. عدم خلوِّ الأرض من حجَّة إلى قيام الساعة. (وإنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)**

النبيُّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ يؤكِّد أنَّ الافتراق بين القرآن والعترة

---

(١) *الرعد*، من الآية ٤٣.

مُنتفٍ بصورة مطلقة إلى يوم القيامة، فكما أنَّ القرآن وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ يُمثِّلان حقيقة واحدة، ولا يفترقان بعضهما عن بعض، فإنَّ الأرض لا تخلو أبداً من حجَّة الله ـ تعالى ـ التي تتمثَّل في القرآن وأهل البيت، ويبقيان متلازمين جنباً إلى جنب حتَّى قيام الساعة.

**١٠. عدم التمسُّك بهما يوجب الوقوع في الضلالة. (ما إن تمسَّكتُم بهما لن تضلُّوا)**

حين يكون التمسُّك بالقرآن والعترة، موجباً الهداية؛ فإنَّ عدم التمسُّك بهما يوجب الوقوع في الضلالة، وهو ما يُستفاد من مفهوم الشرط في قوله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**ما إن تمسَّكتُم بهما**»[1].

إنَّ عند دراسة حديث الثقلين المسند الصحيح عند الفريقين، مع التدقيق على الجانب الدلالي فيه منطوقاً ومفهوماً، نقف على النقاط التالية:

١ ـ أنَّ القرآن والعترة لا يفترقان بعضهما عن بعض في أيِّ مسألة أو موضوع.. فكلُّ ما ينطق به القرآن الكريم، فذاك هو قول أهل البيت عليهم السلام، وكلُّ ما ينطق به أهل البيت، فذاك هو مضمون القرآن الكريم ومفادُه.

٢ ـ أنَّ الحديث صريحٌ في إثبات ضلالة كلِّ من خالف أصل الإمامة.

٣ ـ مضافاً إلى ضلالة المخالفين، يوضِّح الحديث انحراف أولئك الذين لا يتَّبعون القرآن والعترة، أو يعتمدون إزاءهما موقفَ التَّجاهُل واللاَّمُبالاة.

---

(١) تمَّ تناول المداليل والنكات التي يمكن إفادتها من حديث الثقلين في كتاب *مصباح الهداية إلى الولاية* للمرحوم آية الله البهبهاني، ص٨٢، وكتاب *پيام قرآن*، ج٩، ص٧٥ نقلاً عن *خلاصة عبقات الأنوار*، ج٢، ص٢٨٥.

وبعد استعراضنا للمضامين المستفادة من حديث الثقلين، نرى ضرورة أن نختتم ذلك بالإشارة إلى النكات التالية:

**النكتة (٥)**: أيُّهما الذي يكفي ويُغني عن الآخر؛ القرآن أم أهل البيت؟

يقول المولى محسن الفيض الكاشاني ـ رحمه الله ـ:

**إذا قال قائلٌ: القرآن يكفينا (حسبُنا كتاب الله)، فإنَّه قد انحرف، وأخذ بسلوك طريق الضلالة. ولكنَّ قائلاً إذا قال: إنَّ أهل البيت يكفوننا ويغنوننا، فليس بضال، وهو سالك طريقَ الهداية. والسبب في ذلك أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ حيثما حلُّوا، يحلّ القرآن الكريم، فإنَّ كتاب «نهج البلاغة» يُعبَّر عنه بـ(أخي القرآن)، وكذا تُسمَّى الصحيفة السجَّاديَّة بـ(أخت القرآن)؛ وذلك لأنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم المفسِّرون الحقيقيُّون للقرآن الكريم. أمَّا ذاك الذي يزعم أنَّه اكتفى بالقرآن الكريم، فإنَّه يقع في مأزق التفسير بالرأي، فيفسِّر القرآن الكريم بما يمليه عليه هواه، فيؤدِّي به ذلك إلى الضلالة والانحراف. إنَّ علاقة القرآن الكريم بأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هي علاقة (العموم والخصوص المطلق)؛ بمعنى أنَّه حيثما حلَّ ووُجد القرآن الناطق (أهل البيت)، فإنَّنا نقطع بحلول ووجود القرآن الصامت هنالك، ولكنْ حيث يحلّ ويوجد القرآن الصامت لوحده، فلا يتيسَّر استنطاقُه، ويفتقر إلى القرآن الناطق؛ فيفقد القرآن الصامت لوحده دورَه وفاعليَّته.**

**النكتة (٦)**: «سُنَّـتي» أم «عتـرتي»؟

قد يُقال بكون حديث الثقلين بلفظ **«كتاب الله وعترتي»** معارضاً برواية **«كتاب الله وسنتي»**، فنجيب عن هذه الشبهة على النحو التالي:

**أوّلاً**: إنَّ رواية **«وسنَّـتي»** في كتب أهل السنَّة هي رواية آحاد ضعيفة من

جميع طرُقها ، ومدارها على مجموعة من الضَّعَفَة والكذابين[(١)].

**ثانياً**: القول باستحكام التعارض يضرُّ برواية «**وسنَّتي**»؛ لأنَّها ـ بالنظر إلى ضعفها وكونها من الآحاد ـ تسقط في مقابلة حديث «**وعترتي**» لكونه مَروياً من عشرات الطرُق، بالغاً بذلك مرتبة التواتر.

**ثالثاً**: لا منافاة بين السنَّة والعترة؛ فأهل البيت ـ عليهم السلام ـ كما يفسِّرون ويبيِّنون القرآن الكريم، فهم ـ أيضاً ـ مُبيِّنون ومفسِّرون للسُّنة النبويَّة الصحيحة.

### ٢ ـ حديث السفينة:

الدليل الثالث على أنَّ الإمامة أصلُ الدين وتمامُه[(٢)]: **حديث السفينة**. وهو قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ:

**«إنَّما مثلُ أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق [أو هلك]»**[(٣)].

هذا الحديث ـ من حيث السند ـ من الأحاديث المتواترة التي اتَّفق عليها الفريقان، وقد ذكر السيِّد حامد حسين ـ رحمه الله ـ في كتابه «عبقات الأنوار» تسعة وتسعين (٩٩) مصدراً، منها اثنتان وتسعون (٩٢) مصدراً من كتُب أهل

---

(١) انظر تفصيل ذلك في كتاب *«قرة العين بحديث الثقلين»* للشيخ زكريا بركات درويش.

(٢) بمعنى أنَّ الانحراف عنها هو انحراف عن الدين كلِّه.

(٣) ***بحار الأنوار***، ج٢٣، ص١٠٥. ***أمالي الشيخ الطوسي***، ص٦٠. ***عيون الأخبار***، ج٢، ص٢٧. ***الغيبة للنعماني***، ص٤٤.

السنَّة، ممَّن روى وقبل هذا الحديث الشريف. منها: «عيون الأخبار» لابن قتيبة الدينوري (٢١٢/١)، و«المستدرك على الصحيحين» للحاكم النيسابوري (١٥٠/٣)، و«ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي (٢٢٤/١)، و«تفسير روح المعاني» للآلوسي (٢٩/٢٥)، و«لماذا اخترت مذهب أهل البيت» لمحمَّد أمين الأنطاكي: ١٦٦... وغيرها.

وقد قام صاحب كتاب «شرح إحقاق الحق» في المجلد التاسع، ص ٢٧٠ فما بعدها، بدراسة مبسوطة فيما يرتبط بهذا الحديث الشريف، وسمَّى عدداً من الصحابة الذين رووا هذا الحديث، وهم: ابن عباس، وأبو سعيد الخُدري، وأبو ذر، و أنس بن مالك، و عبد الله بن الزبير، و عامر بن واثلة، سلمة ابن الأكوع... وغيرهم.

وقد رُوِيَ هذا الحديث في ثلاثين مصدراً من مصادر أهل السنة عن أبي ذر، وفي سبعة عن ابن عباس، وفي واحد عن أنس بن مالك، وفي عشرة عن ابن الزبير، وفي واحدٌ عن سلمة بن الأكوع، وفي اثنين وعشرين مُرسلاً.

ويقول ابن حجر الهيتمي عن هذا الحديث في «الصواعق المحرقة»، ص ٢٣٤ ما نصه: **«وجاء من طُرُق كثيرة يقوِّي بعضُها بعضاً...»**.

**النكتة (٧)**: وجوه تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح عليه السلام

بالتدقيق في دلالة هذا الحديث الشريف، ووجوه تشبيه أهل البيت عليهم السلام بسفينة نوح، مع مقارنة ذلك بالآيات والروايات، نحصل على النكات التالية النفيسة والجديرة بالاهتمام:

١ . أنَّه بعدَ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ سوف يحدث في أمَّته طوفانٌ وفيضانات عديدة ، وبيَّن الله تعالى ذلك في آيات من القرآن الكريم ، كقوله تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ...**﴾[(١)] .

ويجدر بنا أن نتساءل عن الأمر الذي ارتدَّ عنه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله؟

هل ارتدُّوا عن الصلاة ، أم الحج أم التوحيد أم المعاد؟

من الواضح أنَّهم لم يرتدُّوا عن شيء من ذلك ، وإنَّما انحرفوا عن مسار الإمامة والولاية ، وارتدّوا عن معاهدة غدير غمٍّ[(٢)] . ﴿**...وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[(٣)] .

إنَّه الأمر نفسه الذي وقع في قوم نوح.. ﴿**وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلاَّ مَنْ قَدْ آمَنَ...**﴾[(٤)] .

٢ . أنَّ النجاة من هذا الطوفان منحصرة في شيء واحد يمثِّل الملاذ والخلاص الوحيد ، وهم أهل البيت عليهم السلام ، تماماً كما كانت سفينة نوح عليه السلام هي الملاذ الوحيد من الطوفان بالنسبة إلى أمَّة نوح . ﴿**...قَالَ لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ...**﴾[(٥)] .

---

(١) *المائدة* ، من الآية ٥٤ .

(٢) وقد تمت دراسة هذه الآية بصورة مبسوطة في تفسير البرهان ، وكذا نور الثقلين ، والصافي ، وتفسير علي بن إبراهيم القمّي .

(٣) *آل عمران* ، من الآية ١٤٤ .

(٤) **هود** ، من الآية ٣٦ .

(٥) **هود** ، من الآية ٤٣ .

وفي الوقت الراهن، حيث الطوفان والفيضانات العديدة والأكثر عتوًّا، يمثّل أهلُ البيت عليهم السلام والارتباطُ بالولاية الملاذَ والطريق الوحيد للحصول على السعادة والنجاة.

ومن هنا نقرأ في الصلوات الشعبانيّة:

**«اللهمَّ صلِّ على محمَّد وآل محمد، الفُلك الجارية في اللُّجج الغامرة، يأمن من ركبها، ويغرق من تركها»**[1].

كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة:

**«وأمِنَ مَنْ لَجَأَ إليكُمْ»**[2].

وبناء على ذلك: لا نرتاب في ضلالة من يقول «حسبنا كتاب الله»، أو يختار غير أهل البيت عليهم السلام.

٣. مفارقة سفينة نوح عليه السلام أوجبت هلاك قومه، حتى ابنه لم ينجُ: **﴿...وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾**[3].

وكذلك مفارقة أهل البيت عليهم السلام، والابتعاد عن خطِّ الولاية، هو أيضاً يؤدّي إلى الهلاك، سواءٌ كان الابتعاد ناتجاً عن غلوٍّ، أو ناتجاً عن تقصير: **«المتقدِّمُ لهم مارقٌ، والمتأخِّر عنهم زاهقٌ، واللازم لهم لاحق...»** كما نقرأ في الصلوات الشعبانيّة.

---

(١) **_مصباح المتهجد_**، ص٨٢٨، **_إقبال الأعمال_**، ص٦٨٧.

(٢) **_من لا يحضره الفقيه_**، ج٢، ص٦١٣، **_التهذيب_**، ج٦، ص٩٧.

(٣) **هود**، من الآية ٤٣.

٤. كما أنَّ الجهود المضنية والكثيرة لنبي الله نوح عليه السلام، لم تتكلَّل بالنجاح إلاَّ على مستوى مجموعة قليلة معدودة آمنت برسالته ﴿...**وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ**﴾[1]، فكذلك بعد وفاة النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ لم يلتزم خطَّ ولاية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ سوى عدد قليل، كما جاء في الرواية: «**ارتدَّ الناس بعد النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ إلاَّ ثلاثة نفر**»[2].

٥. الإيمان كان الباعث على ركوب سفينة نوح، والكفار استنكفوا عن الركوب: ﴿...**يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ**﴾[3].

وركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام، مرتبط بالإيمان أيضاً، وأمَّا الذين يجحدون ويستنكفون عن الركوب فإنما هم الكافرون، قال تعالى: ﴿...**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾[4].

ومن هنا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة:

«**ومَنْ جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك، ومَن ردَّ عليكُم في أسفل دَرَكٍ من الجحيم**»[5].

٦. لقد كان صنع سفينة نوح بأمر الله تعالى ووحيه، وتحت عنايته تبارك وتعالى: ﴿**وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا...**﴾[6].

---

(١) **هود**، من الآية ٤٠.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٣٤، ص ٢٧٤.

(٣) **هود**، من الآية ٤٢.

(٤) *المائدة*، من الآية ٦٧.

(٥) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص ٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص ٩٧.

(٦) **هود**، من الآية ٣٧.

وكذلك كان صنع سـفينة أهل البيت عليهم السلام، بوحي من الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ...﴾[1].

فالإمامة والولاية بأمر الله وإذنه تبارك وتعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ...﴾[2].

٧. ركوب سفينة نوح كان كفيلاً بتأمين الجانب الإيماني والاعتقادي والمعنوي، بالإضافة إلى الحفاظ على الأنفس ﴿...وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلاقُو رَبِّهِمْ...﴾[3].

وكذلك ركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام؛ يصون من الانحرافات، ويعصم من العثرات التي تودي بالروح والجسم.

ومن هنا أمر الله تعالى بالاعتصام بحبله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا...﴾[4]، ففي روايات أن حبل الله هو القرآن وأهل البيت عليهم السلام، والسبب في أنَّ الله تعالى لم يقل (اجتمعوا) أو (اتحدوا)، بل قال ﴿اعتصـموا﴾: أنَّ الاعتصام يوجب العصمة. ومن هنا نقرأ في دعاء الندبة: «**وخلقته لنا عصمةً وملاذاً**»[5]، وفي الزيارة الجامعة الكبيرة: «**وهُدِيَ مَن اعتصمَ بكُمْ**»[6].

٨. من لم يركب سفينة نوح، فليس من أصحابه ولو كان ابنه.. ﴿قَالَ يَا نُوحُ

---

(١) *المائدة*، من الآية ٦٧.

(٢) *النور*، من الآية ٣٦.

(٣) **هود**، من الآية ٢٩.

(٤) *آل عمران*، من الآية ١٠٣.

(٥) *مفاتيح الجنان*، دعاء الندبة.

(٦) *مفاتيح الجنان*، الزيارة الجامعة الكبيرة.

﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ...﴾[١]، وكذا من لا يركب سفينة أهل البيت عليهم السلام، فليس يُعدُّ من أهل الإمامة والولاية، بل ولا يُعدُّ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي هذا السياق نقرأ قوله صلى الله عليه وآله ـ وهو آخذٌ بيد علي عليه السلام ـ: «**مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُحِبُّني ولا يُحبُّ هذا، فَقَدْ كَذَبَ**»[٢]. وقال الله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...**﴾[٣].

واتِّباع النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ مشروطٌ باتِّباع أهل بيته والدخول في ولايتهم وطاعتهم عليهم السلام، ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي...**﴾[٤].

٩. إنَّ الذين لم يركبوا سفينة نوح عليه السلام، كانوا ـ بالإضافة إلى كفرهم ـ ظالمين، قال تعالى: ﴿**...وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾[٥]. والذين لم يذعنوا لإمامة وولاية أهل البيت عليهم السلام، هم أيضاً ظالمون، ومن هنا نقرأ في زيارة عاشوراء: «**اللهمَّ الْعَنْ أوّلَ ظالم ظلم حقَّ محمَّد وآل محمَّد، وآخرَ تابع له على ذلك**»[٦].

١٠. إنَّ الهداية والرُّشد والسعادة، إنَّما تحقَّقت عبر ركوب سفينة نوح عليه

---

(١) **هود**، من الآية ٤٦.
(٢) ***عيون أخبار الرضا (ع)***، ج ٢، ص ٦٠، وعنه ***بحار الأنوار***، ج ٢٧، ص ٧٩.
(٣) ***النساء***، من الآية ٨٠.
(٤) ***آل عمران***، من الآية ٣١.
(٥) **هود**، من الآية ٣٧.
(٦) ***مفاتيح الجنان***، زيارة عاشوراء.

السلام ، والذين لم يركبوا كانوا ـ إضافة إلى كفرهم وظلمهم ـ من الفاسقين ، قال تعالى : **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾**[1] ، وكذلك الهداية والرشاد والسعادة ، جميعها إنَّما تتحقَّق بالارتباط بأهل البيت ، وركوب سفينتهم عليهم السلام . وفي هذا السياق نقرأ قوله صلى الله عليه وآله :

**«اجعلوا أهلَ بيتي منكم مكانَ الرأسِ منَ الجسد ، ومكانَ العينين من الرأس ، فإنَّ الجسد لا يهتدي إلاَّ بالرأس ، ولا يهتدي الرأس إلاَّ بالعينين»**[2] .

١١ . ركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام ليس مُقيَّداً بأمر دون آخر ؛ وذلك لأنهم معصومون . ولو كانوا غير معصومين لقيَّد طاعتهم وولايتهم كما قيَّدها في طاعة غير المعصوم[3] ، كتقييده لطاعة الوالدين حيث يقول تبارك وتعالى : **﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا...﴾**[4] .

وكذلك بالنسبة إلى نساء النبيِّ صلى الله عليه وآله ، حيث قال تعالى : **﴿...إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾**[5] .

وأمَّا بالنسبة إلى أهل البيت عليهم السلام ، فإنَّه تعالى يجعل الكلام مُطلقاً من غير تقييد ، فيقول تبارك وتعالى : **﴿...إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ**

---

(١) *الحديد* ، الآية ٢٦ .

(٢) *أمالي الشيخ الطوسي* ، ص ٤٨٢ ، وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٢٣ ، ص ١٢١ .

(٣) ومنه ما في وسائل الشيعة ، ج١٦ ، ص١٥٤ من قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ : **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»** .

(٤) *لقمان* ، من الآية ١٥ . وقريبٌ منه ما في سورة *العنكبوت* ، الآية ٨ .

(٥) *الأحزاب* ، من الآية ٢٨ .

**الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾**[(١)]، ويقول تبارك وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ...﴾**[(٢)].. ولم يرد في أيِّ رواية تقييد الأمر بطاعة أهل البيت عليهم السلام، ولو كانوا غير معصومين للزم ورود الأمر بطاعتهم مقيَّداً.

١٢. هذا الضمان للهداية والأمن من الضلال، هو على امتداد تاريخ العالم إلى قيام الساعة، ولذا فإنَّ النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «**مثل أهل بيتي**»، ولم يقل: (مثل علي عليه السلام)، وأهل البيت عليهم السلام موجودون إلى قيام الساعة.

وفي هذا السياق قولُ الإمام زين العابدين عليه السلام:

«**لولا ما في الأرض منَّا لساخت بأهلها**»[(٣)].

وفي عصرنا هذا يمثِّل وجودَ أهل البيت عليهم السلام الإمامُ صاحب الزمان أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

وهاهنا نشير إلى نكتتين:

**النكتة (٨)**: منطوق حديث السفينة

حديث السفينة بصدد بيان المضمونين التاليين:

**المضمون الأول**: أنَّ المتمسِّكين بالولاية هم أهل النجاة؛ «**من ركبها نجا**».

---

(١) *الأحزاب*، من الآية ٣٣.

(٢) *النساء*، من الآية ٥٩.

(٣) *كمال الدين*، ج ١، ص ١٠٧، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٣، ص ٥.

**المضمون الثاني** : أنَّ المتخلِّفين عن سفينة أهل البيت عليهم السلام، هم الغارقون في بحر الهلاك المعنوي والكفر والنفاق والفسق والفجور والظلم ؛ «**ومَنْ تخلَّف عنها هلك**».

ومن هذه الجهة يمكن القول بأنَّ حديث السفينة أقوى دلالةً من حديث الثقلين ؛ لأنَّ منطوق حديث الثقلين يفيد عدم ضلالة المتمسِّك بأهل البيت عليهم السلام، وأمَّا ضلالة المخالفين فنفيدها من دلالة المفهوم، وأمَّا حديث السفينة فإنَّه يدل بمنطوقه على كلا الأمرين، بلا حاجة إلى الاستناد إلى المفهوم.

**النكتة (٩)** : مُعطيات وفوائد حديث السفينة

١ ـ سلوك طريق النجاة والفلاح يتحقَّق ـ بالإضافة إلى المحبة ـ بالإذعان لولاية أهل البيت، وركوبِ سفينتهم عليهم السلام. وفي هذا السياق نقرأ الحديث القدسي عن الله تبارك وتعالى : «**ولاية علي بن أبي طالب حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي**»[(١)].

إنَّ محبَّة أهل البيت عليهم السلام، والتي عند بعض أهل السنة ومنهم الشافعية، لا تكون لوحدها مفتاحاً للفلاح، إلاَّ إذا كانت تنتهي بالمُحبّ إلى الإذعان للولاية.. وهذا ما يفسِّر لنا ما نقرأه في عدّة عبارات من الزيارة الجامعة الكبيرة، فمن ذلك : «**وفاز من تمسَّك بكم**»، ومن ذلك : «**فاز الفائزون بولايتكم**»، ومن ذلك : «**بموالاتكم علمنا الله معالم ديننا**». فالمعيار هي الولاية، وليس مُجرّد المحبة.

---

(١) *عيون أخبار الرضا (ع)*، ج ٢، ص١٣٦، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٣٩، ص٢٤٦.

٢ ـ الالتحاق بسفينة أهل البيت عليهم السلام، هو التحاق بخاصَّة عباد الله.. وليس بوسع كلٍّ أحدٍ أن يكون في زمرة عباد الله وعباد الرحمن، ما عدا من حظي بالولاية وكان من أهلها.

قال الإمام علي بن محمد الهادي عليهما السلام:

**«إذا حضرَ المؤمنَ الوفاةُ نادَى مُناد من عند الله: ﴿يا أيتها النفس المُطمئنَّة ارجعي﴾ راضيةً بولاء علي ﴿مرضيَّةً﴾ بالثواب ﴿فادخلي في عبادي وادخُلي جنتي﴾ فلا يكون له همَّة إلاَّ اللُّحوق بالنِّداء»**[1].

إنَّ سياق ﴿عبادي﴾ وكذا ﴿جنَّتي﴾ يحكيان عن الضيافة الإلهيَّة الخاصَّة التي يحظى بها شيعة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ دون سائر الخلائق.

٣ ـ قبول الأعمال عند الباري تعالى، هو ثمرة ركوب سفينة أهل البيت عليهم السلام، فإنَّ ختم الولاية لا بدَّ منه من أجل جواز صحيفة الأعمال، وبركوب سفينتهم المباركة تُختم صحيفةُ الأعمالِ بختم الولاية.

وفي هذا السياق نقرأ الرواية التالية:

**«عن الحارث بن المغيرة، قال: كنت عند أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ جالساً، فدخل عليه داخل، فقال: يابن رسول الله ما أكثر الحاج العام؟! فقال: إن شاؤوا فليكثروا وإن شاؤوا فليقلوا؛ والله ما يقبل الله إلاَّ منكم ولا يغفر إلاَّ لكم»**[2].

---

(١) *تفسير القمّي*، ج ٢، ص ٤٢١، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٦، ص ١٨٢.

(٢) *المحاسن للبرقي*، ج ١، ص ١٦٧، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٧، ص ١٨٥.

### ٣ـ حديث معرفة الإمام:

لقد أسلفنا أنَّ الإمامة ليست من أصول الدين فحسب، بل هي الدين كلُّه، والانحراف عنها هو انحراف عن الدين كلِّه، وهو ما تمَّت الإشارة إليه في دراستنا لحديث الثقلين.

ودليلنا الثاني على هذا الأمر: حديث معرفة الإمام، وهو قول رسول الله صلى الله عليه وآله: **«من مات ولم يعرف إمام زمانه ماتَ ميتةً جاهلية»**.

وهو حديث اتَّفق على روايته الشيعة وأهل السنة، على اختلاف ألفاظه التي نشير إليها فيما يلي:

١. بلفظ: **«من مات بغير إمام فميتته ميتة جاهليَّة»**، وذلك في مسند أحمد بن حنبل (٩٤/٤)، وسنن أبي داود (ص٢٥٩)، ومجمع الزوائد للحافظ الهيثمي (٢١٨/٥).

٢. بلفظ: **«من مات وليس عليه إمام مات ميتة جاهليَّة»**، وذلك في صحيح ابن حبان (٤٣٤/١٠)، والمعجم الأوسط للطبراني (٧٠/٦).

٣. بلفظ: **«من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليَّة»**. وذلك في صحيح مسلم (٢٢/٦)، والسنن الكبرى للبيهقي (١٥٦/٨)، والمعجم الكبير للطبراني (٣٣٥/١٩).

وقد قام القاضي نور الله التستري ـ رحمه الله تعالى ـ بسرد مصادر هذه الرواية في كتابه إحقاق الحق: (٢٩٦/١٢).

**النكتة (١٠)**: الدين بلا ولاية هو اللادين

من مجموعة هذه الروايات يُفهم أنَّ الولاية حين تُنتَقَص من منظومة الدين، فإنَّه يصير لاديناً، أي تتحقَّق الجاهلية بتمام معناها.

**النكتة (١١)**: دلالةُ **«مَنْ مَاتَ»**

عبارة **«من مات»** تفيد أنَّ الإنسان تتوفَّر لديه فرصة الاختيار إلى آخر لحظة من حياته، فإن شاء فليختر الميتة الجاهلية، وإن شاء فليستبصر ويرحل عن الدنيا وهو إسلاميٌّ متديِّن.

**النكتة (١٢)**: معنى الجاهلية

ليس المراد من الجاهلية في هذا الحديث الجهل بالإمام نفسه، أو الجاهلية بمعنى ما قبل الإسلام، بل المراد بذلك معنى أكثر تردِّياً وخطورةً؛ إذ المراد بذلك: الكفر والنفاق والضلالة.. فعن الحارث بن المغيرة قال:

**«قلت لأبي عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية؟ قال: نعم، قلت: جاهلية جهلاء أو جاهلية لا يعرف إمامه؟ قال: جاهلية كفر ونفاق وضلال»**[1].

وعن الإمام أبي الحسن موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ:

---

(١) *الكافي*، ج١، ص٣٧٧.

**«من شكَّ في أربعة فقد كفر بجميع ما أنزل الله عز وجل، أحدها: معرفة الإمام في كلِّ زمان وأوان، بشخصه ونعته»**[(١)].

إنَّا حين نتابع الواقع العملي، نلاحظ بحقٍّ أنَّ عدم معرفة الإمام يؤدِّي إلى مخالفة وإنكار الإمام، ونتيجةً لذلك: الخروج من الإسلام، والابتلاء بالكفر والنفاق، والاستغراق في لُجَج الضلالة والانحراف، ومغادرة الدنيا بدين غير دين الإسلام.

## ٤ ـ دعـاء الغـريق:

قال الإمام أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

**«اللهمَّ عرِّفني نفسَك؛ فإنَّك إن لم تُعرِّفْني نفسَك لم أعرفْ رسولَك، اللهمَّ عرِّفْني رسـولَك؛ فإنَّك إن لم تُعرِّفْني رسولَك لم أعرفْ حُجَّتَك، اللهمَّ عرِّفْني حُجَّـتَك؛ فإنَّك إن لم تُعرِّفْني حُجَّتَك ضَلَلْتُ عن ديني»**[(٢)].

وهذه الرواية ـ كما وردت عن الصادق عليه السلام ـ قد وردت أيضاً عن الإمام المهدي عجل الله فرجه، وهي تدلُّ على أنَّ عـدم معرفة الإمـام موجبٌ للضلالة عن الدين، ومؤدٍّ إلى ميتة الجاهلية؛ ولذا يتمُّ طلب معرفة الله تعالى، وفي ظلِّ ذلك معرفة الرسول صلى الله عليه وآله، وفي امتداد ذلك: معرفة الأئمَّة المعصومين عليهم السلام؛ تجنُّباً لميتة الجاهلية والانحراف عن الدين.

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٦٩، ص ١٣٥، *كمال الدين*، ج ٢، ص ٤١٣.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٣٣٧.

**سـؤالٌ:**

المستفاد من الآيات والروايات هو أنَّ الطريق إلى معرفة الله تعالى، هو معرفة الإمام، وأنَّ السبيل إلى الانتهال من فيض الله تبارك وتعالى، هم المعصومون الأربعة عشر.. وفي هذا السياق نقرأ في زيارة الجامعة الكبيرة: «**مَنْ أرادَ اللهَ بدأ بكُمْ، ومَنْ وحَّده قبل عنكُمْ، ومَنْ قصدَهُ توجَّهَ بكُمْ**»(١).

وبناءً عليه يُطرح هذا السؤال: كيف نوفِّق بين ما ذكرنا أعلاه، وبين ما ورد في هذا الحديث الشريف (الدعاء) الذي جاء فيه طلبُ معرفة الله قبل طلب معرفة المعصومين الأربعة عشر؟

**الإجـابة:**

إنَّ المعرفة لها مرحلتان:

**١ ـ المرحلة الابتدائية.**

**٢ ـ المرحلة الأكمل والأعلى.**

والمبتدئ الذي لا يزال في أوّل الطريق، يلزمه أن يعرف الله تعالى ولو بصورة مُجْمَلة، وحينئذ يتعرّف على أنبيائه وأوليائه؛ لأنَّ الأنبياء والأئمة والأولياء الربَّانيِّين، هم وسائط بين الله تعالى ومخلوقاته، ومن الواضح أنَّ المطلوب أوّلاً وابتداءً معرفةُ الله؛ حتَّى يصل الدَّورُ إلى الحديث عن رسُله وحُجَجِه الذين هم حَلَقةُ الوصل بينه وبين خَلْقِه. ودعاء الغريق يشير إلى هذه المرحلة من المعرفة.

---

(١) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

وبعد تحقُّق المرحلة الابتدائية للمعرفة، تؤدِّي معرفة أهل البيت عليهم السلام بتقديم معرفة حقيقيَّة هي الأعمق والأكمل فيما يرتبط بالله تبارك وتعالى، وكلَّما كانت المعرفة بأهل البيت عليهم السلام أوفـر وأعمق، أدَّت إلى معرفـة أكمل وأسمى بالله تعالى؛ لأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم الطريق الوحيد للوصول إلى الله تعالى.

## الإمامة في نظر الشـيعة

بعد أن عرفنا ـ بالاستناد إلى الآيات والأحاديث ـ أنَّ الإمامة من أصول الدين، وأنَّ المخالفين الجاحدين لأصل الإمامة خارجون عن الإسـلام الحقيقي، بعد هذا يلزم أن ندرس الإمامـةَ في نظر علماء الشيعة، ثمَّ ندرسـها في نظر علماء أهل السنة.

لقد قام الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ في كتابه «الاعتقادات» ببيان معتقد علماء الشيعة، وادَّعى الإجماع عليه أيضاً، فقال:

**«اعتقادنا فيمن جحد إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمَّة من بعده عليهم السلام، أنه بمنزلة من جحد نبوة جميع الأنبياء»**[1].

ومنكر النبوة في اعتقاد الفريقين خارجٌ عن الإسلام، والشيخ الصدوق يجعل إنكار الإمامة بمثابة إنكار النبوة. وبناء عليه: يكون إنكار الإمامة موجباً للكفر.

ثمَّ قال الشيخ الصدوق في الكتاب نفسه:

---

(١) *الاعتقادات للشيخ الصدوق*، ص ١٠٤، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٧، ص ٦١.

**«واعتقادنا فيمن أقر بأمير المؤمنين وأنكر واحداً من بعده من الأئمَّة أنَّه بمنزلة من أقر بجميع الأنبياء وأنكر نبوة محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم»**[١].

ونظراً إلى أنَّ الإمامة متمِّمةٌ للنبوَّة، وأنَّها تنحصر في اثني عشر إماماً من أهل بيتِ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، فبناء عليه: مَنْ يكتفون بقبول إمام واحد، أو إمامين، أو غير ذلك، فإنَّهم يلحقون بالكافرين؛ والسبب في ذلك أنَّ إنكار الإمامة ممَّا ينجرُّ إلى تكذيب وإنكار نبوَّة خاتم الأنبياء، والنبوة والإمامة هما حقيقة واحدة، والقبول بأحدهما دون الآخر باطل مردود، وموجبٌ للكفر.

كما أنَّنا نقرأ قول الإمام الصادق عليه السلام: **«المُنكر لآخرنا كالمنكر لأوّلنا»**[٢].
والمراد بـ**«أوّلنا»**: رسول الله صلى الله عليه وآله؛ ودليله قولهم: **«أوّلنا محمَّد...»**[٣].

ومن حديث الإمام الصادق عليه السلام: **«مَنْ شَكَّ في كُفر أعدائنا الظالمين لنا فهو كافرٌ»**[٤].

وكتب العلاّمة المجلسي ـ رحمه الله تعالى ـ:

إنَّ الدليل على كفر من يشك في كفر أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله، هو أنَّ كفر الأوّل والثاني أظهر من الشمس[٥]، ولا يحتاج إلى البرهنة والاستدلال، ومن شكَّ في ذلك ففي قلبه مرض.

---

(١) المصدر نفسُه.

(٢) *كمال الدين*، ص ١٤، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٨، ص ٣٦٦.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ٣، و ج ٣٦، ص ٣٩٩.

(٤) *وسائل الشيعة*، ج ٢٨، ص ٣٤٥، *وبحار الأنوار*، ج ٨، ص ٣٦٦.

(٥) *روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه*، ج ٥، شرح الزيارة الجامعة.

وقال الشيخ الصدوق ـ رحمه الله تعالى ـ :

**«واعتقادنا في البراءة أنها واجبة من الأوثان الأربعة، والإناث الأربع**[١]**، ومن جميع أشياعهم وأتباعهم، وأنهم شرُّ خلق الله عز وجل ولا يتم الإقرار بالله وبرسوله وبالأئمَّة عليهم السلام إلاَّ بالبراءة من أعدائهم»**[٢].

## الحكم الفقهي لمُنكري الإمامة

كان المتقدِّمون من علماء الشيعة يعدُّون الإمامة من أصول الدين ؛ ومن هنا كانوا يحكمون ـ في البُعد الفقهي ـ بنجاسة مُنكري ومُخالفي الإمامة. إلاَّ أنَّ المشهور بين المتأخِّرين أنَّ المخالفين للإمامة يُحكمُ عليهم بالإسلام والطهارة.

وقد قام المحقِّق البحراني (صاحب الحدائق) بتناول المسألة تحت عنوان «**حكم المخالفين**»، حيث تطرّق إلى أقوال من تقدّم وتأخّر من العلماء فيما يرتبط بحكم المخالف المنكر للإمامة، فقال:

**«المشهور بين مُتأخِّري الأصحاب هو الحكم بإسلام المخالفين وطهارتهم، وخصُّوا الكفر والنجاسة بالناصب، كما أشرنا إليه في صدر الفصل. وهو عندهم من أظهر عداوة أهل البيت عليهم السلام. والمشهور في كلام أصحابنا المتقدمين هو الحكم بكفرهم ونصبهم ونجاستهم، وهو المؤيد بالروايات الإمامية»**[٣].

---

(١) في الرواية أنَّ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ كان يدعو في تعقيب صلاته بلعن الأوثان الأربعة والإناث الأربع. انظُر: *تهذيب الأحكام*، ج ٢، ص ٣٢١.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٢٧، ص ٦٣، نقلاً عن *الاعتقادات* للشيخ الصدوق.

(٣) *الحدائق الناضرة*، ج ٥، ص ١٧٥.

وحينئذ يتعرّض المُحقِّق البحراني لبيان قول العلاّمة الحلِّي في كتاب «المنتهى»، والشيخ المفيد في «المقنعة»، والشيخ الطوسي في «التهذيب»، وابن إدريس في «السرائر»، والفاضل المازندراني في «شرح أصول الكافي»، والقاضي نور الله التستري في «إحقاق الحق»، والشيخ الصدوق في «معاني الأخبار»، والسيِّد المرتضى، رحمهم الله جميعاً.. وهم جميعاً قائلون بكفر المخالفين المنكرين للإمامة، ولا يعدّون مجرّد الشهادة بوحدانيَّة الله تعالى والشهادة برسالة النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ كافيتين لدخول الإسلام، والالتحاق بالمؤمنين[١]، إلاّ أن يلتزم المُقرّ بالشهادتين بجميع ما جاء به النبي عن ربه تبارك وتعالى، وأهمّ ذلك: الإمامة والولاية لأئمة أهل البيت الطاهرين سلام الله عليهم[٢].

وما ذهب إليه هؤلاء الأعلام هو مقتضى التحقيق، وهو ما استعرضنا نصوصه من القرآن والسنّة في البحوث السابقة، وهي ـ النصوص ـ صريحة في خروج منكري الإمامة عن دائرة الإسلام.

أمَّا ما اختاره مشهور المتأخِّرين، حيث ذهبوا إلى إسلام وطهارة المخالفين، فإنَّما هو رعايةٌ لمقتضيات بعض المصالح المستجدَّة، وعلى قاعدة الامتنان على

---

(١) بعد زمن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ تعتبر الشهادات الثلاثة، والتي ثالثتها الشهادة بولاية أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام، تعتبر شرطاً لصدق الإسلام والإيمان. وما قبل ذلك، أي في زمن النبي صلى الله عليه وآله، لم تكن الشهادة الثالثة شرطاً للإسلام والإيمان، إلاّ أن اشتمال الباطن على محبَّة أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كان شرطاً، ومن هنا كان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ يؤكِّد مراراً قوله: «**يا علي! حبُّك تقوى وإيمان، وبغضك كفر ونفاق**».

(٢) *المصدر نفسه*، ج ٥، ص ١٧٥ ـ ١٧٨.

شيعة أهل البيت عليهم السلام ؛ نظراً إلى أنهم كانوا في معايشتهم للمخالفين عن قرب ، يلمسون حالة الحرج والعُسر في التعامل معهم ، إضافةً إلى عدم إمكانية التغاضي عن ضرورة الحفاظ على الوحدة في مجابهة أعداء الإسلام ، والتي تعتبر من أهمِّ المصالح التي يلزم رعايتها .

## الإمامة في نظر علماء أهل السنة

إنَّ كون الإمامة من أهمِّ أصول الدين الإسلامي الحنيف ، هو بدرجة من الوضوح والقطعيَّة بحيث أقرّ به جملة من مشاهير وكبار علماء أهل السنة ، وإن كانوا قد أخطأوا خطأً فاحشاً في مقام تعيين المصداق ، حيث لم يراعوا مناسبات الحكم والموضوع .

وفي هذا الصدد يقول القاضي البيضاوي ـ وهو من أبرز علماء أهل السنة المعروفين ـ في كتابه : «**إنَّ الإمامة من أعظم مسائل أصول الدين التي مخالفتها توجب الكفر والبدعة**»[١] .

وكذا القوشجي ، وهو من أبرز علماء أهل السنة المعروفين بالتعصب والعناد ، يقول متحدّثاً عن الإمامة : «**وهي الرياسة العامة في أمور الدين والدنيا خلافةً عن النبي**»[٢] .

---

(١) *ليالي بيشاور* ، ص ٢٧٩ ، نقلاً عن *منهاج الأصول* للقاضي البيضاوي .

(٢) *شرح تجريد الكلام للقوشجي* ، بحث الإمامة .

وقال القاضي روزبهان ـ من علماء الأشاعرة ـ : «**الإمامة عند الأشاعرة هي خلافة الرسول في إقامة الدين وحفظ حوزة الملّة، بحيث يجب اتّباعُه على كافّة الأُمّة**»[١].

وقد قام السيد سلطان الواعظين ـ رحمه الله ـ في كتابه «ليالي بيشاور» بمناقشة علماء أهل السنة المعترضين على جعل الإمامة من أصول الدين عند الشيعة، فقال رداً عليهم : إنّنا نعتقد أنّ الإمامة من أصول الدين، وعلماؤكم الكبار يعتقدون ذلك أيضاً ويستدلُّون بحديث معرفة الإمام[٢].

إلاّ أنهم ـ على مستوى التطبيق ـ يقومون بتجسيد مفهوم الإمامة في معاوية وخالد بن الوليد وأمثالهما..!

وإنّه لمن الجدير بنا أن نتساءل عن الوجه في أن تكون مخالفة معاوية ويزيد وخالد... وأمثالهم، موجبةً للكفر والابتداع في الدين، وكيف تكون إمامة هؤلاء وأمثالهم من أصول الدين؟! هذا في حين تكون إمامة وولاية الإمام علي ـ عليه السلام ـ من أصول الدين، إلاّ أنّ الانحراف عنها ومخالفتها، لا أنه لا يوجب الكفر والنفاق والضلالة فحسب، بل وتُعدُّ في نظر المعاندين والمتعصبين لخطٍّ أولئك المنحرفين، تُعدُّ من باب الاجتهاد..!

***

---

(١) *ليالي بيشاور*، ص ٢٧٩.

(٢) لمزيد من التوسع راجع : *ليالي بيشاور*، ص ٢٧٨ فما بعدها.

### * الانحراف عن الإمامة انحرافٌ عن الدين كلِّه

تبيَّن في ضوء الآيات والروايات التي استعرضنا جزءاً يسيراً منها، أنَّ الإمامة حين تُطرح من الدين، فإنَّ الدين يتعرّض إلى تحريفات فاحشة، وتبرز الضلالة والانحراف في أجلى صُوَرهما، وينسحب هذا الانحراف على مجال العبادة والأخلاق أيضاً..

ونحن نريد هنا أن نستعرض نماذج من عقائد كبار علماء أهل السنّة البارزين، والتي برزت لديهم نتيجةً للانحراف عن الإمامة.. وإليك التفاصيل:

لدى أهل السنّة ـ بعد القرآن الكريم ـ ستّة كتب معروفة معتبرة، باسم «**الصحاح الستَّة**»، وهي: ***صحيح البخاري*** لمؤلفه: محمد بن إسماعيل البخاري، و***صحيح مسلم*** لمؤلِّفه: مُسلم بن حجاج النيسابوري، و***سنن الدارمي*** لمؤلِّفه: عبد الله الدارمي، و***سنن أبي داود*** لمؤلِّفه: سليمان بن أبي داود السجستاني، و***سنن الترمذي*** لمؤلِّفه: محمَّد بن عيسى الترمذي، و***سنن ابن ماجة*** لمؤلِّفه: محمد بن يزيد بن ماجة القزويني.

ومن بين هذه الصحاح الستة عند أهل السنة يحتل الصحيحان: البخاري ومسلم مرتبةَ الصدارة من حيث الاعتبار. وعلى مستوى هذين الكتابين؛ يُعدُّ صحيح البخاري أكثر قيمة واعتباراً من صحيح مسلم عند أهل السنة، حتَّى إنَّهم يعتقدون **أنَّ البخاري لم يألُ جهداً في تنقية كتابه من أي رواية بطالة.**

إنَّ الفضل بن روزبهان ـ وهو من مُتعصِّبي علمائهم وأشدِّهم معاندةً ـ يقول:

**«لو أنَّ أحداً حلف يميناً بأنَّ كلَّ ما ورد في الصحاح الستَّة من الأحاديث فهو صحيح وهو قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، لكان يمينه صحيحاً ، ولا عليه الحنث»**[١].

ومن هنا قال بعضهم فيما يخص بعض الصحاح ـ سنن الترمذي ـ : **«مَن كان في بيته هذا الكتاب ، كان في بيته نبيٌّ يتكلَّم»**[٢].

إلاَّ أنَّ ما قام به البخاري ومسلم في صحيحهما ـ بالرغم من موقعهما فائق الأهمِّية والاعتبار عند أهل السنة ـ تترى عليه الإشكاليات ، ويمكننا الإشارة إليها في النقاط التالية :

**النقطة الأولى:** أنَّهما اعتمدا رواة لم يُعرفوا بالاستقامة والأمانة ، بل عُرفوا بغير ذلك ، من أمثال : أبي هريرة ، وأبي موسى الأشعري ، وعمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير... وآخرين من أمثالهم .

**النقطة الثانية :** أنَّ أبا هريرة الذي أسلم في السنة السابعة للهجرة ، أي قبل ثلاث سنوات من وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، قد رُوِيَ عنه أكثر من خمسة آلاف (٥٠٠٠) حديث ، بينما لم يُروَ عن الإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ سوى خمس مائة (٥٠٠) رواية فحسب ، مع أنَّه ـ سلام الله عليه ـ ، وبإجماع علماء أهل السنة ، كان ملازماً لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ليلَ نهارٍ طيلةَ ثلاثين عاماً . ومن الجدير بالذكر أنَّ أبا هريرة كان يصرِّح بعض الأحيان ـ كما في كتاب البخاري ـ أنَّه ينقل الحديث من كيسه !

---

(١) *أضواء على الصحيحين* ، ص ٧٣ ، نقلاً عن *إحقاق الحق* ، ج ٢ ، ص ٢٣٥ .

(٢) *المصدر نفسه* ، نقلاً عن *تذكرة الحفاظ* ، ج ٢ ، ص ٦٣٤ .

وعلى سبيل المثال : في باب التيمم روي عن عمر أنه أفتى بعدم الصلاة عند فقدان الماء ، إلاّ أنَّ البخاري قام بحذف عبارة «لا تصل» حفاظاً على كرامة عمر بن الخطاب[١]، في حين أنَّ الكتب الأخرى التي جاءت فيـها هذه الرواية ، لم تُبتلَ بهذا التحريف[٢].

ولعـل من الدواعي التي رفعت من اعتبار هذا الكتاب (صحيح البخاري) عـند علماء أهل السنة ، اعتناؤه بصيانة كرامة خلفائهم ، وإضافة إلى ذلك ظهور العداء فيه بصورة سافرة ومُنبئة عن حقد وضغينة إزاء أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله ، وبصورة وافرة .

وعلى سبيل المثال : نجده يروي خبراً مكذوباً على الإمام السجَّاد ـ عليه السلام ـ مفاده أنَّ الإمام علياً والزهراء ـ سلام الله عليهما ـ يرفضان مغادرة فراش النوم للصلاة ، ويدخلان في سبيل ذلك في جدال سلبي مع رسول الله صلى الله عليه وآله..! أو كالرواية الأخرى التي تحكي قصة مفتراة فيها نسبة تناول الخمر والعربدة إلى حمزة سيد الشهداء سلام الله عليه[٣].

إنَّ الأخطاء الفظيـعة التي يشـتمل عليها صحيحا البخاري ومسلم ، اللذان هما عند أهل السـنَّة أفضل وأتقن الكتب بعد القرآن الكريم ، هي ـ الأخطاء ـ

---

(١) نظراً إلى أنَّ حكم التيمُّم عند فقدان الماء من واضحات الفقه ، ومن المسائل التي يعم بها الابتلاء للمكلفين ، فالجهل بذلك مع وجود حكم المسألة في صريح الكتاب الكريم والسنة الشريفة ، هو مما يؤدي إلى الطعن في الجاهل بالحكم .

(٢) *صحيح مسلم و سنن النسائي*، ج ١ ، باب التيمم ، *وسنن ابن ماجة* ، ج ١ ، ص ٩١ .

(٣) لمزيد من التوسع راجع كتاب : *أضواء على الصحيحين* ، تأليف : محمد صادق النجمي .

بحدٍّ من الكثرة بحيث أدّى ذلك إلى أن ينتقدها بعض علماء أهل السنة أيضاً.
فالسيد محمد رشيد رضا، العالم المصري الشهير وأحد أبرز تلامذة الشيخ محمد عبده، بعد أن حكى ما ذكره ابن حجر من انتقادات ومؤاخذات على الصحيحين، قال السيد محمد رشيد رضا:

**«وإذا قرأت ما قاله الحافظ ابن حجر، فيها رأيتها كلها في فنٍّ الصناعة، ولكنَّك إذا قرأت الشرح نفسه (فتح الباري) رأيت له في أحاديث كثيرة إشكالات في معانيها أو تعارضها مع غيرها، أكثر ممَّا صرَّح به الحافظ نفسه، مع محاولة من الحافظ الجمعَ بين المختلفات وحلَّ المشكلات بما يرضيك بعضه دون بعض»**[1].

## التوحيد في نظر علماء أهل السنة

إنَّ التوحيد هو أفضل وأهمُّ وأسمى مسائل الدين الإسلامي، والاعتقاد به صحيحاً، يؤدِّي إلى الاستقامة والفلاح في سلوك الفرد والمجتمع، والعكس بالعكس أيضاً؛ فإنَّ الاعتقاد غير الصحيح فيما يرتبط بالتوحيد، يوقع صاحبه في التناقُض والضلالة والانحراف والارتداد.

وحين نلقي نظرة فاحصة في الكتب المعتبرة لأهل السنة، نجد مضامين في غاية الفساد والبطلان فيما يرتبط بتوحيد الله تبارك وتعالى.. مضامين يشهد ببطلانها صريح القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة المعتبرة.

إنَّ اعتقاد أهل السنة فيما يرتبط بمعرفة الله وتوحيده، يصل في مستوى

---

(١) *أضواءٌ على الصحيحين*، ج ١، ص ٧١. نقلاً عن كتاب *أضواءٌ على السنّة المحمّدية*، ص ٢٧٤.

انحرافه في بعض الأحيان إلى أن يشبه عقيدة النصارى !

ففي اعتقاد أهل السنَّة أنَّ الله يمكن أن يُرى[١]، ويحتاج إلى مكان[٢]، ويضحك[٣]، وينتقل من مكان إلى آخر[٤]، ويقف بجانب عبده[٥]، ويتركب من أعضاء مختلفة من وجه وعين ويد وساق وأصابع.. وأمثال ذلك[٦].

وكلُّ هذه العقائد الباطلة والأخطاء الفادحة، إنَّما هي نتيجة الانحراف عن الإمامة، ولو أنَّهم استقوا عقيدتهم ـ كالشيعة ـ من أهل بيت النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، لما تورّطوا في هذه المجازفات فيما يرتبط بمعرفة الله تعالى.

وأمَّا الشيعة الذين استقوا عقيدتهم من النصوص الصريحة في القرآن الكريم، وفي روايات الأئمة الطاهرين والخلفاء الحقيقيين لرسول الله صلى الله عليه وآله، فإنَّ عقيدتهم تأسَّست على تنـزيه الله تعالى عن الرؤية في الدنيا والآخرة، وأنَّه متعال منزَّه عن أن يكون مرئياً كسائر الأجسام.. فرؤيته ـ سبحانه وتعالى ـ تندرج ضمن المحالات بحكم الأدلة من العقل والنقل.

---

(١) ***صحيح البخاري***، ج ١، باب فضل صلاة الفجر والعصر، ***صحيح مسلم***، ج ٢، باب فضل صلاتي الصبح والعصر.

(٢) ***سنن أبي داود***، ج ٤، باب في الجهمية. ***سنن ابن ماجة***، باب فيما أنكره الجهمية.

(٣) ***صحيح البخاري***، ج ٥، كتاب مناقب الأنصار.

(٤) ***صحيح البخاري***، ج ٢، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة في آخر الليل.

(٥) ***صحيح البخاري***، ج ٦، تفسير سورة هود. ***صحيح مسلم***، ج ٨، باب قبول توبة القاتل. ***سنن ابن ماجة***، باب فيما أنكرت الجهمية.

(٦) لمزيد من الاطلاع راجع: ***أضواءٌ على الصحيحين***، ج ١ و ٢، ص ٧١.

قال أمير المؤمنين عليٌّ ـ عليه السلام ـ: **«لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان»**[١].

وسُئل الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: هل يرى الله في المعاد؟ فقال: **«سبحانه تبارك وتعالى عن ذلك عُلوًّا كبيراً؛ إنَّ الأبصار لا تُدرك إلاَّ ما له لونٌ وكيفيَّة، والله خالق الألوان والكيفيَّة»**[٢].

## النبوَّة في نظر علماء أهل السنة

لو أنَّ شخصاً أراد أن يتعرَّف على أنبيـاء الله تعالى عن طريق كتب أهل السنة، مثل صحيحي البخاري ومسلم، فإنَّه فضلاً عن عدم حصوله على المعرفة المنشودة، سوف يشمئز ويبتعد من الدين كلِّه؛ ذلك لأنَّ هناك قسطاً وافراً من الإسرائيليات قد تسربت وألقت بظلالها على الكتب المعتبرة لأهل السنة، لا سيما فيما يرتبط بأنبياء الله عليهم السلام، وهو مدعاةٌ للاستغراب والتعجُّب..

فالنبيُّ إبراهيم خليل الله عليه السلام ـ في نظر أهل السنة ـ كاذبٌ..![٣]

ونبيُّ الله موسى عليه السلام ـ في نظرهم ـ ينزعج بشدّة من عزرائيل، فيلطمه على وجهه بما يؤدي إلى أن يفقد الملاكُ عينه..![٤]

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ١٩٧.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٤، ص ٥٤.

(٣) *صحيح البخاري*، ج ٤، كتاب بدء الخلق، تفسير سورة بني إسرائيل، ج ٦. *صحيح مسلم*، ج ١، كتاب الإيمان.

(٤) *صحيح البخاري*، ج ٤، كتاب بدء الخلق، باب وفاة موسى. *صحيح مسلم*، ج ٧، باب فضائل موسى.

وموسى أيضاً ـ عليه السلام ـ يركض عارياً وراء الحجر الذي اختطف منه ملابسه..! [١]

إضافة إلى أخطاء عديدة ينسبونها إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في صلاته، وأنَّه صلَّى جنُباً[٢]، إضافة إلى نسيانه مجموعة من آيات القرآن الكريم[٣]، وكونه بال قائماً عند سُباطة قوم..! [٤]

وهي أمثلة من جملة وافرة من النصوص التي تنتقص من شأن أنبياء الله سلام الله عليهم، في كتب يُصرّون ويحلفون على صحَّة أحاديثها، وفيها من الأمور المُخزية ما إذا ذكره ذو المروءة ألجمه الحياءُ، وأمّا علماء أهل السنة فيستسيغون رواية مثل هذه الترّهات، بل ويتصدّون لبيانها وشرحها..!

أمَّا شيعة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فيضعون أنبياء الله تعالى في مرتبة سامية، ومنزلة رفيعة، ويعتقدون بعصمتهم، ويُنزِّهونهم عن النقائص والقبائح، التي يتنزّه عن ارتكابها كثيرٌ من أهل الاتزان من عامّة الناس، فكيف بالأنبياء الذين هم أسوة البشرية في طريق تكاملها وسموِّها.. ولا سيما خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين: محمد المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، الذي اجتباه الله من بين

---

(١) *صحيح البخاري*، ج ٢، باب إذا سلَّم في ركعتين. *صحيح مسلم*، ج ٢، باب السهو في الصلاة.

(٢) *صحيح البخاري*، ج ١، كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً. *صحيح مسلم*، ج ٧، باب فضائل موسى. *سنن أبي داود*، ج ١، باب في الجنب يصلِّي بالقوم.

(٣) *صحيح البخاري*، ج ٨، كتاب الدعوات، باب قول الله وصلِّ عليهم. *صحيح مسلم*، ج ٢، كتاب فضائل القرآن.

(٤) *صحيح البخاري*، ج ١، كتاب الغسل، باب من اغتسل عرياناً. *صحيح مسلم*، ج ٧، باب فضائل موسى. *سنن أبي داود*، ج ١، باب في الجنب يصلِّي بالقوم.

الخليقة جمعاء، وبيُمن وجوده المبارك أفاض اللهُ على العالمين نورَ الوجود.. وهو الذي قال الله تعالى عنه في كتابه الكريم: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[1]، وقال تعالى أيضاً: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ...**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**...اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾[5].

وليت شعري؛ كيف ينسجم القول بكون النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ أسوة حسنةٌ للعالمين، مع القول بكونه يقف للصلاة جنُباً، أو مع القول بكونه يبول واقفاً؟!

وهذه الانحرافات العقدية في مسار العامّة، تدلّل على صدق ما ذكرناه من أنَّ الانحراف عن خطٍّ الإمامة والولاية إلى أي مهاوي الهلكة يمكن أن يؤدي بصاحبه..

في حين أنَّا حين نطالع مصادر الحديث الشيعية، نجد نبيًّا هو أنموذج إمام الرحمة، والإنسان الكامل، والمجتبى من قبل الله، والمعصوم من جميع أنواع الخطايا والذنوب والمعاصي، وحتى ترك الأولى.. ونجده شخصية جمعت الأخلاق الحميدة، وصفات الخير، والسلوك الحسن.. وبالصورة التي تنسجم مع ما يفترض

---

(١) *القلم*، الآية ٤.
(٢) *الأحزاب*، من الآية ٢١.
(٣) *الأنعام*، من الآية ١٢٤.
(٤) *الأحزاب*، من الآية ٣٣.
(٥) *النجم*، الآيتان ٣ و ٤.

أن يكون عليه نبيُّ الله ، ووفاقاً للصورة الرائعة والثناء الجميل الذي ورد له في القرآن الكريم .

ومن هنا ندرك أن من الخطأ ما ينظِّر له البعض من تهوين نقطة الخلاف بين السنَّة والشيعة ، وحصرها في دائرة الإمامة وبحوثها.. وهو تصوُّر خاطئ ، والصحيح أنَّ الاختلاف على مسألة الإمامة جرَّ إلى توسُّع الاختلاف ليشمل سائر المسائل العقائدية والفقهية والأخلاقية..

وإن كان لا ينبغي أن يتحوّل الاختلاف إلى مُنطلق للإضرار بالوحدة والتقارب الإسلامي ؛ لأنَّ الإضرار بالوحدة ، وإلقاء الفتنة هو الهدف الذي ينشده الأعداء الألدّاء للإسلام . بل المطلوب هو أن تطرح قضايا الخلاف بأسلوب علمي رصين ، وصيغة موضوعية هادفة ، تتكفّل بتعريف كلٍّ من الطرفين الشيعي والسني ، وبصورة شفافة وواقعية ، بالمسائل الأساسيَّة ، وتوضِّح منعطفات الانحراف التي برزت على إثر الانحراف عن الإمامة .

إنَّ العديد من علماء أهل السنة الذين كانوا من أهل الإنصاف ، وقاموا بدراسة مذهب الشيعة في مسائله العقائدية وأحكامه الفقهية المأخوذة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ، وقاموا بمقارنتها مع المسائل الفقهية والعقائدية التي عندهم ، استطاعوا أن يتحقَّقوا من الانحراف والأخطاء التي عندهم ، وأذعنوا بحقانية مذهب الشيعة ، ومنهم من اختار لنفسه الانضمام إلى المذهب الشيعي الاثني عشري [(١)] .

(١) في الـ ١٧ من ربيع الأول ١٣٨٧ هـ ؛ أعلن شيخ الأزهر والمفتي الأكبر لأهل السنة : الشيخ محمود شلتوت ، في فتواه التاريخية ، أعلن بصراحة جواز التعبّد بمذهب الشيعة الإمامية ، مثله في ذلك مثل سائر المذاهب الأخرى ، وفيما بعد أوضح قائلاً في حوار أجري معه : إنني مع جماعة من إخواني في دار التقريب

## الاختلاف بين علماء الشيعة وأهل السنة في المجال الفقهي

إنّ الاختلاف ما بين الشيعة وأهل السنة، وهو اختلاف نشأ كنتيجة للاختلاف في موضوع الإمامة، هو اختلاف أوسع بكثير من سائر الاختلافات الأخرى بين الفريقين.

ففي كتاب الوضوء يبلغ عدد المسائل المختلف فيها بين الفريقين ستّين (٦٠) مسألةً.

وفي التيمُّم: أربعين (٤٠) مسألة خلافية.

وفي الصلاة: ٤٦٥ مسألة خلافية.

وفي صلاة الجماعة: إحدى وأربعين (٤١) مسألة.

وفي الأذان: عشرين (٢٠) مسألة.

وفي صلاة الجمعة: إحدى وخمسين (٥١) مسألة.

وفي صلاة المسافر: خمساً وثلاثين (٣٥) مسألة.

وفي الصوم: تسعين (٩٠) مسألة.

---

والأزهر واللجان المختصة، استطعنا أن نرجح مجموعة من الأقوال والآراء في الفقه الجعفري على المذاهب السنية. إنني لا أنسى أبداً أنني حين كنت أدرس المذاهب الفقهية في الإسلام، وأطالع الآراء المختلفة، كان مذهب الإمامية الوحيد الذي يجذب انتباهي، وربما رجحت قول الشيعة بسبب تميزه بالاستدلال الوجيه؛ فإنه لا بد من الإذعان إزاء الدليل القوي والمنطق السديد، ولا أنسى أنني أفتيت طبق رأي الشيعة في كثير من المسائل المتعلقة بالأسرة. انظر: *رساله نوين*، ج ١، ص ٣٥، نقلاً عن كتاب *همبستگي مذاهب اسلامى* (مقالات دارالتقريب)، ص ٣٢٤.

وفي الزكاة : مائتي (٢٠٠) مسألة .

وفي الحج : ٣٥٠ مسألة .

وفي الطلاق : ١٠٢ مسألة .

وفي المعاملات : ٣٢١ مسألة[١].

## الأخلاق والعرفان في نظر أهل السنة

إنّ الانحراف في مجال البحوث الأخلاقية والعرفانية، قد تجاوز في حدّته حدّ الانحراف المذكور في مجال المسائل الفقهية، حيث خرج من سياق المعتاد، وبلغ حدّاً مفرطاً، وانتهى إلى الخروج عن العدالة..

يقول الغزالي لا تلعنوا يزيد بن معاوية ؛ فإن لعنه غير جائز ؛ فلعله تاب، وإن لم نغتبه فهو أفضل . فهذا الذي يمنع من لعن وغيبة قاتل ومبيد ذرية نبي الله ـ صلى الله عليه وآله ـ بأفظع وأشنع صورة ، والذي سبى نساء أهل البيت عليهم السلام ، وأعلن الفسق والفجور ، فهذا الذي يمنع لعن وغيبة مثل هذا، يصير معلم الأخلاق عند أهل السنة . وفي كتاب الغزالي *إحياء علوم الدين* العديد من المضامين الباطلة والمناهج التربوية المبتدعة وغير السديدة ، وهي بحد من الكثرة بحيث استدعى أن يبيِّن انحرافاته بعض علماء أهل السنة[٢].

---

(١) وردت مجموعة المسائل الفقهية المختلف فيها في كتاب الخلاف للشيخ الطوسي ، والتذكرة والمنتهى للعلامة ، والمعتبر للمحقق الحلي .

(٢) *إعلام الأحياء بأغلاط الإحياء* ، ابن الجوزي .

وقد تصدّى الفيض الكاشاني ـ من أساطين علماء الشيعة ـ لتهذيب كتاب الغزالي ، فقام بحذف الكثير من مضامينه التي هي مخالفة لصريح نصوص الشريعة المقدَّسة ، وأخرجه بما يوافق مذهب الشيعة الإمامية ، وسمَّاه : «**المحجة البيضاء في تهذيب الإحياء**» ، وقد ذكر في مقدمة كتابه بُغيته وهدفه ممَّا قام به ، مع التنبيه على بعض الأخطاء الفادحة التي ارتكبها الغزالي في كتابه[١] .

*** نقاط الاشتراك بين القرآن والعترة**

لقد تعرّفنا في حديث الثقلين على الخليفتين اللذين تركهما النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ليُمثِّلا بحقٍّ خطَّ الهداية والصراط المستقيم ، وهما القرآن الكريم والعترة الطاهرة . ونحن هاهنا نريد أن نلقي نظرة إلى الخصائص التي تمثل نقاط اشتراك بين القرآن والعترة ، والتي تمثِّل التبرير الموضوعي لاقترانهما في مقام خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله .

ونحن وإن كنا عاجزين عن الإحاطة التامة بخصائص القرآن والعترة ، إلاَّ أننا نعلم جملةً منها ، كما أنَّنا لا نرتاب في أنَّ القرآن والعترة يشتركان في جميع صفاتهما ، فأهل البيت هم قرناء القرآن وشركاؤه ، والقرآن الكريم يتجلَّى بجميع خصائصه في أهل البيت عليهم السلام . وإليك جملةً من الخصائص المشتركة بين القرآن العترة :

---

(١) لمزيد من الاطلاع حول الانحراف في المجال الأخلاقي والعرفاني عند أهل السنة ؛ يمكن مراجعة : كتاب *شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور* ، *الغدير* ، باب العرفان والأخلاق ، *مقدمة المجلد الأول من المحجة البيضاء* .

**النقطة الأولى:** أنَّ القرآن نورٌ من جميع الجهات، أي لا تتطرق إليه ذرةٌ من الظلمات، فقد وصف الله تعالى القرآن بقوله: ﴿**...وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً**﴾[1]، وقال تبارك وتعالى أيضاً: ﴿**...قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ**﴾[2].

وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً نورٌ؛ فإننا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «**أنتم نور الأخيار، وهُداة الأبرار، وحُججُ الجبار**»، ونقرأ في الزيارة نفسها أيضاً: «**ونورُه وبرهانُه عندكم**»[3].

وكما أنَّ القرآن الكريم ـ وهو كلام الله تعالى ـ هو نورٌ، فكذلك كلام أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هو نورٌ كما نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «**كلامكم نورٌ، وأمرُكم رُشد**»[4].

وكما أنَّ الأرض والسماء مشرقة بنور الله تبارك وتعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ...**﴾[5]، ﴿**وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا...**﴾[6]، فكذلك نور أهل البيت ـ عليهم السلام ـ قد تجلّى في السماوات والأرَضين؛ ففي الزيارة الجامعة: «**وأشرقت الأرض بنوركم**»[7].

---

(١) *النساء*، من الآية ١٧٤.

(٢) *المائدة*، من الآية ١٥.

(٣) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) *النور*، من الآية ٣٥.

(٦) *الزمر*، من الآية ٦٩.

(٧) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

**النقطة الثانية:** أنَّ القرآن الكريم هو الفرقان بين الحق والباطل وفصل الخطاب، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ**﴾(١).. وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ أيضاً عندهم فصل الخطاب؛ ففي الزيارة الجامعة: «**وفصل الخطاب عندكم، وآيات الله لديكم**»(٢).

**النقطة الثالثة:** أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الهداية، سواء على مستوى الهداية الابتدائـية التي معناها الإرشاد إلى طريق الحق، وذلك في قوله تعالى: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ...**﴾(٣)، أو على مستوى الهداية السامية التي تعني البلوغ إلى الغاية، وهي المختصة بمن اهتدى إلى ولاية المعصومين سلام الله عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ**﴾(٤).

وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ أيضاً هُداة على المستويين المذكورين، فعلى صعيد المستوى الأوّل نقرأ في الزيارة الجامعة: «**السلامُ على أئمَّة الهدى، ومصابيح الدُّجَى**»(٥). وعلى الصعيد الثاني، أي هداية المهتدين، هم ـ عليهم السلام ـ يتكفَّلون بالهداية، وذلك ما نقرأه في زيارة صاحب الزمان ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ حيث نقرأ: «**السلام عليك يا نور الله الذي يهتدي به المهتدون**»(٦)،

---

(١) *الطارق*، الآية ١٣.

(٢) ***من لا يحضره الفقيه***، ج ٢، ص٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦، ص٩٧.

(٣) *البقرة*، من الآية ١٨٥.

(٤) *البقرة*، الآية ٢.

(٥) ***من لا يحضره الفقيه***، ج ٢، ص٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦، ص٩٧.

(٦) ***زيارة الإمام الحجة*** ـ عجل الله تعالى فرجه ـ في يوم الجمعة.

ومعناه: أنَّ بلوغ الغاية النهائية إنَّما يتيسَّر بفضل نور وليِّ الله الإمام الحُجّة صاحب الزمان، أرواحنا لتراب مقدمه الفداء.

**النقطة الرابعة:** القرآن مُرشد وداع إلى الرُّشد والصلاح؛ فقد قال الله تعالى: ﴿**يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ...**﴾[1]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ راشدون مرشدون أيضاً؛ فنحن نقرأ في الزيارة الجامعة: «**وأشهد أنكم الأئمة الراشدون**»[2]، وهم أنفسهم طريق الرشد والاستقامة: «**أنتم الصراط الأقوم**»[3]، وفي نفس الوقت هم الدعاة إلى الرشد والصلاح: «**إلى سبيله ترشدون**»[4].

ومن هنا فإنَّ الذين يتقدّمون خطوات في سبيل الله تعالى، فإنَّ الله تعالى يفتح عليهم آفاق الولاية؛ قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا...**﴾[5].

**النقطة الخامسة:** أنَّ القرآن كتابٌ ذو كرامة وقداسة وعظمة؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ**﴾[6]. وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً أهل الكرامة، بل هم أصول الكرامة والعظمة؛ فنحن نقرأ في الزيارة الجامعة: «**وأصول الكرم، وقادة الأمَم**»[7]، وطريقتهم وسجيتهم

---

(١) *الجـن*، من الآية ٢.

(٢) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص ٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص ٩٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) *العنكبوت*، من الآية ٦٩.

(٦) *الواقعة*، الآيات ٧٧ ـ ٧٩.

(٧) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص ٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص ٩٧.

الكرامة والإحسان والفضل ؛ **«وسجيّتكم الكَرَم»**[(١)].

**النقطة السادسة:** أنَّ القرآن الكريم يوصي بالتقوى ؛ قال الله تعالى : **﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[(٢)]، وقال تعالى :**﴿...وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[(٣)]. وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أهل التقوى ، ويوصون بالتقوى : **«ووصيتكم التقوى، وفعلكم الخير»**[(٤)].

**النقطة السابعة:** أنَّ القرآن شفاءٌ ودواء ، سواءٌ فيما يخص الأمراض الروحية والنفسية والرذائل الأخلاقية ؛ قال تعالى : **﴿...وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ...﴾**[(٥)]، أو فيما يخص الأمراض الجسدية الظاهرية[(٦)]؛ قال تعالى: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾**[(٧)]. وذكرُ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أيضاً شفاءٌ للأمراض الروحية والجسدية ؛ فقد قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: **«ذكرنا ـ أهل البيت ـ شفاءٌ من الوعك والأسقام ووساوس الريب»**[(٨)]، وقال ـ عليه السلام ـ أيضاً في قوله تعالى **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ**

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) *الحاقة*، الآية ٤٨.

(٣) *آل عمران*، من الآية ١٣٨.

(٤) من الزيارة الجامعة ، انظر: *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦ ، ص٩٧.

(٥) *يونس*، من الآية ٥٧.

(٦) يُستفاد من روايات متعدِّدة أنَّ من آيات القرآن الكريم، ما إذا قُرئ وفق شروط وآداب معينة، فإنَّه يؤدي إلى الشفاء من أمراض عديدة ترتبط بالبدن، وهو أمرٌ ثابت بالتجربة أيضاً.

(٧) *الإسراء*، من الآية ٨٢.

(٨) *وسائل الشيعة*، ج ١٦، ص ٣٤٨. *بحار الأنوار*، ج ٢، ص ١٤٥.

**الْقُلُوبُ﴾**[١]، قال: «**تطمئنُّ القلوبُ بمحمَّد ــ صلى الله عليه وآله ـ وهو ذكرُ الله**»[٢]، ونقرأ في متن الزيارة الرجبية: «**فبكم يجبر المهيض ويُشفى المريض**»[٣].

**النقطة الثامنة:** أنَّ القرآن الكريم هو البرهان الساطع، والدليل القاطع؛ قال تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ...**﴾[٤]، وأهل البيت هم أيضاً خير دليل على وجود الله تبارك وتعالى، كما إنَّهم أصحاب الحجج القوية، والبراهين المتينة، والأدلَّة المُحكمة، ومنهم استقى شيعةُ أهل البيت أقوى أدلَّتِهم وحُججهم؛ «**وخَصَّكُمْ بِبُرْهانِه**»[٥].

**النقطة التاسعة:** أنَّ القرآن الكريم موصوف بالحكمة، وذلك في قوله تعالى: ﴿**يــس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**﴾[٦]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً معادن الحكمة، الذين تجلت فيهم حكمة الله تعالى؛ «**السلام على محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله**»[٧].

**النقطة العاشرة:** أنَّ القرآن الكريم كتاب مُطهَّر؛ ﴿**رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفاً مُطَهَّرَةً**﴾[٨]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً طاهرون مطهَّرون؛ وذلك

---

(١) *الرعد*، الآية ٢٨.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٢٣، ص ٢، ص ١٨٧.

(٣) الزيارة الرجبية، انظر: *مصباح المتهجد للشيخ الطوسي*، ص ٨٢١. و«**المهيض**»: العظم المكسور.

(٤) *النساء*، من الآية ١٧٤.

(٥) من الزيارة الجامعة، انظر: *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص ٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص ٩٧.

(٦) *يــس*، الآيتان ١ ـ ٢.

(٧) من الزيارة الجامعة، انظر: *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص ٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص ٩٧.

(٨) *البينة*، الآية ٢.

بدلالة قول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾[١]، ولما ورد في الزيارة الجامعة: «**وطهَّركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس وطهَّركم تطهيراً**»[٢].

**النقطة الحادية عشرة:** أنَّ القرآن ذكرٌ في نفسه، وهو موجب للتذكرة؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[٣]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً من دُعاة ذكر الله تبارك وتعالى، وذكرُ الله تعالى متجلٍّ في جميع أحوالهم وصفاتهم وخصائص شخصياتهم الطاهرة؛ فإننا نقرأ في الزيارة الجامعة ـ في وصفهم عليهم السلام ـ: «**وأهل الذكر**»، وفيها أيضاً: «**وأدمتم ذكره**»[٤]، وقال الإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ: «**فأنا الذكر الذي عنه ضلّ**»[٥].

**النقطة الثانية عشرة:** أنَّ القرآن عظيمٌ؛ قال الله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ**﴾[٦]، وفيما يرتبط بأخلاق النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[٧]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ عظماء أيضاً؛ فإننا نقرأ في الزيارة الجامعة فيما يرتبط بهم: «**والجاه**

---

(١) *الأحزاب*، من الآية ٣٣.

(٢) من الزيارة الجامعة، انظر: *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

(٣) *الحجر*، الآية ٩.

(٤) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

(٥) *الكافي*، ج ٨، ص٢٧.

(٦) *الحجر*، الآية ٨٧.

(٧) *القلم*، الآية ٤.

**العظيم**» ، وكذا : «**عظِمَ خطركم**» ، وكذا : «**وأعظمَ شأنَكُم**»[١] .

**النقطة الثالث عشرة:** أنَّ القرآن الكريم هو حبل الله تعالى ؛ قال تبارك وتعالى : ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا...**﴾[٢]. وحبل الله تعالى هو سببٌ مُتَّصل من السماء إلى الأرض، وبالتمسُّك بهذا السبب الإلهي يتيسَّر للإنسان أن ينجو من غياهب الدنيا ومساوئها ورذائلها، ويسمو في الدرجات الرفيعة باتجاه العالم العُلويِّ.. وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً حبلُ الله المتين ، وسبُل النجاة والسعادة لمن تمسَّك بهم وتولاّهم ؛ ومن هنا نصف الإمام المعصوم بـ «**حبلَ اللهِ المتين وصراطَه المستقيم**» ، وكذا : «**السببُ المتصلُ بين الأرض والسماء**»[٣] .

**النقطة الرابع عشرة:** أنَّ القرآن الكريم شافعٌ مُشفَّعٌ ؛ لقول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**فعليكم بالقرآن ؛ فإنه شافعٌ مشفَّعٌ**»[٤]. وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ شفعاء أيضاً ؛ فإننا نقرأ في الزيارة الجامعة : «**وشهداء دار الفناء، وشُفعاء دار البقاء**»[٥] .

**النقطة الخامس عشرة:** أنَّ القرآن الكريم يمثِّل التجلِّي الأعظم لصفات الله تبارك وتعالى ؛ فقد قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «**لقد تجلى الله لخلقه في كلامه**»[٦]. وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً تجَلٍّ لصفات كماله وجماله

---

(١) ***من لا يحضره الفقيه***، ج ٢، ص٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦ ، ص٩٧.

(٢) ***آل عمران***، من الآية ١٠٣ .

(٣) ***دعاء الندبة***، ج ٢، ص٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦ ، ص٩٧.

(٤) ***كتاب الكافي***، ج ٢، ص٥٩٨ .

(٥) ***من لا يحضره الفقيه***، ج ٢، ص٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦ ، ص٩٧.

(٦) ***بحار الأنوار***، ج ٨٩، ص١٠٧ .

تبارك وتعالى؛ كما في جاء في الدعاء الشريف: «**اللهم إني أسألك بالتجلي الأعظم في هذه الليلة من الشهر المعظم**»[(١)]، حيث المقصود بذلك هو النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

**النقطة السادس عشرة:** أنَّ القرآن الكريم لا مثيل له ولا نظير، وليس بوسع أحد أن يأتي بمثله؛ قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾[(٢)]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً في مرتبة من الفضل والكرامة، بحيث لا نظير لهم بين الخلق، ولا يُقاس بهم أحدٌ من العالمين؛ ومن هنا قال الإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ: «**نحن أهل بيت لا يُقاس بنا أحدٌ**»[(٣)]، وقال الإمام علي بن موسى الرضا ـ سلام الله عليهما ـ: «**الإمام واحدُ دهره، لا يدانيه أحدٌ، ولا يعادله عالمٌ، ولا يوجد منه بدلٌ، و لا له مِثْلٌ ولا نظيرٌ...**»[(٤)].

**النقطة السابع عشرة:** أنَّ القرآن الكريم عزيزٌ؛ قال الله تعالى: ﴿...**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**﴾[(٥)]، ومعنى العزيز: الغالب الذي لا يُقهَر.. وكذلك أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فقد منَّ الله عليهم بجعلهم غالبين لا يمكن أن يُقهروا، فهُمْ في منطقهم وكلامهم وسلوكهم وولايتهم، هُمْ فوقَ جميع العالمين؛ وفي ذلك نقرأ في الزيارة الجامعة:

---

(١) *مفاتيح الجنان*، أعمال ليلة المبعث (السابع والعشرون من رجب).

(٢) *الإسراء*، الآية ٨٨.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ٢٦٩.

(٤) *كتاب الكافي*، ج ١، ص ٢٠١.

(٥) *فصّلت*، من الآية ٤١.

**«وأعزّكُمْ بهُداه»**، وفيها أيضاً: **«آتاكُم اللهُ مَا لَمْ يُؤْتِ أحداً منَ العالمين، طَأطَأَ كُلُّ شَريف لشرفكُمْ، وَبَخعَ كُلُّ مُتكَبّرٍ لطاعتِكُمْ، وَخَضَعَ كُلُّ جَبَّارٍ لِفَضْلكُمْ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لَكُمْ»**[١].

**النقطة الثامن عشرة:** أنَّ القرآن الكريم حقٌّ؛ قال الله تعالى: ﴿**...والَّذي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ...**﴾[٢]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً حقٌّ؛ فقد قال النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ: **«عليٌّ مَعَ الحَقِّ، والحَقُّ مَعَ عليٍّ، لا يفترقان حتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ»**[٣]، ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة: **«والحقُّ معكُمْ وفيكُمْ ومنكُمْ وإليكُمْ، وأنتُمْ أَهْلُهُ وَمَعْدِنُهُ»**[٤]، وفي زيارة صاحب الأمر ـ عجل الله تعالى فرجه ـ: **«السلام على الحق الجديد»**[٥].

**النقطة التاسع عشرة:** أنَّ القرآن الكريم مُبينٌ ومبيِّن لكلِّ شيء؛ قال الله تعالى: ﴿**...وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[٦]، وهو ـ القرآن الكريم ـ وإن كان مُنزلاً لهداية الإنسان، إلاَّ أنَّه إضافة إلى ذلك مشتمل على جميع المضامين من العلوم وغيرها؛ قال تعالى: ﴿**...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ...**﴾[٧]. أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً مُبيِّنون لكلِّ شيء، ولديهم علم القرآن الكريم

---

(١) ***من لا يحضره الفقيه***، ج ٢، ص ٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦، ص ٩٧.

(٢) ***الرعد***، من الآية ١.

(٣) ***بحار الأنوار***، ج ٢٩، ص ١٦.

(٤) ***من لا يحضره الفقيه***، ج ٢، ص ٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦، ص ٩٧.

(٥) ***بحار الأنوار***، ج ٩٩، ص ١٠١.

(٦) ***الأنعام***، من الآية ٥٩.

(٧) ***النحل***، من الآية ٨٩.

أيضاً؛ فعن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أنَّه قال: «**والله إنِّي لأعلم كتاب الله من أوّله إلى آخره كأنه في كفي...**»[(١)]، كما أنهم ـ عليهم السلام ـ مؤيَّدون من قبَل الله بارك وتعالى، حيث يقول: ﴿**...وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إمَامٍ مُبِينٍ**﴾[(٢)].

**النقطة العشرون:** أنَّ القرآن الكريم رحمةٌ من الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿**...فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ...**﴾[(٣)]، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أيضاً رحمةُ الله تعالى، بل هم عيون رحمة لله تبارك وتعالى؛ فإنَّنا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة: «**ومَعْدِنَ الرَّحْمَةِ**»[(٤)]، كما إنَّنا نقرأ في زيارة صاحب الزمان ـ عجل الله فرجه الشريف ـ: «**والغَوْثُ والرَّحْمَةُ الواسِعَةُ وَعْداً غَيْرَ مَكْذُوْبٍ**»[(٥)].

هذه عشرون نقطة، وهي لا تُمثِّل إلاَّ جزءاً من الخصائص المشتركة بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة، الذين هم بحقٍّ الخلفاء الراشدون لرسول الله صلى الله عليه وآله.. ولربَّما هناك الكثير من نقاط الاشتراك الظاهرية والباطنية الأخرى، والتي لا يسعنا أن نحيط بها؛ لقلَّة علمنا وضآلته في مقابل سعتها وعظمتها..

***

(١) *كتاب الكافي*، ج ١، ص ٢٢٩، *بصائر الدرجات*، ص ١٩٤، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٨٩، ص ٨٩.

(٢) *يس*، من الآية ١٢.

(٣) *الأنعام*، من الآية ١٥٧.

(٤) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص ٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص ٩٧.

(٥) *الاحتجاج*، ج ٢، ص ٤٩٢، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٩٩، ص ٩٣.

## * أفضلية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من القرآن الكريم

بعد أن اطّلعنا على جملة من وجوه الاشتراك بين القرآن الكريم والعترة الطاهرة، آن لنا أن نتناول وجوه الامتياز والأفضلية بينهما.

لقد ورد في بعض المصادر في ذيل حديث الثقلين (القرآن والعترة) أنّ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «**أحدهما أفضل من الآخر**»[(١)].

وبعد أن تبيَّن لنا أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يتوفّرون على جميع خصائص القرآن الكريم، وأنّ جميع صفات ومزايا أهل البيت هي أيضاً في القرآن الكريم، بعد هذا حان أن نتساءل: أيٌّ منهما في رتبة أشرف ومقام أعلى من قرينه، وبعبارة أخرى: أيٌّ منهما الثقل الأكبر، وأيٌّ منهما الثقل الأصغر، أو بحسب تعبير الإمام الخميني ـ قدس سرُّه ـ: أيهما الكبير وأيهما الأكبر؟[(٢)]

إنّ الصحيح الذي لا ريب فيه، والذي تُثبته الأدلة والبراهين الكثيرة، هي أفضلية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من القرآن الكريم، وهو ما سنتطرّق إلى دراسته بصورة مفصّلة فيما يلي.

### الدليل الأول على أفضليتهم عليهم السلام من القرآن الكريم:

**الصغرى:** النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ أفضل من القرآن الكريم.

---

(١) ***بحار الأنوار***، ج ٢٣، ص ١٣٢، ***كمال الدين***، ج ١، ص ٢٣٧.

(١) ***الوصية السياسية***، للإمام الخميني قُدّس سرُّه.

**الكبرى:** أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يساوون النبي في جميع الفضائل والمناقب .

**النتيجة:** أهل البيت أفضل من القرآن الكريم .

**توضيح الاستدلال:**

من المسلَّم والمقطوع به بين الفريقين أنَّ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ يفوق القرآن الكريم فضلاً ، ولم يخالف أحدٌ هذا في كتب ومصادر العقيدة الإسلامية .

وأفضيلة النبي الأكرم من القرآن الكريم لوجوه :

**الأول:** أنَّ القرآن الكريم يمثل شأناً من شؤون النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ ، ومن أجل وجوده الشريف تمَّ تنزيله.. فالعلَّة الغائية لخلق جميع الكائنات والبشرية والعالَمين ، هو إيجاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ؛ ومن هنا نقرأ في الحديث القدسي : «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[١].. وبعثة الأنبياء وتنزيل الكتب السماوية هو ـ في الحقيقة ـ تمهيدٌ لبعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله.. وبناء عليه : النبي الأكرم أسمى رتبةً وأرجح منزلة من القرآن الكريم .

**الثاني:** أنَّ القرآن الكريم هو خليفة النبي الأكرم ، فهو أحد الثقلين اللَّذين خلَّفهما النبي صلى الله عليه وآله ؛ لينوباه في خطِّ الهداية ، والنائب لا يكون أبداً أفضل من المنوب عنه ؛ وبناء عليه تثبت أفضيلة النبي الأكرم من القرآن الكريم .

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ١٦، ص ٤٠٥ .

وأمَّا تفصيل الكبرى في الاستدلال المذكور، أي القضية التي تقول: إنَّ أهل البيت مساوون للنبي الأكرم في خصائصه ومزاياه، فالدليل عليه قول الله تعالى فيما يرتبط بالمباهلة: ﴿...فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ...﴾[١].

فإنَّ الله تبارك وتعالى جعل الإمام علياً ـ عليه السلام ـ نفسَ رسول الله صلى الله عليه وآله. ومن الواضح أنَّه ليس المقصود الاتِّحاد بين ذاتيهما؛ لأنه لا معنى لهذا، فلا يبقى إلاّ أن يكون المراد هو اتِّحادهما في الفضائل والصفات. ومن الثابت بمئات الروايات المعتبرة عند السنة والشيعة أنَّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ يُضاهي النبيَّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ من حيث الشأن والرتبة باستثناء النبوة[٢]. واستثناء النبوة في حديث المنزلة من قبل رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ليس هو بسبب إشكالية في صلاحية الإمام عليٍّ عليه السلام فيما يرتبط بنيل مرتبة النبوة، بل هو بسبب ختم النبوة، ناهيك عن أنَّ مرتبة الإمامة أعلى من مرتبة النبوة؛ فإنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ إنَّما منح خليله النبيَّ إبراهيم ـ عليه السلام ـ مقام الإمامة بعد ابتلاءات عديدة، فقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً...﴾[٣].. أضف إلى ذلك أنَّ الإمام علياً يضاهي النبي الأكرم من حيث الصفات التي تمثل أهلية النبوة.

وفيما يلي نتطرق إلى ذكر بعض الروايات الدالة على ذلك.

---

(١) *آل عمران*، من الآية ٦٢.

(٢) *التفسير الكبير*، للفخر الرازي،

(٣) *البقرة*، من الآية ١٢٤.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ للإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ: «**لحمُك لحمي، ودمُك دمي**»[1].

وقال ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**ما بالُ أقوام يذكرون مَن له عندَ الله منزلةٌ كمنزلتي، ومقامُهُ كمقامي، إلاّ النُّبوّة**»[2].

وقال الإمامُ عليٌّ ـ عليه السلام ـ: «**أنا محمد، ومحمد أنا، وأنا من محمد، ومحمد منِّي**»[3].

وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**علي منِّي وأنا من عليٍّ**»[4].

وكما أنَّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ في ضوء الآيات والروايات، ومن سائر الجهات، مِنْ نور وعلم وإيمان وعَظَمة ومَنْزلة... وغيرها، هو مُساوٍ ومُضاهٍ للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فكذلك سائر أهل البيت عليهم السلام، هم أيضاً مساوون لعليٍّ والنبي ـ صلوات الله عليها ـ من جميع الجهات[5].

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٣٨، ص ٢٤٨.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٢٧، ص ١١٤.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ٥.

(٤) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ٣.

(٥) ولا ينافيه ما ورد في الكافي (٢٨٩/١) على لسان الإمام علي عليه السلام، مِن أنّه قال: «**أنا عبدٌ من عبيد محمَّد**»؛ فإنه من تواضع الإمام علي إزاء أوّل مخلوق. أضف إلى ذلك أنَّ التلميذ يمكن أن يبلغ منزلة أستاذه، بل ويتفوّق عليه. والإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ هو العبد الذي بلغ مرتبة مولاه، والتلميذ الذي بلغ منزلة أستاذه. ولا ينبغي أن يُغفل عن أنَّ العبارة المروية عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ إنما صدرت بمناسبة سؤال أحدهم إياه عمَّا إذا كان الإمام مثل النبي من حيث النبوة، فالإمام بصدد نفي النبوة، لا نفي سائر المراتب والمنازل.

قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: **«اللهمَّ إنَّ هؤلاء أهل بيتي، حامتي وخاصّتي، لحمهم من لحمي، ودمهم من دمي، يؤلمني ما يؤلمهم، ويحزنني ما يحزنهم، أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم، وعدوٌّ لمن عاداهم، ومحبٌّ لمن أحبَّهم، إنَّهم منِّي وأنا منهم»**[١].

وعنه ـ صلى الله عليه وآله ـ: **«حسنٌ منِّي وأنا من حسن»**[٢].

وعنه ـ صلى الله عليه وآله ـ: **«حسينٌ منِّي وأنا من حسين»**[٣].

وعنه ـ صلى الله عليه وآله ـ: **«من آذى فاطمة فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله»**[٤].

ونحن نقرأ في زيارة السيدة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ: **«أشهد أنك مضيت على بينة من ربك، وأن من سرَّك فقد سرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن جفاك فقد جفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن آذاك فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن وصلك فقد وصل رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن قطعك فقد قطع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنك بضعة منه وروحه التي بين جنبيه»**[٥].

وقال الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ: **«يجري لآخرنا ما يجري لأوّلنا»**[٦].

---

(١) *مفاتيح الجنان*، حديث الكساء.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٤٣، ص ٣٠٦.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٤٣، ص ٢٧٠.

(٤) *بحار الأنوار*، ج ٢٩، ص ١٥٧.

(٥) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص ٥٧٣.

(٦) *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٣٦٠.

وقال الإمام علي ـ عليه السلام ـ: «**أوّلنا محمد، وآخرنا محمَّد، وأوسطنا محمَّد، وكلُّنا محمَّد، فلا تفرِّقوا بيننا**»[١].

وقال الإمام الجواد ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ الإمامة تَجري مَجرى النبوّة**»[٢].

**النكتة (١٣)**: نقاط الاشتراك بين النبوة والإمامة

إنَّنا نستقي من الرواية الآنفة للإمام الجواد ـ عليه السلام ـ النكات التالية:

* أنَّ الإمامة كالنبوة من حيث لزوم النص والتعيين من قبل الشارع المقدس.

* أنَّ الإمامة لا يُشترط فيها عمرٌ معيَّن، كما أنَّ النبوة كذلك، حيث لم يمنع صغر السنِّ من نبوّة عيسى عليه السلام.

* أنَّ الإمامة فيما تتطلَّبه من خصائص ومزايا، هي كالنُّبوّة تماماً.

* أنَّ الإمامة لا تنتفي بالعزل.

* أنَّ عصمة الإمام أيضاً لا بُدَّ من إثباتها.

* أنَّ الإمامة تشارك النبوة في مزية القدرات والإعجاز.

* أنَّ علم الإمام أيضاً ليس اكتسابياً، بل هو لَدُنِّيٌّ.

* أنَّ الإمامة مقرونة بوجوب الطاعة وافتراضها، كما أنَّ النبوة كذلك.

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١.

(٢) *مسند الإمام الجواد* ـ عليه السلام ـ، ص ٣٣.

والنتيجة التي نخرج بها من ذلك : أنَّ القول بأفضليَّة النبيِّ الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ من القرآن الكريم ، يقتضي القول بأفضليَّة مُماثلة لأهل البيت ؛ نظراً إلى كونهم ـ عليهم السلام ـ مساوين لرسول الله في جميع الخصائص والمزايا .

**الدليل الثاني على أفضليتهم ـ عليهم السلام ـ من القرآن الكريم:**

قال الإمام أمير المؤمنين عليٌّ ـ عليه السلام ـ : «**نزل القرآن أثلاثاً**[1]: **ثلث فينا وفي عدونا، وثلث سنن و أمثال، وثلث فرائض وأحكام**»[2].

لقد ذكرنا سابقاً أنَّ آيات الإمامة والولاية ، التي هي فُضلى آيات القرآن الكريم ، هي كرائمُ القرآن ، أي أنها ذات أفضلية على سائر آيات الذكر الحكيم[3].

والسؤال الأساس هاهنا عمَّا إذا كان من الممكن أن تكون آيات الولاية ، التي هي فُضلى آيات القرآن الكريم ، أن تكون أفضلَ وأسمى من الولاية والإمامة نفسها؟

هل من الممكن أن تكون آية «ليلة المبيت» وغيرها من الآيات التي نزلت في شأن أمير المؤمنين عليه السلام ، أفضل من أمير المؤمنين نفسه؟

هل ثمَّة مجالٌ للقول بأنَّ مرتبة القرآن الصامت، أعلى من مرتبة القرآن الناطق؟

إنَّنا بالتدبُّر في هذه المسألة نقول: إنّ ممَّا لا ينبغي الريب فيه أنّ أهل البيت

(١) وفي رواية أخرى: «**ربعٌ فينا وربعٌ في عدوِّنا**» .

(٢) *الكافي*، ج ٢، ص ٦٢٧.

(٣) تقدّم ذكرُه في «الأسُس الأوّليّة لمعرفة الإمام» .

ـ عليهم السلام ـ هم أفضل من القرآن الكريم ؛ لأن ثلث القرآن هو في شأنهم وبيان منزلتهم، والثلث الآخر هو فيما يرتبط بأعدائهم.. وهذا يعني أن ثلثَي القرآن الكريم هو مرتبط بأهل البيت عليهم السلام .

**الدليل الثالث على أفضليتهم ـ عليهم السلام ـ من القرآن الكريم:**

إنّ القرآن الكريم لا يستطيع لوحده أن يتكفّل بأمر الهداية المُبتغاة، بل هو بحاجة إلى الترجمان والمفسِّر والمطبِّق.. وهو الدور الذي يضطلع به المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام ، وهو ما يدعمه المشهود المعايَن ؛ فإنَّ الذين أفردوا القرآن بالتمسك ، ولم يقرنوه بتراجمة وحي الله تعالى من أهل بيت النبوة ، ثمّ جمدوا على ظواهر القرآن الكريم ، أدّى بهم ذلك إلى الضلال على مستوى جميع أصول الدين.. وأمَّا الذين تمسَّكوا بأهل البيت عليهم السلام، فإنهم فازوا وأفلحوا وسعدوا ؛ والسرُّ في ذلك أنَّ أهل البيت عليهم السلام يُجسِّدون ، وبشكل آمن ومضمون ـ لعصمتهم ـ تعاليمَ القرآن الكريم، فمن اتَّبعهم فقد اتبع القرآن الكريم.

وقد قال الإمام علي ـ عليه السلام ـ: «**أنا كلامُ الله الناطق**»[1].

فالمتمسِّكون بأهل البيت ـ عليهم السلام ـ يكونون بدخولهم تحت الولاية متمسكِّين بالقرآن الكريم أيضاً، كما أنَّه يفهم من مجموع الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أنَّ الملاك الذي جعله الله تعالى لقبول الأعمال ، هي ولاية أهل البيت عليهم السلام .

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٣٠، ص ٥٤٦.

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: **﴿...قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾**(١).

وقال الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ: «**بُنيَ الإسلام على خمس: على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية، ولم ينادَ بشيء كما نودي بالولاية**»(٢).

وقال الإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ: **أنا يد الله، أنا عين الله، أنا جنب الله أنا لسان الله، أنا كلام الله، أنا القلم، أنا الصلاة، أنا الأذان، أنا الحج، أنا جار الله، أنا قلب الله الواعي**(٣).

ونحن نقرأ في زيارة الإمام علي ـ سلام الله عليه ـ: «**السلام على نفس الله تعالى القائمة فيه بالسنن**»(٤).

وفي زيارة أخرى: «**السلام على نفس الله العُليا**»(٥).

والمراد بـ «**نفس الله**» : المَظهر الأسمى لله تعالى ، الذي تجلّت فيه جميع صفات الله . و«نفس الله» ـ في الحقيقة ـ معنًى متضمِّن لجميع الكلمات عميقة الغور التي تقدّم ذكرها..

---

(١) *الشورى*، من الآية ٢٣.

(٢) *الكافي*، ج ٢، ص ١٨ برقم (١) باب **دعائم الإسلام**. وعنه *بحار الأنوار*، ج ٦٥، ص ٣٢٩.

(٣) وردت هذه المضامين بصورة متفرقة تارة، وتارة منضمة بعضها إلى بعض، وذلك في العديد من المصادر، من قبيل: *الكافي*، ج ١، ص ١٤٥، *بحار الأنوار*، ج ٤، ص ٨٥، *بحار الأنوار*، ج ٢٤، ص ١٩٤، *الاختصاص*، ص ٢٤٨، *بصائر الدرجات*، ص ٦١، *وتأويل الآيات*.

(٤) *بحار الأنوار*، ج ٩٧، ص ٣٣١. الزيارة السادسة لأمير المؤمنين عليه السلام.

(٥) *مكيال المكارم*، ج ٢، ص ٣١٩.

هـا عليٌّ بشرٌ كيف بشرْ ربُّه فيه تجلّى وظهرْ[١]

وعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، أنَّه قال : «**إنَّ علياً ممسوسٌ في ذات الله**»[٢].

وبناء على جميع ما ذكر نقول: كيف يمكن أن يكون القرآن الصامت أفضل من القرآن الناطق؟ فإذا كان القرآن الكريم هو الإمام العلمي ، فإن الإمام علياً ـ سلام الله عليه ـ هو الإمام العيني .

**الدليل الرابع على أفضليتهم ـ عليهم السلام ـ من القرآن الكريم:**

لقد ورد في العديد من الروايات أنَّ المعصومين الأربعة عشر هم أوّل وأشرف ما خلق الله تبارك وتعالى ، وأنهم الصادر الأول ، حتى قبل القرآن الكريم[٣]؛ وذلك لأنَّ كلام الله تعالى حادثٌ مخلوق ، وليس من صفات ذاته تبارك وتعالى ، بل الله تعالى هو المتفرِّد بالقدم ، وكل ما عداه فمخلوق حادث.. وما من شكٍّ في أن الصادر الأول هو أفضل ممَّا يليه في الخلقة والصدور ، والسابق في الخلق قطعاً هو أسمى وأشرف من سائر المخلوقات . والسرّ في ذلك هو أننا ندرك يقيناً أنَّ الله تعالى كان له حكمةٌ في تقدُّم خلقتهم دون من عداهم..

والفلاسفة الذين يعتقدون بالعقول العشرة ، يقولون إنَّ الله تعالى خلق العقل الأوّل ، والعقل الأوّل أوجد العقل الثاني ، والثاني أوجد الثالث.. حتى العقل

---

(١) البيت للمَولى إبراهيم الخوئي .

(٢) *بحار الأنوار* ، ج ١٠٧ ، ص ٣١ .

(٣) *بحار الأنوار* ، ج ١ ، ص ٩٧ . وفيه قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**أوّل ما خلق الله نوري**».

العاشر. ويعتقدون أن العقل الأول هم المعصومون الأربعة عشر.

وبما أنَّ تقدُّم أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على القرآن الكريم، هو أمرٌ قطعي، فإنَّ ذلك دليلٌ على أفضليتهم على القرآن الكريم.

**الدليل الخامس على أفضليتهم ـ عليهم السلام ـ من القرآن الكريم:**

عالم الوجود كلُّه هو تجلٍّ لله تبارك وتعالى، وآيةٌ له، ومرآةٌ تنعكس فيها أسماؤه وصفاتُه تبارك وتعالى..

قال الله تعالى: ﴿**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾[1].

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحدُ

وقد كان آية الله الأراكي ـ رحمه الله ـ يقول: «**الإنسان هو المرآة المجلوّة شطر الحقّ**».. فإنَّ الله تبارك وتعالى خلقنا بنحو يجعلنا محاذين له، بمعنى أن نكون مرآة له تبارك وتعالى، فنظهر جماله..

وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**قالت الحواريون لعيسى: يا روح الله! من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقُه، ويرغِّبكم في الآخرة عملُهُ**»[2].

والقرآن الكريم أيضاً من الآيات التي تربط الإنسان بالله تعالى، وهو مرآة مُظهرة للذات المقدّسة، والتجلّي الأعظم له.. ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِي**

(١) *الذاريات*، الآيتان: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٣٩.

**﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾**[1].

وفي حين أنّ القرآن الكريم آيةُ الله العظيمة، فإنّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ هو آية الله العُظمى؛ ولذا نقرأ في زيارة أمير المؤمنين: «**السلام عليك يا حجة الله الكبرى، السلام عليك يا آية الله العُظمى**»[2]. فالحجة الكبرى والآية العظمى هم الأئمّة المعصومون عليهم السلام، وسائر الخلق هم آياته تبارك وتعالى، ولكن بغير قيد «الكبرى» و «العظمى».

وقد قال الإمام علي ـ عليه السلام ـ: «**ما لِلّه نبأ أعظمُ منّي، وما لِلّه آيةٌ أكبرُ منّي**»[3].

وكلمة «آية» في هذه الرواية الشريفة نكرةٌ في سياق النفي، وذلك يفيد العموم، أي أن الإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ يفوق جميع الآيات عظمةً ورفعةً حتى القرآن الكريم.. وبذلك يعني أنّ الإمام علياً أعظم من القرآن..

إنّ جميع ما جاء في الكتب السماوية، هو في القرآن الكريم، وجميع ما في القرآن الكريم هو في سورة الفاتحة، وجميع ما في سورة الفاتحة هو مجموعٌ في بسملتها، وجميع ما في البسملة هو في باء البسملة، وجميع ما في باء البسملة هو في النقطة التي تحت الباء.. والإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ هو النقطة التي تحت الباء[4].

---

(١) *الحجر*، الآية ٨٧.

(٢) *مفاتيح الجنان*، زيارة أمير المؤمنين المروية عن الإمام الصادق عليهما السلام.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٣٦، ص ١.

(٤) *القطرة*، ج ١، ص ١٢٠. *ينابيع المودة*، ص ٦٩ و ٤٠٨.

إنّ باء البسملة هي باء الاستعانة ، وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم اسم الله تبارك وتعالى ؛ «**نحن والله الأسماء الحسنى**»[١] ، «**السلام على اسم الله الرّضي**»[٢] .. وهذا معناه أنّ ابتداء القرآن الكريم هو بالاستعانة بالإمام المعصوم ، فلم يقل : بالله الرحمن الرحيم ، بل قال : «**بسم الله الرحمن الرحيم**».. فإنّ المعرفة والعرفان ، وسلوك طريق التكامل ، والوصول إلى الله تعالى ، إنما يتيسّر عن طريق أهل البيت والاستعانة بهم عليهم السلام..

إنّ القرآن بظاهره وباطنه ، جميعه متحقّقٌ متجلٍّ في أشخاص الأربعة عشر معصوماً من أهل البيت عليهم السلام .

والقرآن الكريم هو أحد شؤون أهل البيت عليهم السلام ، وقد قال الإمام علي ـ عليه السلام ـ : «**أنا المثاني والقرآن الحكيم**»[٣] . وقال ـ عليه السلام ـ : «**أنا الأوّل، وأنا الآخر، وأنا الظاهر، وأنا الباطن**»[٤] . وقال ـ عليه السلام ـ : «**أنا النقطة التي تحت الباء**»[٥] . وقال ـ عليه السلام ـ : «**أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله**»[٦] ..

فالمعصومون الأربعة عشر هم الآية الكبرى والنبأ الأعظم ، وحجة الله الكبرى ،

---

(١) *الكافي*، ج ١ ، ص ١٤٣ .

(٢) *مفاتيح الجنان*، الزيارة المطلقة لأمير المؤمنين عليه السلام .

(٣) *القطرة*، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، نقلاً عن *الفضائل* لابن شاذان القمي ، ص ٨٠ .

(٤) *بحار الأنوار*، ج ٣٩، ص ٣٤٩.

(٥) *مشارق أنوار اليقين*، ص ٢٩ . *الحكمة المتعالية* ، ج ٣، ص ٣٢ .

(٦) *بحار الأنوار*، ج ٢٤ ، ص ١٩٨ . وينبغي الالتفات إلى أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ منزّه عن التركيب والأجزاء ، وكذا عن التشبيه بالمخلوقات ، وهذا النوع من العبارات تُحمل على معنًى مجازي .

الذين يفوقون القرآن الكريم مرتبةً وفضلاً.

**النكتة (١٤)**: الثقل الأكبر والثقل الأصغر

قد يُطرح تساؤل مفاده: أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إذا كانوا أفضل من القرآن الكريم، فما هو الوجه في التعبير عن القرآن الكريم بـ«الثقل الأكبر»، وعن أهل البيت بـ «الثقل الأصغر»؟

**فنجيب أوّلاً:** على فرض القبول بصحة الرواية المشار إليها، فإنها مُعارَضَة بروايات أخرى، فقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**إنِّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعلي بن أبي طالب، واعلموا أن علياً لكم أفضل من كتاب الله؛ لأنَّه مترجمٌ لكم عن كتاب الله تعالى**»[1].

على أنَّ مفهومَي «الأفضل» و «الأكبر» بينهما اختلاف ماهوي.. فكتاب الله هو الأكبر من جهة وبمعنًى، وأهل البيت أفضل من جهات أخرى، والقرآن الكريم أحد شؤون أهل البيت عليهم السلام..

**ونجيب ثانياً:** إنَّ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ كان يخاطب الناس على قدر عقولهم[2]، ويندرج في هذا السياق تعبيرُهُ ـ صلى الله عليه وآله ـ عن القرآن الكريم بالثقل الأكبر؛ لأنَّ الناس لم يكونوا في المستوى المطلوب من

---

(١) *مئة منقبة* لابن شاذان القمي، ص ١٦١.

(٢) في كتاب *الكافي*، ج ١، ص ٢٣، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام، قال: «**ما كلَّم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ العبادَ بكنهِ عقله قطُّ**»، وقال ـ عليه السلام ـ: «**قال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إنَّا معاشر الأنبياء أُمرنا أن نُكلِّم النَّاس على قدر عقولهم**».

الأهليَّة ، فكان مطلوباً أن يُخاطبوا بما يتناسب مع عقولهم ؛ لئلاً يستنكروا ما يسمعون ، فيؤدّي ذلك إلى تطرُّق الريب في قلوبهم..

وقد قال النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ لأمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : **«إنَّ فيكَ شَبَهاً مِنْ عيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَلَوْ لا أَنْ تَقُولَ فيكَ طَوَائفُ مِنْ أُمَّتي مَا قَالَت النَّصَارَى في عيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، لَقُلْتُ فيكَ قَوْلاً لا تَمُرُّ بِمَلإٍ مِنَ النَّاسِ إلاّ أَخَذُوا التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ؛ يَلْتَمِسُونَ بِذَلكَ الْبَرَكَةَ»**[1].

ومن ذلك يعلم أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ كان يخفي عظيمَ مناقب الإمام عليٍّ عليه السلام ؛ حفاظاً على استقامة الناس ، الذين يُخشى عليهم من الضلال بسبب عدم استعدادهم وأهليتهم الفكرية..

وإنَّه لمن الغريب أنَّ هذا القدر الواصل إلينا من فضائله ـ عليه السلام ـ هو أيضاً ممَّا سعى المخالفون إلى إنكاره وتحريفه .

**ونجيب ثالثاً:** حكى العلامة الميرزا حبيب الله الخوئي في شرحه لنهج البلاغة ، عن المرحوم البحراني ، قوله :

**«وأمَّا تسمية القرآن بالأكبر، والعترة بالأصغر، مع كون العترة أفضل من القرآن عندنا (عند الإمامية) ، وكونهم قيِّمين له ؛ لأنه الأصل المتَّبع المقتدى به»** .

فأجاب عنه العلامة الخوئي قائلاً :

**«أقول: ليس بشيء؛ إذ العترة أيضاً أصلٌ مُتّبَعٌ مُقتدًى. ويُحتمل أن يكون وصفه**

---

(١) *الكافي*، ج ٨، ص ٥٧.

به من جهة أنّه لمّا كان مُعجزاً للرسالة وسنداً لها والولاية، وأساساً للدين وسناداً للشرع المبين ، ولولاه لم يثبت رسالة ولا شريعة ولا ولاية ولا دين ولا إيمان ، لا جرم وصفه به»[١].

ونجيب رابعاً: بما أفاده آية الله جوادي الآملي ، حيث قال :

«هذا النوع من التعابير إنما هي بالنظر إلى نشأة الطبيعة؛ حيث إنَّ التكليف اللازم في هذه النشأة هو الدفاع عن القرآن الكريم. والإنسان الكامل ليس أقل من القرآن الكريم بأي نحو من الأنحاء، وإلاّ لزم الافتراق بينهما. إنَّ الإنسان الأول هو الصادر الأوّل، والصادر الأوّل إمّا أن يكون أفضل وإما أن يكون مُضاهياً للقرآن الكريم في الفضل»[٢].

كما أفاد ـ زيد عزُّه ـ :

«لا يمكن بوجه من الوجوه إثباتُ أفضلية القرآن الكريم من ذات الخليفة التام للّه تبارك وتعالى. وقد تطرّق كاشف الغطاء ـ رحمه الله ـ إلى جانب من هذا البحث بنحو من الإشارة، ولم يتناوله بصورة كاملة؛ فإنَّ مسألة بهذا القدر من الغور والدقة والعمق، هي في منأى حتى عن مُتناوَل فقيه من هذا الطِّراز»[٣].

وتوضيح ذلك أنَّ وصف القرآن الكريم بالأكبر، هو من حيث التقدّم الزماني، فعلى سبيل المثال: يمكننا أن نقارن بين العلوم، فنقول إن علم التوحيد والكلام

---

(١) *منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة*، ج ٦، ص ٢١٥.

(٢) *ادب فناى مقرّبان* (فارسي)، ج ٢، ص ٢٠٠.

(٣) *تفسير تسنيم* (فارسي)، ج ١، ص ١٣٣.

هو أشرف العلوم ، إلاّ أنَّ علمَي الصرف والنحو يتقدمان زماناً ؛ لأنَّ الدارس ما لم يُتمَّ دراسة هذين العلمين ، فإنه لا يتيسّر له دراسة علم العقيدة الإسلامية . هذا ؛ وإن كان علم العقيدة متقدّماً بذاته رتبةً وفضلاً على هذين العلمين ، إلاّ أنَّ تسلسُل المراحل يقتضي تقدُّم ما هو أقل مرتبةً وفضلاً ، تقدماً زمانياً ، لا تقدُّماً في رتبة الفضل ومنزلة الشرف . وفي ضوء ذلك نقول : إنَّ القرآن الكريم له تقدم بالنظر إلى أنه المعجزة التي تثبت الدين كله ، بما في ذلك النبوة والولاية ، وهذا معنى وصفه بالأكبر ، وليس المقصود أنه أكبر من جميع الجهات بما يعطيه مرتبة من الفضل يفوق بها مرتبة أهل البيت عليهم السلام.. بل التفوق والأفضلية لأهل البيت عليهم السلام من جهات عديدة .

**ونجيب خامساً:** إنَّ الذوات المقدّسة للمعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ ذات أربعة شؤون وأبعاد ، هي :

**البُعد الأول:** البُعد البشري ، والمقصود به ما يشتركون فيه مع سائر البشر من حياة ظاهرية ، ويندرج في هذا البعد قوله تعالى : **﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾**[1] .

**البُعد الثاني:** إمامتهم عليهم السلام ، وهي رئاستهم على أمور الخلق ، فيما يشمل الدين والدنيا والآخرة .

**البُعد الثالث:** ولايتهم عليهم السلام ، بمعنى سُلطة التصرُّف في عالم الوجود (الولاية التكوينية) .

**البعد الرابع:** نورانيتهم عليهم السلام ، التي سبقت خلق العالم . ونورهم

---

(١) *الكهف* ، من الآية ١١٠ . و *فُصِّلت* ، الآية ٦ .

ـ عليهم السلام ـ من نور الله تبارك وتعالى .

وبالنَّظر إلى هذه الأبعاد الأربعة في ذوات المعصومين عليهم السلام، يمكن القول بأنّ وصفهم بالثقل الأصغر، ناظرٌ بالخصوص إلى البُعد الأوّل في حقيقتهم عليهم السلام، وهو البعد البشري والخلقة الجسمانية الدنيوية. وأمَّا بالنظر إلى إمامتهم وولايتهم ونورانيتهم عليهم السلام، فإنَّهم الثقل الأكبر والقرآن الكريم هو الثقل الأصغر[1].

***

(١) وقد قام آية الله الميرجهاني ـ رحمه الله ـ في كتابه ***ولايت كليه***، ص ١٢٥، باستعراض ومناقشة أدلّة القائلين بأفضلية القرآن الكريم من أهل البيت عليهم السلام، وذكر بعد ذلك اثني عشر دليلاً لإثبات أفضلية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على القرآن الكريم .

# الفصل الثاني

## علمُ الإمام

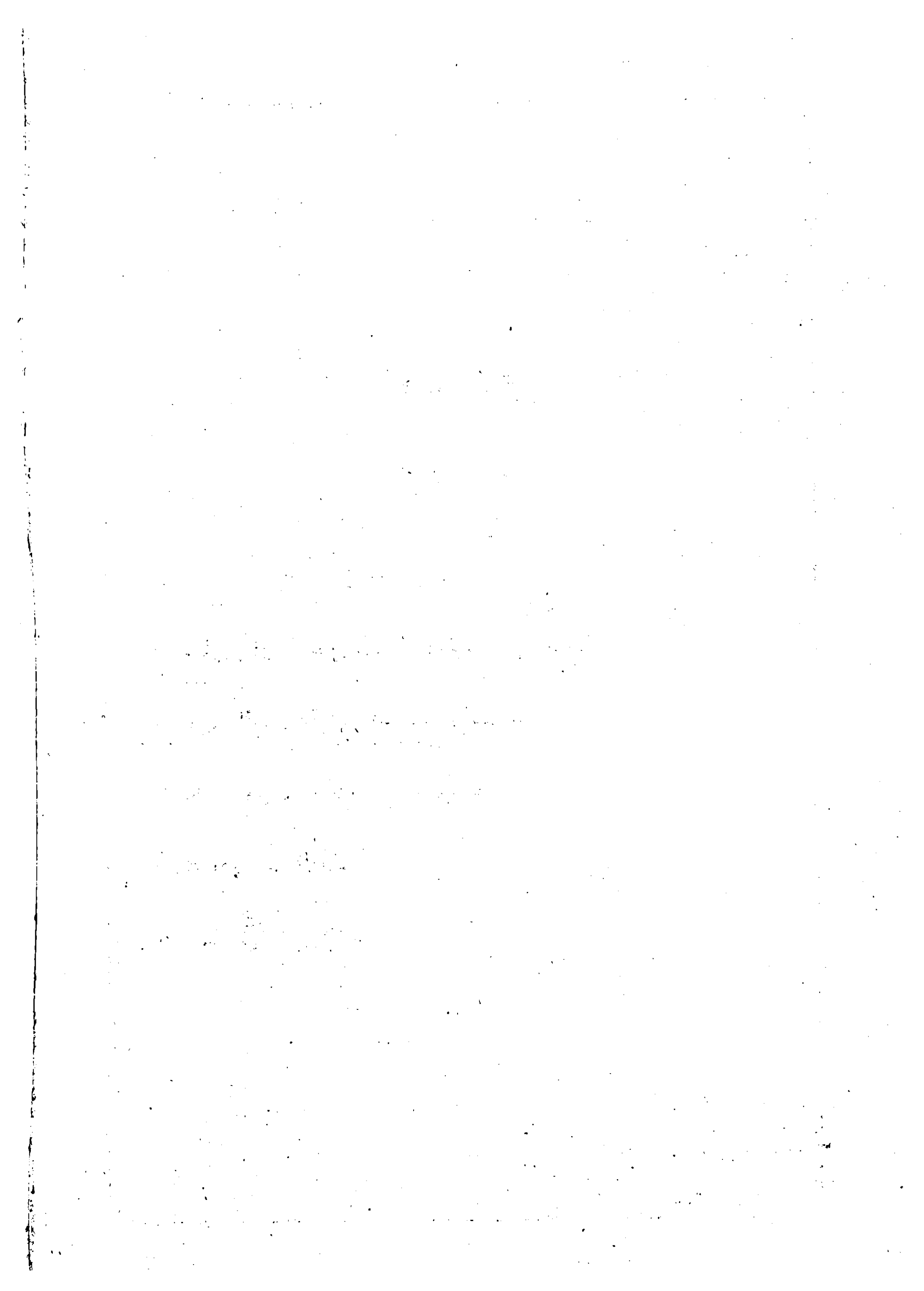
* تساوي أو تفاضل الأئمة الأطهار في العلم.

* الآراء المختلفة في التساوي والتفاضل.

* دراسة روايات التساوي والتفاضُل.

* مصادر علم الإمام.

* مصاديق علم الإمام.



# علمُ الإمام

*** توطئــة**

من البحوث المهمة فيما يرتبط بمعرفة الإمام : علمُ الأئمَّة من أهل البيت عليهم السلام . وعلمُ المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ علمٌ شاملٌ وكاملٌ ووسيع بوسعة ما كان وما يكون ممَّا عدا الذات الإلهية المقدَّسة ، وكلُّ ما يمكن أو لا يمكن أن يخطر ببال الإنسان ، فهو يدخل في نطاق علم الأئمة المعصومين عليهم السلام.. وبعبارة أُخرى : ليس في علمهم ـ عليهم السلام ـ ما يُمثِّل مجهولاً أو نقطةَ إبهام . وذلك لأنَّ مقام حجة الله وخليفته يستدعي كمال العلم وشمول المعرفة .

وقد قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ لأحد أصحابه :

**«أترى من جعله الله حُجَّة على خلقه يخفى عليه شيءٌ من أمورهم؟»**[1] .

وقال الإمام الخميني ـ قدّس الله نفسه الزكيَّة ـ :

**«إنَّ الأحاديث المأثورة في طينة أبدانهم ، وخلق أرواحهم ونفوسهم ، وفيما مُنحوا من الاسم الأعظم ، والعلوم الغيبية الإلهية من علوم الأنبياء والملائكة ، وممَّا هو أعظم ممَّا لا يخطر على بال أحد، وهكذا الأخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الأبواب من الكتب المعتبرة وخاصة كتاب أصول الكافي، إنَّ مثل هذه الأخبار كثيرة**

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦ ، ص ١٣٨ .

**بقدر يبعث على تحيُّر العقول، ولم يقف أحد على حقائقهم وأسرارهم عليهم الصلوات إلاّ أنفسهم»**[١].

وبعد أن عرفنا أنَّ الإمامة من أهمِّ أصول الدين الإسلامي، وأنَّ الانحراف عن هذا الأصل يوجب الانحراف عن الدين كلِّه؛ قد آن لنا أن نتناول خصائص ومزايا الإمام بالدراسة والتمحيص؛ حتَّى نعرف الذين يُمثِّلون المصاديق الحقيقيَّة للإمامة، لئلاّ نقع في الخطأ على صعيد التطبيق، فنجتنب الخلل الذي وقع فيه الآخرون، حيث لم يقوموا بتحديد مصاديق الأئمَّة بصورة صحيحة، بل اتَّخذوا الأئمَّة بصورةٍ عُشوائيَّة أوجبتْ تورُّطهم في الانحراف المفرط عن جادة الصواب.

ومن خصائص ومزايا الأئمة: علمُهم عليهم السلام؛ فإنَّ من يفترض أن يكون حجَّة الله على عباده بعد النبي صلى الله عليه وآله، ويتكفَّل هداية البشرية جمعاء، لا بدَّ أن يكون محيطاً بجميع العلوم والأسرار والخفايا التي ترتبط بظاهر العالم وباطنه؛ حتى يتيسَّر له بذلك قيادة العالم وهدايته نحوَ الله تبارك وتعالى.

وهذه المزية لم تتحقَّقْ بتمامها وكمالها في غير المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، وهي فيهم بالمستوى الذي لم يكنْ في أحد قبلهم، ولا يكون في أحد بعدهم.

ومنهجنا في مبحث علم الأئمَّة ـ عليهم السلام ـ هو أن نتناول المُحكمات والمسلَّمات عن طريق الآيات والأحاديث؛ بما ينتهي بنا إلى إحقاق ما يعتقده الشيعة الإمامية. ثم نتطرّق إلى الشبهات والإشكاليات التي يمكن أن تُطرح على الموضوع، ونجيب عنها بالصحيح المناسب من الإجابات.

---

(١) *الأربعون حديثاً* للإمام الخميني،

## * تساوي أو تفاضل الأئمة الأطهار في العلم وسائر الفضائل

من الأمور المهمة التي ترتبط بعلم المعصومين الأربعة عشر صلوات الله عليهم؛ دراسةُ تساويهم ـ عليهم السلام ـ من حيث العلم والفضل وسائر الكمالات، وكذا في مجال الطاعة والأمر والنهي، وأنهم ـ عليهم السلام ـ مشتركون في ذلك كله.

وبناء عليه: حين نتحدّث عن علم أمير المؤمنين علي عليه السلام، أو نذكر رواية، فإنّ ذكر عليٍّ عليه السلام لا يمثّل تحديداً لما نتحدث عنه في شخص الإمام عليه السلام وبخصوصه، بل هو عليه السلام يمثل مصداقاً من المصاديق التي ينطبق عليها ذلك العنوان من الفضل والمنقبة، ويصح لنا تعميم ما يُذكر في حقّه على سائر المعصومين صلوات الله عليهم. وهكذا حين نثبت فضيلة لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فإنّها تنطبق بلا ريب على سيدتنا الزهراء وسائر الأئمة المعصومين عليهم السلام، باستثناء خصائص مُعينة تتطلّب بحثًا خاصاً بها.

فعلى سبيل المثال حين نذكر في حقّ الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ وصفَ: «**باقر علم الأولين والآخرين**»، فإنّه كان مقتضى الظروف والملابسات الزمانية إضافةً إلى أمر الله ـ تبارك وتعالى ـ أن تتمهّد الأسباب لتفتّق العلوم، ويؤمر الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ بإظهارها.. وإلاّ فإنّنا حين نصرف النظر عن خصائص الظروف والملابسات، فإنّ جميع الأئمة ـ عليهم السلام ـ يتوفّرون على خاصية ومنزلة إظهار العلوم وتفجير ينابيعها، ولذلك هم جميعاً باقرو العلوم بلا فرق.

## * الآراء المختلفة في التساوي والتفاضل

فيما يرتبط بتفاضل أو تساوي أهل البيت عليهم السلام في الفضائل والكمالات، ثمَّةَ طائفتان من الروايات، وبتبعها أربع وجهات نظر.. وفيما يلي تفصيل ذلك.

الطائفة الأولى من الروايات: هي الروايات التي تدل على تساوي أهل البيت عليهم السلام في جميع الفضائل والكمالات.

الطائفة الثانية من الروايات: هي الروايات التي تدل على تفضيل بعضهم على بعض.

وفي ضوء ذلك ذهب فريقٌ إلى اعتماد مفاد الطائفة الأولى؛ فقالوا بتساوي المعصومين عليهم السلام من حيث الفضل والمنزلة، وقاموا بمعالجة الطائفة الثانية من الروايات بما يفضي إلى رفع اليد عن مدلولها الظاهري. في حين أنَّ فريقاً آخر من العلماء قالوا بالتفاضل استناداً إلى الطائفة الثانية من الروايات، بينما توقّف فريقٌ ثالث عن إبداء وُجهة نظر في الموضوع، أمَّا الفريق الرابع ـ كالعلامة الطباطبائي ـ فقد تبنّى وُجهة نظر جديدة بعد الجمع بين مدلول الطائفتين.

## * دراسة روايات التساوي والتفاضُل

### الطائفة الأولى من الروايات:

**الرواية الأولى:** عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم ـ عليهما السلام ـ قال: **«نحن في العلم والشجاعة سواء وفي العطايا على قدر ما نؤمر»**[1].

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٢٧٥. *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٣٥٧. *الاختصاص* للشيخ المفيد، ص ٢٦٧. وقد فسَّر العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ «العطايا» بالعطاء في العلم والمال.

والرواية دالّة على أنّ ما يبرزه إمامٌ في زمانه من مزايا وخصائص وكمالات، فليس يعني أنّ سائر الأئمة يفتقدون ذلك، أو أنهم بالنسبة لتلك الخصائص والكمالات يتفاوتون قوّةً وضعفاً، بل هم جميعاً متساوون من حيث الفضل والمنزلة والخصائص، وإنّما يُظهر الإمام فضله بما يتناسب مع مقتضى الزمان والظروف، وبحسب ما يأذن به الله تعالى على أساس المصلحة الواقعية.

**الرواية الثانية:** عن زيد الشحام قال: قلت لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: أيما أفضل الحسن أم الحسين؟ فقال ـ عليه السلام ـ: «**إنّ فضل أوّلنا يلحق بفضل آخرنا، وفضل آخرنا يلحق بفضل أوّلنا، وكلٌّ له فضلٌ**». قال: قلت له: وسّع عليّ في الجواب؛ فإني والله ما سألتك إلاّ مرتاداً. فقال: «**نحن من شجرة طيبة برأنا الله من طينة واحدة، فضلُنا من الله، وعلمُنا من عند الله، ونحن أمناؤه على خلقه، والدعاة إلى دينه، والحُجّاب فيما بينه وبين خلقه. أزيدك يا زيد؟**» قلت: نعم. فقال: «**خلقُنا واحدٌ، وعلمنا واحد، وفضلنا واحد، وكلنا واحد عند الله تعالى... أوّلنا محمّد وأوسطنا محمّد وآخرنا محمّد**»[1].

**الرواية الثالثة:** قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «**إنّه لا يجدُ عبدٌ حقيقةَ الإيمان حتّى يعلم أنّ لآخرنا ما لأوّلنا**»[2].

ولا بدّ من التنبيه على أنّ المراد بالعلم في هذا النوع من الروايات هو ما يكون من أفعال القلوب، أي أنه لا يكفي الإدراك العقلي، بل لا بدّ من الاعتقاد القلبي.

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٣٦، ص ٣٩٩.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٣٥٩.

**الرواية الرابعة:** عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أنه قال: **«ليس شيء يخرج من عند الله إلاّ بدأ برسول الله صلى الله عليه وآله، ثمَّ بأمير المؤمنين عليه السلام، ثم بمن بعده ليكون علمُ آخرهم من عند أوّلهم، ولا يكون آخرهم أعلم من أوّلهم»**[١].

**الرواية الخامسة:** عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر ـ عليه السلام ـ يقول: «... **فلم يعلم والله رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حرفاً ممّا علّمه اللهُ إلاّ وقد علّمه علياً عليه السلام، ثم انتهى ذلك العلمُ إلينا ثمَّ وضع يده على صدره»**[٢].

**الطائفة الثانية من الروايات:**

وهي الروايات الدالة على التفاضل بين الأئمة عليهم السلام، وهي:

**الرواية الأولى:** عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أنه قال: **«نحن في الأمر والفهم والحلال والحرام نجري مجرى واحداً، فأمّا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وعليٌّ ـ عليه السلام ـ فلهما فضلهما»**[٣].

وهذه الرواية مع أنّها تدل على التساوي في الفضل، تدل في الوقت نفسه على مرتبة خاصة من الفضل للنّبي وعليٍّ صلوات الله عليهما وعلى آلهما.

وقد يكون المراد من هذه الفضيلة الخاصة مقام النبوة الذي يختص به رسول الله صلى الله عليه وآله، وكونه كان معلّم الإمام عليٍّ عليه السلام. وبالنسبة للإمام

---

(١) *المصدر نفسه*.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٢٦٣. *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١٧٣.

(٣) *الكافي*، ج ١، ص ٢٧٥. *مرآة العقول*، ج ٣، ص ١٧٨، ح ٣.

عليٍّ: مؤازرته ومشاركته لرسول الله في تحمل المهام الرسالية، وفي ضوء هذا الفهم لا يكون ثمَّة تناف بين التساوي والتفاضل؛ لأنَّ التلميذ يمكن أن يحصل على جميع الفضل الذي يحظى به أستاذُه فيُساويه، وتبقى الأستاذية مزيةً يتفوّق بها الأستاذ.

وفي الباب روايات أخرى دالّة على التفاضل، مثل: بعضنا أعلم من بعض، بعضٌ أعظم من بعض، بعضٌ أفضل من بعض[1].

وقد التزم العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ بالتساوي في الفضل في عدّة مواضع، وقام بطرح إجابتين تعليقاً على هذه الطائفة، وهما:

**الإجابة الأولى:** يحتمل أن يكون ذلك للتقية من غلاة الشيعة.

**الإجابة الثانية:** بسبب ما يتجدّد له من العلم وإن أُفيض إلى روح الأوّل أيضاً[2].

وفي مسألة وُجِّهت إلى السيد المرتضى ـ رحمه الله ـ من قِبَل مُسلمٍ أفريقيٍّ فيما يرتبط بتفاضل الأئمة الأطهار عليهم السلام، قال السيد المرتضى في جوابه: «الفضل في الدين لا يُقطع عليه إلاّ بالسمع القاطع، وقد رُوي أنَّ الأئمَّة متساوون في الفضل، ورُوي أن كلّ إمام أفضل ممَّن يليه سوى القائم عليه السلام، فإنَّه أفضل من المتقدِّمين عليه. فالأولى التوقُّف في ذلك فلا دليل قاطعاً عليه»[3].

بيد أنَّ السيِّد المرتضى ـ رحمه الله ـ في جوابه عن المسألة التالية التي

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٣٥٨.

(٢) *المصدر نفسه*.

(٣) *أنوار الولاية*، ص ٣١٠.

ترتبط بالتفاضل بين الإمامين الحسنين عليهما السلام، عدل عن التوقُّف وقال ما نصه: «**الجواب الصحيح تساويهما في الفضل، فلا يفضل أحدهما على صاحبه بلا دليل عليه**»[١].

وقال الشيخ الصدوق في «الاعتقادات»، ص ٩٦ ما نصُّه:

«**اعتقادنا في الأنبياء والرسل والحجج - عليهم السلام - أنَّهم أفضل من الملائكة، واعتقادنا أن محمداً - صلى الله عليه وآله - سيدهم وأفضلهم، ويجب أن نعتقد أنَّ الله تعالى لم يخلق خلقاً أفضل من محمَّد والأئمة عليهم السلام، وأنهم أحب الخلق إلى الله تبارك وتعالى، وأكرمهم عليه، وأولهم إقراراً به**».

وقال العلامة زين الدين الگلپايگاني في «أنوار الولاية»: «**أمَّا أفضلية نبيِّنا - صلى الله عليه وآله - على سائر الأئمة عليهم السلام، فهي أيضاً غير خفية، وأمَّا أفضلية أمير المؤمنين على سائر الأئمَّة عليهم السلام، فهي نص الكتاب في آية المباهلة وغيرها**»[٢].

فقد استند إلى «**أنفسنا**» في آية المباهلة، وغيرها من قبيل: حديث «**خير البشر**»، وحديث الطائر المشوي الذي جاء فيه: «**اللهمَّ ائتني بأحب الخلق إليك حتى يأكل معي**».

بيد أنَّ الأدلَّة المذكورة لا تنهض بإثبات التفاضل الذي قال به؛ فليس ثمَّة دليل تامٌّ على أفضلية أمير المؤمنين - عليه السلام - من سائر الأئمة، وقد ورد التعبير بـ«أنفسنا» وكذا «خير البشر» في حقِّ بقيَّة المعصومين عليهم السلام، فقد

---

(١) *المصدر نفسه*.

(٢) *أنوار الولاية*، ص ٣١٤.

ورد في حقّ السيِّدة الزهراء ـ عليها السلام ـ: «**فاطمة نفسي وروحي وقلبي**». وبناء عليه فالنقض وارد على الأول والثاني من الاستدلالين.

أمَّا استناده ثالثاً إلى حديث الطائر المشوي، فإنَّ من الممكن أن يكون الحصر نسبياً إضافةً إلى الأنبياء والأوصياء والملائكة، لا أن يكون حقيقياً ليشمل بجانب النفي الأئمة المعصومين عليهم السلام.

إلاَّ أنَّ العلامة زين الدين الگلپايگاني قال:

«**ونحن نتوقف في ذلك كلِّه، ولا نحكم بشيء حيث لا نجد دليلاً قاطعاً، فنقرُّ باشتراكهم في جميع الفضائل، ونتوقّف بالتفضيل والتساوي**»[1].

ونقرأ للكراجكي ـ رحمه الله ـ قوله:

«**يجب أن يعتقد أن أفضل الأئمَّة أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنه لا يجوز أن يُسمَّى بأمير المؤمنين أحدٌ سواه**» إلى أن قال: «**وأنَّ أفضل الأئمة بعد أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ولده الحسن ثم الحسين، وأفضل الباقين بعد الحسين: إمامُ الزمان المهدي صلى الله عليه وآله، ثمَّ بقيَّة الأئمَّة من بعده على ما جاء به الأثر وثبت في النظر**»[2].

وتمكن المناقشة في ما ذكره ببيان أنّ سمة «أمير المؤمنين» هي من خصائص الإمام علي عليه السلام، والخصائص غير الفضائل، ولكل إمام خصائص يمتاز بها، كما أنَّ هذه السمة إنما مُنعت عن سائر الأئمة لفظاً، وأما المضمون والمعنى فثابت لهم جميعاً.

---

(١) *المصدر نفسه*.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٣٦٢، نقلاً عن *كنز الفوائد* للكراجكي.

وثمَّة عبارات أخرى يمكن أن يُستدلّ بها على التفاضل ، وهي في حقّ الإمام عليٍّ وكذا غيره من الأئمة عليهم السلام ، من قبيل قول الإمام الباقر في حقّ الإمام عليٍّ ـ عليهما السلام ـ: **«لَمْ يُرَ مثلُه»**[١]، وكقول الإمام ـ عليه السلام ـ في حقّ الإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ: **«وما أطاق أحدٌ عملَه»**[٢]، وحديث **«أبوهما خير منهما»**[٣]، وحديث **«إنَّ أفضلهم تاسعهم، وهو ظاهرهم وباطنهم»**[٤]، وما قاله الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ لأخته السيدة زينب ـ سلام الله عليها ـ: **«ذهب مِنَ الدنيا مَنْ هو خيرٌ منِّي؛ جدِّي وأبي وأُمِّي وأخي»**[٥].

وللعلاّمة الطباطبائي ـ رحمه الله ـ قولٌ آخر فيما يرتبط بهذا القبيل من الروايات ، حيث يقول :

**«إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في مرتبة النورانية هم متساوون، ولا تمايز بينهم في مقام الحقيقة، وهذا القبيل من الروايات تتناول مجال ما دون مرتبة النورانية، أي النشأة الطبيعية والبشرية لهم عليهم السلام، فهم في هذه الدنيا ذوو مراتب، والإمام السابق أفضل من الإمام اللاحق، وإن كان يمكن أن يمتاز الإمام اللاحق على سابقه بمزايا معينة، فالإمام الحسن ـ على سبيل المثال ـ هو سيد الشهداء، مع أنَّ الإمام الحسن المجتبى ـ عليه السلام ـ هو الأفضل في حلمه في النشأة البشرية والإمامة الظاهرية، وهكذا الإمام زين العابدين ـ عليه السلام ـ من حيث العبادة، والإمامان**

---

(١) *الإرشاد للشيخ المفيد*، ص ٢٨٨ .

(٢) *الكافي (الروضة) للشيخ الكليني*، ص ١٢٩ ، الحديث ١٠٠ .

(٣) *بحار الأنوار*، ج ١٧، ص ٢٤٢ .

(٤) *الغيبة للنعماني*، ص ٦٢ .

(٥) *بحار الأنوار*، ج ٤٥، ص ٣ .

**الباقر والصادق ـ عليهما السلام ـ في مجال بثٍّ العلم ونشره»**[١].

إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ جميعهم ذوو مقام نوراني واحد ؛ وفي ذلـك نقـرأ : «**إنَّ الله خلقـنا من نور عظمته**»[٢]، ولهم مقام بشري أيضاً ؛ كما نقرأ في قوله تعالى : ﴿**قُل إنَّما أنا بشرٌ مثلُكم يُوحَى إليَّ**﴾[٣].

إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في عالم الأنوار يعلمون بكل شيء ، وفي هذا العالم لا معنى لتداول العلم والمعرفة ، ولا حاجة إلى اعتبار سلسلة المراتب أو نزول جبريل عليه السلام . أمَّا في عالم الطبيعة والنشأة البشرية فلا بد من اشتراط ذلك ، فينزل جبريل ـ عليه السلام ـ حتى يتم الحفاظ على السياق الأساسي للقضية ، فيرتبط الأئمة بالنبي صلى الله عليه وآله ، و يرتبط النبي عن طريق جبريل بالله تبارك وتعالى ، و يقوم النبي بتعليم الإمام عليٍّ تلك العلوم.. و الحقيقة أنَّ المعصومين مرتبطون مباشرةً و بغير واسطة بالله تبارك و تعالى ، و لا حاجة إلى رعاية الرتبية أو تنزيل ملك الوحي .

والوجه الآخر أن يُقال إنَّ هذه العلوم التي هي من (عين اليقين) ، و هي التي يفيضها الله تبارك و تعالى على رسوله ـ صلى الله عليه و آله ـ و من ثمَّ على الأئمة عليهم السلام ، لا (علم اليقين) ، أي أنَّ العلم الواقعي يتساوى فيه جميعهم بغير تفاضل ، فالذي يلزم أن يتحقَّق في الخارج كمصاديق وفي إطار عين اليقين ، هو يُفاض عليهم مع رعاية الرُّتبية الخاصة .

---

(١) *در محضر علامه طباطبايى*، ص ١٦١ .

(٢) *الكافي للشيخ الكليني*، ج ١ ، ص ٣٨٩ .

(٣) *الكهف* ، من الآية ١١٠ . و *فُصِّلت* ، الآية ٦ .

ولسماحة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى الخامنئي ـ دام ظله الوارف ـ بياناً متميِّزاً فيما يرتبط بالموضوع ، حيث قال ما مفاده :

**«إنَّ علينا أن ننظر إلى الـ ٢٥٠ عاماً في شخص واحد، تحتَّم عليه في ظروف معيَّنة ضمن فترة زمنية خاصَّة أن يقعد في بيته، وفي فترة زمنية أخرى تحتَّم عليه القيام، وفي فترة زمنية آخرى تحتَّم عليه أن يمارس نشر العلم وبثَّه.. فهم ـ عليهم السلام ـ يعبَّرون عن حقيقة واحدة، إلاّ أنَّ الظروف كانت تقتضي أن تتجلّى هذه الحقيقة بصورة خاصّة في كلٍّ مرحلة زمانية»**(١).

ويقول آية الله الجوادي الآملي :

**«هو نورٌ واحد يسطع في أربعة عشر مصباحاً، فالمصابيح تتعدّد؛ فمنها الأخضر والأحمر والأبيض، ومنها الكبير والصغير.. وفي الزيارة الجامعة، حيث ذِكرُ (مصابيح الدجى) و ذكرُ (كنتُم نوراً) ؛ نجد في هذه الزيارة أنَّ (النور) يرد في صيغة الإفراد، في حين أنَّ لفظ (مصابيح) يرد جمعاً، وبناء عليه: النور واحدٌ والمصابيح مُتعدِّدةٌ.. الأجساد متعدِّدةٌ والجوهر الذي تتضمّنه واحدٌ»**(٢).

**النكتة (١٥)** : الزيارة الجامعة الكبيرة والتساوي في الفضائل

حين نطالع الزيارة الجامعة الكبيرة ، وكذا غيرها من الأدعية و الزيارات الكثيرة ، و نتأمّل ما ورد فيها من ذكر خصائص و مناقب و فضائل و كمالات أهل البيت المعصومين المطهَّرين عليهم السلام ، فإنّنا سنخرج بنتيجة مفادها

---

(١) ***شناخت نامه اهل بيت*** ـ *عليهم السلام* ـ، ص ١٨ .

(٢) ***ادب فناى مُقرّبان***، *(شرحٌ للزيارة الجامعة)* ج ١، ص ٣١٨ .

أنّهم جميعاً في مرتبة واحدة من حيث الفضل والكمال والعلم والحلم والشجاعة والجود والسخاء.. وذلك لأنّ تلك العبارات التي في الزيارة الجامعة الكبيرة وغيرها من الأدعية والزيارات ، هي ترتبط بجميع المعصومين الأطهار على حدّ واحد ومتساو ؛ وفي ضوء ذلك نستطيع القول بأنّ مسألة التساوي تلوح بوضوح ، فبعبارة موجزة : هُمْ ـ عليهم السلام ـ روحٌ واحدة في أربعة عشر جسماً .

***

## * مصادر علم الإمام

### أوّلاً: القرآن الكريم

القرآن الكريم هو أحد المصادر العلمية للأئمة الأطهار عليهم السلام . وعلينا أوّلاً أن نتعرّف على حقيقة القرآن الكريم ، وما يحويه من علوم ومعارف ؛ فإنّنا إذا عرفنا حقيقة القرآن الكريم ، ولو بنحو الإجمال ، فبإمكاننا ـ حينئذ ـ أن ندرك جانباً من عظمة الأئمة المعصومين ـ عليهم السلام ـ في مجال العلم .

إنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يعرّف لنا كتابه المجيد بقوله : ﴿...**وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[(١)] ، وبقوله ـ تعالى ـ : ﴿...**مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ**﴾[(٢)] ، وبقوله ـ تعالى ـ: ﴿...**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[(٣)] .

---

(١) *الأنعام*، من الآية ٥٩ .

(٢) *الأنعام*، من الآية ٣٨ .

(٣) *النحل*، من الآية ٨٩ .

فهذه الآيات الكريمة ذات إطلاق، وهو في الآية الأولى في أسلوب الحصر، ومفادها أنَّ كل ما ندركه ولا ندركه بأذهاننا هو في القرآن الكريم، ومفاد الآية الثانية أنَّ كلَّ علمٍ وموضوع هو في القرآن الكريم.

ونحن نقرأ في الرواية التي عن الإمام الرضا عليه السلام، أنه قال:

**«فيه تبيانُ كلِّ شيء، بيَّنَ فيه الحلال والحرام، والحدود والأحكام، وجميع ما يحتاج إليه الناس كَمَلاً، فقال الله ـ عز وجلّ ـ: (ما فرّطنا في الكتاب من شيء)»**[1].

ومفاد الآية الثالثة أنَّ في القرآن الكريم تبيانَ كلِّ شيء، وهذا يشمل بعمومه مسائل الدين والدنيا، والأخلاق والمجتمع، والعقائد والسياسة.. وبعبارة موجزة: لا يخرج من دائرة تبيانه شيءٌ أبداً.

وهذه الآية تذكر الميزة الثانية للقرآن الكريم، وهي كونه هادياً، وكذا الميزة الثالثة التي هي كونه رحمةً، وكذا الميزة الرابعة وهي كونه بشرى للمسلمين.

وقال الإمام محمد بن علي الباقر ـ عليهما السلام ـ:

**«...بقوله ـ تعالى ـ لموسى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء﴾، فعلمنا أنه لم يكتب له الشيء كلَّه، وقال لعيسى: ﴿ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾، فعلمنا أنه لم يبيِّن له الأمر كلَّه، وقال لمحمد ـ صلى الله عليه وآله ـ: ﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ونزَّلنا عليك الكتاب تبياناً لكلِّ شيء﴾»**[2].

وفي ضوء ذلك نستطيع أن ندرك الخطأ الذي وقع فيه القائلون بأنَّ القرآن

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ١٩٨.
(٢) *نور الثقلين*، ج ٢، ص ٧٤.

الكريم لا يتضمَّن إلاّ العلوم التي تتكفّل بالجانب الهدائي والتربوي والأخلاقي.. فالحقيقة أنَّنا حين نعجز عن استخراج مختلف العلوم من القرآن الكريم، فهذا لا يرجع إلى قصور القرآن وعدم شموليته، بل يرجع إلى قصورنا نحن.

إنَّنا نقرأ في القرآن الكريم آيةً أخرى تشير إلى أنَّ القرآن الكريم يشتمل على آيات يمكن أن تُسيَّر بها الجبال وتطوى بها الأرض و يُكلَّمَ بها الموتى، و ذلك حيث يقول الله ـ تبارك و تعالى ـ: **﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى...﴾**[1].

وقد قام الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ بتبيين عددٍ من هذه الآيات وآثارها الخاصة، حيث إنَّ بعض أولياء الله تعالى على علم ببعض من ذلك. هذا كما أنَّ بعض آيات القرآن الكريم هي شفاء للأمراض الروحية والجسدية.. على أنَّ كلَّ هذه الموارد ترتبط بمجال ظاهر القرآن الكريم، في حين أنَّ القرآن الكريم له باطن وتفسير وتأويل أيضاً، وكلٌّ من ذلك له خصائص يمتاز بها.

وبناء عليه: حين يُقال إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لديهم علمُ القرآن الكريم، فإنَّ هذا يلقي الضوء على جانب من جوانب عظمة أولئك العظماء.

وقد سُئل الإمام الصادق عمَّا إذا كانوا ـ عليهم السلام ـ على اطلاع على آيات الله وقادرين على تفعيل آثارها الإعجازية، فقال الإمام ـ عليه السلام ـ:

**«وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسيَّر به الجبال وتقطع به البلدان، وتحيى به الموتى»**[2].

---

(١) *الرعـد*، من الآية ٣١.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٢٢٦.

**النكتة (١٦)** : كثرة المباني وكثرة المغاني

قاعدة (كثرة المباني والأسماء تدلّ على كثرة المعاني) هي بمعنى أنّ الذات الواحدة إذا كانت لها ـ في ضوء اعتبار صحيح ـ أسماء متعدّدة، فإنّ ذلك يدلّ على عظمة تلك الذات، فحين نقول إنّ لِلّه تعالى ألفَ اسم، فإنّ كلّ واحد من تلك الأسماء ذات دلالة على جانب من عظمة الله تبارك وتعالى.

وفي ضوء ذلك: حين نقرأ في حديث أنّ للسيدة الزهراء ـ عليها السلام ـ تسعة أسماء، وأنّ اسم «فاطمة» لوحده يشتمل على عشرة معان سامية، فإنّ هذا يعني أنّ كلّ واحد من تلك الأسماء ينبئ عن بُعد من أبعاد هذه الشخصية المباركة، ويدل على جانب من فضائل فاطمة الزهراء ـ عليها السلام[1].

وكذلك حين نطالع ما ورد للقرآن الكريم من أسماء في الآيات والأحاديث، فإننا بذلك ندرك جانباً من عظمة كتاب الله تعالى، فالقرآن «نورٌ» و«شفاء» و«رحمة» و«فرقان» و «حقٌّ» و«شفيع» و«مطهِّر» و«حبل الله» و«مجيد» و«كريم» و«فصل» و«تبيان» و«معجزة خالدة»... إلى غير ذلك من الأسماء والنعوت التي تُوِّج بها القرآن الكريم.

إنّ المولى محسن الكاشف قام باستخراج ما يفوق مائة اسم شريف للقرآن الكريم، وذلك من آيات القرآن نفسه، ولو أنّنا فحصنا متون «نهج البلاغة» وغيره من مصادر الحديث الشريف، فستعرّف على أسماء أخرى للقرآن الكريم، أسماءٍ يدلّ كل واحد منها على معنًى خاص، وحينئذ ستتضح لنا جوانب مختلفة

(١) انظر: *رياحين الشريعة*، ج ١، ص ٤٢، وكذا: *فاطمة كوثر الرسول*، تأليف الأستاذ الگنجي.

لعظمة القرآن الكريم ، وبتبع ذلك سندرك مدى عظمة العلم الذي عند العلماء بالقرآن الكريم ، أي الذين عندهم علمُ القرآن الكريم ، وهم المعصومون الأربعة عشر صلوات الله عليهم .

**من هم الراسخون في العلم؟**

القرآن الكريم هو ذلك النور الذي نزّله الله تعالى على قلب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، ليكون معجزةً خالدةً من قبل الله تعالى العالم أزلاً وأبداً لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماوات ، ويكونَ كتاباً يحيط بأبعاد شاملة وآفاق وسيعة .

وكلمات القرآن الكريم نورانيةٌ في ظاهرها ، وهي في نفس الوقت ذات بطن يخفى على الكثيرين ، فهو بحاجة ماسة إلى التفسير والتأويل . وإنَّ بعض آياته محكمات ، وبعضها الآخر متشابهات ، ومنه ما هو ناسخ ، ومنه ما هو منسوخ، وهو ما يوضح جانباً منه العلمُ بالتأويل وشأن النزول وظروف التنزيل من مكان وزمان .

ولمّا كان القرآن الكريم كتاب هداية ، كان لا بدَّ من أن يحيط بعلمه وتمام أبعاده النورانية أناسٌ مخصوصون ، وهم الذين عبَّر القرآن الكريم عنهم بالراسخين في العلم ، قال الله تبارك وتعالى :

**﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ**

**أُولُو الأَلْبَابِ﴾**[١].

**النكتة (١٧)** : المطالب المرتبطة بآية الراسخون في العلم

**المطلب الأول:** «والراسخون» عطفٌ على «الله»، والواو ليست استئنافية، كما أنَّه يصحُّ الوقف على «في العلم»، فمعنى الآية: أنَّ الذي يعلم تأويل القرآن الكريم هو الله وكذا الراسخون في العلم.

**المطلب الثاني:** قال البعض إنَّه لا يعلم تأويل القرآن أحدٌ حتَّى الراسخون في العلم. وهو قول غير صحيح؛ لأنَّه إذا كان الراسخون في العلم لا يعلمون التأويل أيضاً، فكيف ستتحقَّق الحكمة من نزول القرآن الكريم؟ فإنَّ القرآن الكريم إذا كان قد نزل لتحقيق الهداية، فلا بدَّ من أن يحيط بعلمه أناسٌ معيَّنون حتَّى يُبيِّنوه للناس.

**المطلب الثالث:** ورد في عدّة روايات أنَّ الراسخين في العلم هم علماء أحاطوا بكنه القرآن الكريم وامتلكوا أبعاد وأعماق علمه العميق الدقيق، ففي رواية الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«والراسخون في العلم هم آل محمَّد صلى الله عليه وآله»**[٢].

وفي رواية أخرى عن بريد بن معاوية ـ من أجلاّء أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ـ أنَّه سأل الإمام الباقر: قول الله: **﴿وما يعلم تأويله إلاَّ**

---

(١) *آل عمران*، الآية ٧١.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٨٩، ص ٣٥٢.

**الله والراسخون في العلم**[1] ﴾؟ فقال ـ عليه السلام ـ:

**«فرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ أفضل الراسخين، قد علّمه الله جميع ما أنزل عليه من التنزيل والتأويل، وما كان الله مُنزلاً عليه شيئاً لم يُعلِّمْه تأويله. وأوصياؤه من بعده يعلمونه كلَّهُ»**[2].

**المطلب الرابع:** أنَّ ما ذكره البعض من كون (الرسوخ) يقصد به التسليم، هو غير صحيح، بل الآية بصدد التنويه بالمرتبة العلمية لأهل البيت عليهم السلام، لا المرتبة الإيمانية لهم عليهم السلام، ولو كان المراد الإشادة بالرسوخ في مجال الإيمان لعُبِّر بـ (الراسخون في الإيمان) وليس كذلك.

وفي رواية الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«الراسخون في العلم أمير المؤمنين والأئمَّة من بعده عليهم السلام، ونحن الراسخون في العلم، ونحن نعلم تأويله»**[3].

## علوم القرآن الكريم

إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إضافةً إلى علمهم بتأويل القرآن الكريم، هم أيضاً عالمون بتنزيله، وكذا بناسخه ومنسوخه، ومُحكمه ومتشابهه، وظاهره وباطنه.. وفي هذا السياق نقرأ قولَ الإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ:

---

(١) لا يخلو من دلالة على ارتكاز لدى الأصحاب والرواة بكون الواو عاطفة وليست استئنافية؛ ولذا يقفون على (في العلم).

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٨٩، ص ٩٢، *تفسير الصافي*، ج ١، ص ٢٤٧.

(٣) *الكافي*، ج ١، ص ٢١٣.

**«والله ما نزلت من آية إلاّ وقد علمتُ فيما نزلت وأين نزلت وعلى من نزلت»**[(١)].

وقوله ـ عليه السلام ـ:

**«إنّي لأعرف ناسخه من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وفصله من فصاله، وحروفه من معانيه»**[(٢)].

إنّ المراد من الآيات الناسخة تلك الآيات التي يعمَل بها، وبالآيات المنسوخة تلك الآيات التي لا يُعمَل بها وقد انقضى أمدُها وزمانُ فاعليّتها، ومثال النمط المنسوخ قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً...**﴾[(٣)]، وهي الآية التي لم يعمل بها لعشرة أيام متعاقبة غيرُ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، ثمّ رُفع حُكمُ هذه الآية لانقطاع الناس عن ملاقاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ومناجاته..

أمّا الآيات المحكمة فهي التي يُعمل بها، كالآيات التي ترتبط بالصلاة والصوم والزكاة..

وأمّا الآيات المتشابهة فهي التي تحتمل عدّة معان بالرغم من وحدة اللفظ فيها، كالتي يرد فيها لفظ «الضلالة»؛ وهو لفظ ذو وجوه من المعاني المتفاوتة، فإنّه قد يرد بمعنى محمود، وقد يرد بمعنى مذموم، فحيث يُنسب هذا اللفظ إلى الشيطان وأوليائه فإنّه يكون ذا معنى مذموم، ومثاله قوله تعالى: ﴿**...وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ**﴾[(٤)]، وحيث يُنسب إلى النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ فإنّه يكون

---

(١) *شواهد التنزيل*، ج ١، ص ٤٥.

(٢) *تفسير العياشي*، ج ١، ص ١٤.

(٣) *المجادلة*، الآية ١٢.

(٤) *طـه*، الآية ٨٥.

بمعنى إيجابي محمود، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى﴾[1]، والتي تعني أنَّ الله تعالى وجدَ نبيَّه ضالّة الناس، أي أنهم يحتاجون إليه ويطلبونه، فهداهم إليه. وربَّما نُسبت هذه المفردة بصورة مباشرة إلى الله تبارك وتعالى فإنَّها تُحمل أيضاً على معنًى محمود؛ وذلك لأنَّ هذا المعنى يتحقّق على أساس الحكمة، والذي يتعلَّق به الإضلال ـ حينئذ ـ هو شخص يستحقُّ ذلك، وذلك كقوله تعالى: ﴿...كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...﴾[2].

بيد أنَّ ثمة مورداً لا تكون فيه مفردة (الضلال) بالمعنى المحمود ولا بالمعنى المذموم، وذلك حيث ينسب إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ الإضلال إلى الأصنام، وذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ...﴾[3]، والمعنى: أنَّ أرضيَّة الضلال تتكوّن بسبب الأصنام، لا أنَّها تملك إضلال أحد من الناس.

ومن أمثلة المفردات المتشابهة حمّالة الأوجُه في القرآن الكريم: «**الوحي**»؛ فإنَّها ترد تارةً بمعنى وحي النبوّة، وتارةً بمعنى الإلهام، وتارةً أخرى بمعنى الأمر، أو الإشارة، أو الخبر، أو التقدير، الكذب... وغير ذلك من المعاني.

وهكذا في آية الوضوء التي يظهر منها الأمر بالغسل انتهاءً بالمرافق، بيد أنَّ الباطن والسيرة النبوية يقتضيان أن يكون الابتداء بالمرافق والانتهاء بأطراف الأصابع.

ومن مجالات علوم القرآن أيضاً: العلم بالخاص والعام، والمطلق والمقيد،

---

(١) *الضحى*، الآية ٧.

(٢) *المدّثر*، الآية ٣١.

(٣) *إبراهيم*، الآية ٣٦.

والعزيمة والرخصة، والمنقطعة، والتنزيل، والتأويل.

ولنذكر ـ على سبيل المثال ـ قوله تعالى: ﴿إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْر﴾[١]، فإنّه عامٌّ ومُطلق، والآية التالية مخصِّصة ومقيِّدة، وهي قوله تعالى: ﴿إلاَّ الَّذين آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالحَات وتَوَاصَوْا بالحقِّ وتَواصَوْا بالصَّبْر﴾[٢].

والمثال الآخر ما جاء عن إمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فيما يرتبط بقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[٣]، حيث قال ـ عليه السلام ـ: إنَّ لفظ «العالمين» جمعٌ لكنَّه لا يقصد به العموم، بل المراد به خاص، أي العالم في زمان بني إسرائيل، لا في جميع الأزمان، كما أنَّ التفضيل ليس من جميع الجهات، بل المراد به أمور خاصة، كالذي يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ...﴾[٤]، بيد أنّنا إذا أردنا أن نقيِّمهم قرآنياً من حيث مساوئهم وعنادهم وحرصهم على الحطام الزائل والدنيا الفانية، فإنّنا سنجدهم شرَّ الأمَم، كما نقرأ في قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا...﴾[٦].

---

(١) *العصر*، الآية ٢.

(٢) *العصر*، الآية ٣.

(٣) *البقرة*، الآية ٤٧.

(٤) *البقرة*، الآية ٥٧.

(٥) *البقرة*، الآية ٩٦.

(٦) *المائدة*، الآية ٨٢.

وهكذا بالنسبة إلى قول الملائكة لمريم ـ عليها السلام ـ : ﴿**وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**﴾(١)، فإنَّ المقصود بها العالمون في زمان مريم سلام الله عليها ، في حين أنَّ الصديقة الكبرى فاطمة الزهراء ـ سلام الله عليها ـ هي سيدة نساء ورجال العالمين من الأوّلين والآخرين .

ومن تطبيقات ذلك أيضاً قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾(٢)، فإنَّ لفظ الآية عامّ، إلاّ أنّه أُريد به خاصٌّ ؛ إذ مصداقُها الوحيد شخصٌ واحد ، وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام .

وفي موارد أخرى يمكن أن يكون اللفظ خاصاً ولكن يُراد به عامٌّ، مثاله : ﴿**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً...**﴾(٣)، فإنّه يظهر من الآية أنّها خاصة ببني إسرائيل ولا تشمل غيرهم من الأمم ، في حين أنَّ معناها يشمل الأمَّة الإسلامية أمّة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله .

والأمر كذلك بالنسبة إلى آيات (العزيمة) و (الرخصة) ، وآيات العزيمة لا بدّ من الامتثال لها والعمل بها ، وأمّا آيات الرخصة فهي التي يجوز أن يُترك العمل بها . إنَّ الصلاة ـ على سبيل المثال ـ لا بد لها من وضوء ، ولكن وفي

---

(١) *آل عمران* ، الآية ٤٢ .

(٢) *المائدة* ، الآية ٥٥ .

(٣) *المائدة* ، الآية ٣٢ .

ضوء شروط معيَّنة يرد الترخيص فيحل التيمُّم بدل الوضوء . وذلك كما نقرأ في الآية السادسة من سورة المائدة ، حيث ورد الأمر بالوضوء والغسل لأداء الصلاة ، ولكنه فيما يلي ذلك يرد الأمر بالتيمُّم في الظروف التي يتعذّر فيها الوضوء والغسل .

وعزيمة شهر رمضان هي وجوب الصوم، إلاّ أنَّ الله تعالى رخّص في ترك الصوم لأصحاب الأعذار الذين لا يطيقون الصيام ، وأرجأ زمان الواجب إلى حين التمكّن فيما بعد شهر رمضان(١) .

في حين أنَّ جملة من الآيات ليس فيها رخصة إطلاقاً ، من قبيل آيات التوحيد والولاية التي لا يسقط التكليف بها تحت أي ظرف مهما كان .

ومن الاصطلاحات القرآنية الأخرى : الآيات المنقطعة ، والمقصود بذلك أن تكون الآية بصدد موضوع معين ، وضمن سياقها يتمُّ التطرُّق إلى مضمون آخر، ثمَّ ترجع الآية إلى سياق موضوعها الأوّل . ومثاله : المواعظ التي يوجِّهها لقمان لابنه التي تضمّنت النهي عن الشرك، فإنّه في وسط تلك المواعظ تمَّ إدراج الوصية الإلهية باحترام وتوقير الوالدين(٢) .

والمثال الآخر ما نقرأه في آية الإكمال، حيث ورد ذكر إكمال الدين ببركة الولاية في سياق آيات الأحكام(٣) .

وهكذا الكلام بالنسبة إلى (التنزيل) و (التأويل) فيما يرتبط بآيات القرآن

---

(١) انظر: سورة *البقرة* ، الآيات ١٨٣ ـ ١٨٥ .
(٢) انظر: سورة *لقمان* ، الآيات ١٣ ـ ١٦ .
(٣) انظر: سورة *المائدة* ، الآية ٣.

الكريم . فقوله تعالى : ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[1]، فإنَّ تنزيلها ـ حسب الظاهر ـ هو فيما يرتبط ببني إسرائيل ، في حين أنَّ تأويلها يقتضي حملها على زمان خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله ، وتأويلها الآخر هو زمان ظهور الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف ؛ فإنّه الزمان الذي فيه يرث المستضعفون الأرض .

وجميع ما ذكرناه من موارد هو ما جاء على لسان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فيما يرتبط بعلوم القرآن الكريم ، وهو مجرّد شذرات صدرت من مكنون علمه الواسع ، وهو العلم الذي لا يناله إلاّ العلماء الحقيقيّون ، فقد قال الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[2]، والمطهَّرون حقّاً هم أهل البيت عليهم السلام ؛ بدليل قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3]، فهم ـ عليهم السلام ـ الذين يحيطون بعلوم القرآن كلِّها بتمامها وكمالها .

### ما هو علم الكتاب؟

يكفي في عظمة (علم الكتاب) قوله تعالى : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾[4]، فإنَّ نبيَّ الله سليمان ـ عليه السلام ـ حين طلب من مستشاريه أن يأتوا بعرش ملكة «سبأ» قبل مجيئها ووصولها ،

---

(١) *القصص* ، الآية ٥ .

(٢) *الواقعة* ، الآيات ٧٧ ـ ٧٩ .

(٣) *الواقعة* ، الآيات ٧٧ ـ ٧٩ .

(٤) *النمل* ، الآية ٤٠ .

قال «**آصف بن برخيا**» الذي كان عنده علم من الكتاب إنه يأتي بالعرش من اليمن إلى الشام قبل أن تطرف عين سليمان، وهكذا فعل..

وفي الرواية أنَّ علم «آصف» من الكتاب هو بمقدار ما تأخذ البعوضة بجناحها من ماء البحر[1]، فما بالك بمن عنده علم الكتاب كله؟ وما قدرُ عظمته وجليل مرتبته؟!

**من الذين عندهم علم الكتاب كله؟**

إننا نقرأ في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿**وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**﴾[2]، فالله تبارك وتعالى يطالب نبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يقول للكفّار بأنَّ لديه شاهدين على حقّانية رسالته، وهما يغنيان حتى عن الإتيان بالمعجزة، أوّلُهما: الله تبارك وتعالى، فهو الذي يشهد عملياً بحقانية الرسالة، ويؤيِّد ويسدِّد رسوله بجميع الأدوات والأسباب، وينصره على المشركين والكفّار بالرغم من عدم التكافؤ الظاهري في العدّة والعتاد، وهذا خير شاهد على الصعيد العملي، لا على الصعيد التكلّمي القوليّ.

والشاهد الثاني على حقانية الرسالة هو مَن عنده علمُ الكتاب، فهو ليس شخصاً يمكن أن يذعن لتعاليم النبي ورسالته بغير دليل ووجه وجيه، بل إنّما ينطلق في التزامه وتبعيته للرسالة على أساس إحاطته بعلم الكتاب الكريم.

وقد روي عن أبي سعيد الخدري أنه قال:

**«سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ عن قول الله تعالى (من عنده علم**

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١٦٠.

(٢) *الرعد*، الآية ٤٣.

**الكتاب) ، قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب عليه السلام»**[١] .

وعن عطية العوفي ، عن أبي سعيد الخدري ، قال :

**«سألت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ عن هذه الآية: (الذي عنده علم من الكتاب) ، قال: ذاك وزير أخي سليمان بن داود عليهما السلام، وسألته عن قول الله عز وجل: (قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب) ، قال: ذاك أخي علي بن أبي طالب»**[٢] .

وهذه الروايات قد رويت من قبل الكثير من مشاهير علماء أهل السنة فضلاً عن علماء الشيعة ، فممن رواها من علماء أهل السنة : السيوطي والثعلبي والقرطبي والدشتكي والترمذي وغيرهم..[٣]

وبما أنّ سبب النزول لا يصلح للتخصيص ، فإنّ الآية وإن كانت قد نزلت في شأن أمير المؤمنين سلام الله عليه ، إلاّ أنّها عامّة في سائر الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وهذا من قبيل ما ورد حتى في الآيات العامة من أنّه لا توجد آية فيها (يا أيها الذين آمنوا) إلاّ أن يكون مصداقها الأبرز والأتم أمير المؤمنين عليه السلام . وهكذا الحال فيما نحن فيه ، فإنّ الأمير ـ سلام الله عليه ـ هو المصداق الأوّل ، وفي الوقت نفسه الآية عامّة في الأئمّة المعصومين من ذريته الطاهرة .

---

(١) *الأمالـي* للشيخ الصدوق، ص ٦٥٩ ، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٣٥ ، ص ٤٢٩ ، ومن طريق الشيخ الصدوق أخرجه الحاكم الحسكاني في *شواهد التنزيل*، ج ١ ، ص ٤٠٠ .

(٢) *آيـات الولاية في القرآن*، ص ٣٢١ ، نقلاً عن *ينابيع المودة*، ص ١٠٢، وإحقاق الحق ، ج ٣ ، ص ٢٨١ .

(٣) انظر: *آيات الولاية في القرآن*، ص ٣٢٢ .

وقد قال الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ :

**«نحن الذين عندنا علم الكتاب وبيان ما فيه عندنا وليس عند أحد من خلقه ما عندنا لأنا أهل سرٍّ الله»**[١].

وعن مولانا الباقر ـ عليه السلام ـ :

**«إيَّانا عنى، وعلي أوّلنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبي صلى الله عليه وآله»**[٢].

وحين أنشد أبو نواس ـ أحد الشعراء البارزين ـ بين يدي الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ قوله :

فـالله لمَّـا بـرا خـلقـاً فـأتـقـنـه ... صفّـاكم واصطفـاكم أيهـا البشـرُ

فأنـتـم المـلأ الأعـلى وعنـدكـمُ ... علمُ الكتاب وما جاءت به السُّوَرُ

فقال له الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ : **«قد جئتنا بأبيات ما سبقك إليها أحدٌ»**[٣].

**النكتة (١٨)** : كتمان الفضائل وتحريفها

في سبيل كتمان وتحريف فضائل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وفي مقدّمتهم سيد العترة الطاهرة أمير المؤمنين عليه السلام ، عمد البعض إلى التحريف في سبب نزول هذه الآية ونسبتها إلى عبد الله بن سلام الذي كان يهودياً فأسلم . ونقرأ في الرواية ما نصه :

---

(١) ***بحار الأنوار***، ج ٤٤ ، ص ١٨٤ .

(٢) ***الكافي***، ج ١ ، ص ٢٩٩ ، ***ومجمع البيان***، ج ٦ ، ص ٣٠١ .

(٣) ***عيون أخبار الرضا*** ـ عليه السلام ـ ، ج ٢ ، ص ١٤٣ .

**«...عن بعض أصحابنا قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام في المسجد أحدِّثه، إذ مرَّ بعض ولد عبد الله بن سلام، فقلت: جُعلت فداك؛ هذا ابن الذي عنده علم الكتاب؟ قال: لا إنَّما ذلك علي عليه السلام...»**[1].

وفيما يرتبط بهذه المحاولة التحريفية ينبغي أن يقال:

**أوّلاً:** إنَّ السورة ـ جميعها بغير استثناء ـ مكيَّة من أوّلها إلى آخرها، في حين أنَّ «عبد الله بن سلام» أسلم في العهد المدني للتنزيل القرآني.

**ثانياً:** إنَّ الآية الكريمة بصدد الإشادة بالذي عنده **«علم الكتاب»** لا **«علم من الكتاب»**، أي المحيط بجميع علوم كتاب الله تبارك وتعالى، وعبد الله بن سلام إنما كان مسلماً اعتيادياً، وهو أقل بكثير من أن يكون عنده علم الكتاب كلِّه، كما يشهد التاريخ بأنه لم يكن لديه شيء من علوم الكتاب، فكيف يمكنه أن يكون دليلاً وشاهداً على حقّانية الرسالة النبوية الشريفة؟!

**ثالثاً:** إضافة إلى ضرورة أن يكون هناك تناسب بين شخصية الشاهد وبين ما ترتبط به شهادتُه، فإنَّ الشهادة لا بدَّ أن تبتني على العلم واليقين، ولا اعتبار بالشهادة الظنية.. وفيما نحن فيه يُقال: أين عبد الله بن سلام من منزلة رسالة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؟ إنّه لا ريب أنه لا تناسب بين الطرفين. في حين أنَّنا إذا افترضنا أنَّ الشاهد هو مولى المتقين وأمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، فإنَّ ذلك يرفع الإشكالية ويحقِّق التناسب وكذا العلم واليقين المطلوب.

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٣٥، ص ٤٣١.

**النكتة (١٩)** : القرآن الكريم هو مصدر العلم وكذا مصداق العلم

في حين أنَّ القرآن الكريم يمثل مصدراً للعلم، هو أيضاً مصداق لعلم المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، فكل ما يطلبونه من علم يعلمونه من القرآن الكريم، فهو يمثِّل مرجعيَّتهم العلميَّة.

فقد قال الإمام جعفر بن محمد الصادق ـ عليهما السلام ـ :

**«إنِّي لأعلم خبر السماء وخبر الأرض، وخبر ما كان وما هو كائن، كأنه في كفي. ثم قال ـ عليه السلام ـ : من كتاب الله أعلمه، إنَّ الله يقول: فيه تبيان كل شيء»**[1].

ومن حيث كون القرآن الكريم مشتملاً على جميع العلوم على اختلاف مجالاتها وتعدّد خصائصها واصطلاحاتها، وكون الطاهرين من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على إحاطة بذلك كله؛ فإن القرآن الكريم من مصاديق علمهم عليهم السلام.

وقد قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ :

**«...واعلموا ـ رحمكم الله ـ أنَّه من لم يعرف من كتاب الله ـ عز وجل ـ الناسخ من المنسوخ، والخاص من العام، والمحكم من المتشابه، والرخص من العزائم، والمكي والمدني، وأسباب التنزيل، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبين والعميق، والظاهر والباطن، والابتداء والانتهاء، والسؤال والجواب، والقطع والوصل، والمستثنى منه والجاري فيه، والصفة**

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٨٩، ص ١٠١، نقلاً عن *تفسير العياشي*، ج ٢، ص ٢٢٦.

**لما قبل مما يدل على ما بعد، والمؤكد منه، والمفصل وعزائمه ورخصه، ومواضع فرائضه وأحكامه، ومعنى حلاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون، والموصول من الألفاظ، والمحمول على ما قبله وعلى ما بعده، فليس بعالم بالقرآن، ولا هو من أهله...»**[١].

وبهذا نكون قد انتهينا من دراسة المصدر الأول من مصادر علم الإمام، وهو القرآن الكريم.

## ثانياً: روح القدس

قال الله تبارك وتعالى: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾**[٢].

إنَّ الروح مسيطرة على بدن الإنسان، فهو في آن واحد يبصر ويسمع ويريد ويتكلم، ولا يمكن أن يستقطبه عملٌ دون عمل بحيث يصرفه ويشغله عمَّا عداه.. وهذا من أمر الله العظيم عز وجل، وممَّا أفاضه الله عز وجل من كمال على الروح الإنساني.. ولكن ما هو «**روح القدس**»؟

إنَّ «**روح القدس**» هو المصدر الثاني من مصادر علم أهل البيت عليهم السلام.

عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: «**هو مَلَكٌ أعظمُ مِن جبرئيل وميكائيل**»[٣].

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٩٠، ص ٣.

(٢) *الإسراء*، الآية ٨٥.

(٣) *الكافي*، ج ١، ص ٢٧٣، *تفسير القمي*، ج ٢، ص ٢٧.

وقال الإمام أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ فيما يرتبط بهذا المَلَك:

**«ولقد قرن الله به ـ صلى الله عليه وآله ـ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»**[(١)].

وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«وهو خاص لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ والأئمة صلوات الله عليهم»**[(٢)].

وللنبي وأهل البيت ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ خمسة أرواح، منها أربعة في شيعتهم، وثلاثة في سائر الناس، وهي: روح القوة، وروح الشهوة، وروح المدرج (الحركة)، وثلاثتها عامَّة لسائر الناس، وروح الإيمان خاصة بأهل البيت وشيعتهم دون سائر الناس، وروح القدس الخاصة بالمعصومين عليهم السلام. قال الله تعالى: **﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾**[(٣)].

**خصائص روح القدس:**

عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: **«...وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتغفل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في شرق الأرض وغربها وبرها وبحرها. قلت: جعلت فداك؛ يتناول الإمام ما ببغداد بيده؟ قال: نعم وما دون العرش»**[(٤)].

---

(١) *نهج البلاغة*، الخطبة ١٩٢. وعنه *بحار الأنوار*، ج ١٥، ص ٣٦١.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ٤٧. نقلاً عن *تفسير علي بن إبراهيم القمي*.

(٣) *غافر*، الآية ١٥.

(٤) *بحار الأنوار*، ج ١٧، ص ١٠٦، نقلاً عن بصائر الدرجات.

وعن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ: «**...فبروح القدس ـ يا جابر ـ عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى...**»[١].

**ثالثاً: النور المتصل من قبل الله تعالى**

إنَّ النور من مصادر العلم عند الأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، وهو نور دائمُ التحقق والاتصال، لا ينقطع أبداً، وهو يربط بين عرش الله تعالى وشخص الإمام المعصوم، وهذا النور هو العلم المفاض من قبل الله تعالى، فيضاً يعبِّر عن رحمة الله وبركاته الدائمة التي لا تنقطع ولا تنقضي.

روي عن أبي بصير قال: دخلت المسجد مع أبي جعفر عليه السلام، والناس يدخلون ويخرجون، فقال لي: «**سل الناس هل يرونني؟**»، فكل من لقيته قلت له: أرأيت أبا جعفر؟ يقول: لا، وهو واقف. حتى دخل أبو هارون المكفوف، قال: «**سل هذا**»، فقلت: هل رأيت أبا جعفر؟ فقال: أليس هو بقائم، قال: وما علمك؟ قال: وكيف لا أعلم وهو نور ساطع...[٢].

وقال الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ الإمام منا ليسمع الكلام في بطن أُمِّه حتى إذا سقط على الأرض أتاه ملك فيكتب على عضده الأيمن: ﴿وتمَّت كلمة ربِّك صدقاً وعدلاً لا مُبدِّل لكلماته وهو السميع العليم﴾، حتَّى إذا شبَّ رفع الله له عموداً من نور يرى فيه الدنيا وما فيها، لا يستر عنه منها شيءٌ**»[٣].

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٥٥، نقلاً عن بصائر الدرجات.
(٢) *بحار الأنوار*، ج ٤٦، ص ٢٤٣، نقلاً عن الخرائج والجرائح.
(٣) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١٣٣، نقلاً عن بصائر الدرجات.

وفي لفظ آخر عنه ـ عليه السلام ـ : «**...فإذا وقع إلى الأرض سطع له نور من السماء إلى الأرض يرى به ما بين المشرق والمغرب**»[١].

### رابعاً: الاسم الأعظم

إنّ امتلاك «الاسم الاعظم» ممّا يتيح الولاية التكوينية ؛ فكلّ من كان لديه الاسم الأعظم ، كان صاحب ولاية تكوينية ، وذلك بحسب مقدار الحروف التي يمتلكها من الاسم الأعظم .

### عدد حروف الاسم الأعظم

روى في بصائر الدرجات بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام ، قال :

«**إنّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنّما كان عند آصف**[٢] **منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، وعندنا نحن من الاسم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم**»[٣].

### النكتة (٢٠) : الاسم الأعظم الذي استأثر به الله تعالى

إنّ الحرف الواحد من الاسم الأعظم الذي استأثر به الله تعالى في علم الغيب ،

---

(١) *بحار الأنوار* ، ج ٢٦ ، ص ١٣٦ ، نقلاً عن بصائر الدرجات .

(٢) كان «**آصف بن برخيا**» ابنَ أخت سليمان النبي ـ عليه السلام ـ ووزيرَه .

(٣) *بصائر الدرجات* ، ص ٢٢٨ ، نقلاً عن بصائر الدرجات . *والكافي* للشيخ الكليني ، ج ١ ، ص ٢٣٠ ، وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٢٥ ، ص ٢٧ .

هو عبارة عن الذات المقدّسة التي لا طريق إلى العلم بها والإحاطة بكنهها حتى بالنسبة إلى المعصومين الأربعة عشر ، والمقصود بعلم الغيب في هذه الرواية إمّا هو العلم بالذات الأحدية التي لا علم لأحد بها ، أو العلم بغير الذات الذي لا يحيط بعلمه أهل البيت بصورة مباشرة ومستقلة ، بل هم ينالونه بالواسطة والإذن الإلهي .

***

وعن الإمام الصادق عليه السلام ، قال : «**كان سليمان عنده اسم الله الأكبر الذي إذا سأله به أعطي ، وإذا دعا به أجاب ، ولو كان اليوم لاحتاج إلينا**»[١] .

**شرط امتلاك الاسم الأعظم**

لقد كان الشيخ «رجب علي خياط» يقول : الاسم الأعظم هو «الله» ، بيد أنَّ مفتـاحه الإخلاص ؛ أي أن تأثيـر الاسم الأعظم متوقف على الإخلاص بمعناه الحقيقي .

وروى الشيخ الصفار ـ قدس سرُّه ـ عن عمر بن حنظلة ، قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : إني أظن أنَّ لي عندك منزلة ، قال : أجل ، قال : قلت : فإنَّ لي إليك حاجةً ، قال : وما هي؟ قلت : تعلِّمني الاسم الأعظم ، قال : وتطيقه؟ قلت : نعم ، قال : فادخل البيت ، قال : فدخل البيت فوضع أبو جعفر عليه السلام يده على الأرض فأظلم البيت فأرعدت فرائص عمر ، فقال : ما تقول؟ أُعلِّمك؟ فقال : لا ، قال : فرفع يده فرجع البيت كما كان[٢] .

---

(١) *بصائر الدرجات* ، ص ٢٣١ ، وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٢٧ ، ص ٢٧ .
(٢) *بصائر الدرجات* ، ص ٢٣٠ ، وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٢٧ ، ص ٢٧ .

ومما تقدم يُعلم أنَّ امتلاك الاسم الأعظم يعبِّر عن مكانة رفيعة ويتطلّب جدارة واستيعاباً وقابليةً عظيمة، وهو ما لا يتيسر لكل أحد، وحتى الذين امتلكوا الاسم الأعظم من الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إنما علموا ببعض حروفه، في حين أنَّ المعصومين من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ امتلكوا اثنين وسبعين حرفاً بتمامها وكمالها، وافتقادهم لحرف واحد منها، وهو المعبر عن الذات الأحدية، إنما كان لاستحالة العلم به، لا لكونهم افتقدوا القدرة والاستعداد للعلم به.

### خامساً: وراثة علوم الأنبياء والأولياء والملائكة

إنَّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ ورثوا العلم عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، فهم بذا وَرَثَةُ علم وفضل جميع الأنبياء والأولياء والملائكة. وقد ورد التنصيص على هذا المعنى المهم في العديد من الروايات الشريفة، وهو ما تشير إليه زيارة وارث التي فيها: «**السلام عليك يا وارث آدم صفوة الله... يا وارث نوح نبي الله...**» إلخ الزيارة، وهو ما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة أيضاً؛ ففيها: «**وميراثُ النبوة عندكم...**»، وفيها أيضاً: «**وعندكم ما نزلت به رسُله وهبطت به ملائكتُه**»[1].

وفيما يرتبط بالمقام قال فخر المحققين شيخ الإسلام الشيرازي شارحاً هذا المقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة:

«**إنَّ كلَّ ما كان لدى الأنبياء وبُعث به ملائكة الله وتضمنته الكتب السماوية، هو عندكم، وهم استمدّوه منكم**».

---

(١) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

**النكتة (٢١) : وارث أم مورِّث؟**

لعلّ سائلاً يقول : إذا كان الأطهار من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وسائط للفيض والصادر الأوّل ؛ فكيف يصح أن يُقال إنهم ورثوا الفضل والكمالات عن الأنبياء والأولياء والملائكة؟

والإجابة عن هذا التساؤل هي أنَّ جميع العلوم والفضائل والكمالات ـ في ضوء الآيات والروايات المتعدِّدة ـ إنما وصلت إلى الأنبياء والأولياء عن طريق المعصومين الأربعة عشر ؛ لأنهم الواسطة في الفيض ، وبعد أن انقضت الفترة الزمانية التي كان فيها أولئك الأنبياء والأولياء ، رجع الأمر إلى الموقع السابق ، أي إلى المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ، فكانوا ورثة العلم بهذا المعنى .

ومثاله أن ابناً ذا مال وثروة يهب ما يملكه لأبيه ، ثم يتوفّى الأبُ فيرثه ابنُه ، فيرجع المال والثروة إلى الموضع الأوّل .

وقال الإمام الكاظم موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ :

**«...قد والله أُوتينا ما أُوتي سليمان وما لم يُؤت سليمان وما لم يؤت أحدٌ من الأنبياء من العالمين، قال الله عز وجل في قصة سليمان: ﴿هذا عطاؤنا فامنُنْ أو أَمسِكْ بغير حساب﴾. وقال عز وجل في قصة محمد صلى الله عليه وآله: ﴿ما آتاكُم الرسولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾»**[1].

وقال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ معلِّقاً على الرواية الشريفة :

(١) *علل الشرائع*، ج ١، ص ٧١، و *بحار الأنوار*، ج ٢٦ ، ص ١٥٩.

**«أي كما أنه تعالى فوض إلى سليمان العطاء من المال والمنع منه وأمر الخلق بتسليم ذلك له، أعطى الرسول ـ صلى الله عليه وآله ـ أفضل من ذلك فقال: ما آتاكم الرسول من المال والعلم والحكم والأمر فخذوا به وارضوا، وما نهاكم عنه من جميع ذلك فانتهوا؛ فهذا أعظم من ذلك، وقد صُرِّح بذلك في كثير من الأخبار»**(١).

وعن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ قال:

**«سُئل عليٌّ ـ عليه السلام ـ عن علم النبي صلى الله عليه وآله، فقال: علم النبيِّ علمُ جميع النبيِّين، وعلم ما كان وعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة. ثم قال: والذي نفسي بيده إنِّي لأعلم علم النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وعلم ما كان وما هو كائن فيما بيني وبين قيام الساعة»**(٢).

وعن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ أيضاً:

**«إنَّ لله علماً لا يعلمه غيره، وعلماً يعلمه الملائكة المقرَّبون وأنبياؤه المرسلون، ونحن نعلمه»**(٣).

وعن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال:

**«...وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ألاّ إنَّ العلم الذي هبط به آدم من السماء إلى الأرض وجميع ما فُضِّلت به النبيون إلى خاتم النبيِّين في عترة خاتم النبيين»**(٤).

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص١٥٩.

(٢) *بصائر الدرجات*، ص١٤٧، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص١١٠.

(٣) *بصائر الدرجات*، ص١١٢، و*التوحيد* للشيخ الصدوق، ص ١٣٨، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٤، ص٨٥.

(٤) *تفسير علي بن إبراهيم القمي*، ج ١، ص ٤، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١٦٠. واللفظ الذي أثبتناه من البحار، وفي المطبوع من تفسير القمي اختلاف لفظي يسير لا يخل بالمعنى.

وعن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أيضاً:

**«إنَّ لله عِلمَين: علم تعلمه ملائكتُه ورُسُله، وعلم لا يعلمه غيرُه ، فما كان ممَّا يعلمه ملائكته ورسُلُه فنحن نعلمه، وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج»**[١].

فالحصيلة أنَّ المعصومين الأربعة عشر لديهم جميع علوم وصفات وفضائل الأنبياء والملائكة.. حتى إنَّ الأشياء الخاصة ذات المزايا التي كانت بحوزة بعض الأنبيـاء ، هي أيضاً عند الأئمَّة المعصوميـن من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يتوارثونها ، كعصا موسى عليه السلام ، وخاتم سليمان عليه السلام... وغير ذلك .

ويناسب المقام أن نستذكر هذا المقطع من الزيارة الجامعة الكبيرة :

**«فبلغ الله بكم أشرفَ مَحلِّ المُكرّمين، وأعلى منازل المقربين، وأرفع درجات المرسلين ، حيث لا يلحقه لاحقٌ، ولا يفوقه فائقٌ، ولا يسبقه سابقٌ، ولا يطمع في إدراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا صديق ولا شهيد، ولا عالم ولا جاهل، ولا دني ولا فاضل، ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح، ولا جبار عنيد، ولا شيطان مريد، ولا خلق فيما بين ذلك شهيد، إلاّ عرّفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم، وتمام نوركم، وصدق مقاعدكم، وثبات مقامكم، وشرف محلكم ومنزلتكم عنده، وكرامتكم عليه، وخاصتكم لديه، وقرب منزلتكم منه...»**[٢].

وإضافة إلى العلوم والفضائل والأشياء الخاصة للأنبياء السابقين ، فإنَّ كتب جميع الأنبياء الماضين ، والتي يبلغ عددها ١٠٥ كتاباً ، هي عند أهل بيت النبوة والطهارة عليهم السلام .

---

(١) ***بصائر الدرجات***، ص ١٣٢ ، وعنه ***بحار الأنوار***، ج ٢٦ ، ص ١٦٥ .

(٢) ***من لا يحضره الفقيه***، ج ٢ ، ص ٦١٣، ***التهذيب***، ج ٦ ، ص ٩٧.

وفي ذلك يقول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«يا أبا محمد؛ عندنا الصحف التي قال الله: ﴿صُحُفِ إبراهيمَ ومُوسَى﴾[١] قلت: الصحف هي الألواح؟ قال ـ عليه السلام ـ: نعم»[٢].**

وفي الزيارة الجامعة الكبيرة:

**«وعندكم ما نزلت به رسله وهبطت به ملائكته»[٣].**

ومن حديث آخر عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«...وعندنا صحف إبراهيم وموسى ورثناها من رسول الله صلى الله عليه وآله»[٤].**

وقال الصادق ـ عليه السلام ـ أيضاً:

**«إنَّ سليمان ورث داود، وإنَّ محمداً ورث سليمان، وإنّا ورثنا محمداً، وإنَّ عندنا علم التوراة والإنجيل والزبور، وتبيان ما في الألواح...»[٥].**

وقال أمير المؤمنين الإمام عليٌّ ـ سلام الله عليه ـ:

**«أنا والله أعلم بالتوراة من أهل التوراة، وأعلم بالإنجيل من أهل الإنجيل، وأعلم بالقرآن من أهل القرآن»[٦].**

وعن الإمام علي ـ عليه السلام ـ أيضاً:

---

(١) *الأعلى*، الآية ١٩.

(٢) *بصائر الدرجات*، ص١٥٧، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص١٨٥.

(٣) *من لا يحضره الفقيه*، ج٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

(٤) *بصائر الدرجات*، ص١٥٧، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص١٨٥.

(٥) *الكافي*، ج ١، ص ٢٢٤، و*بصائر الدرجات*، ص١٥٨، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص١٨٧.

(٦) *كتاب سليم*، ص٩١٣، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص٦٤.

**«لو ثُنيت لي وسادة لحكمت بين أهل القرآن بالقرآن حتى يُزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل التوراة بالتوراة حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الإنجيل بالإنجيل حتى يزهر إلى الله، ولحكمت بين أهل الزبور بالزبور حتى يُزهر إلى الله»** إلخ الحديث[١].

أقول: لعلّ مراده ـ عليه السلام ـ تبيين سعة علمه في مجال القضاء، أو لعلّ مراده ـ عليه السلام ـ أنه سيقضي بين اليهود والنصارى بكتبهم التي لم تنلها يَدُ التحريف والتغيير.

## قصة الجاثليق «بريَّة»[٢] مع هشام بن الحكم

روى الشيخ الكليني ـ رحمه الله ـ في الكافي بسنده عن هشام بن الحكم، قال:

**«في حديث بريَّة أنه لما جاء معه إلى أبي عبد الله عليه السلام، فلقي أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام، فحكى له هشام الحكاية، فلما فرغ قال أبو الحسن ـ عليه السلام ـ لبريَّة: يا بريه كيف علمك بكتابك؟ قال: أنا به عالم، ثم قال: كيف ثقتك بتأويله؟ قال: ما أوثقني بعلمي فيه! قال: فابتدأ أبو الحسن عليه السلام يقرأ الإنجيل. فقال بريَّة: إياك كنت أطلب منذ خمسين سنة أو مثلك، قال: فآمن بريَّة وحسن إيمانه، وآمنت المرأة التي كانت معه. فدخل هشام وبريَّة والمرأة على أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ فحكى له هشام الكلام الذي جرى بين أبي الحسن موسى ـ عليه السلام ـ وبين بريَّة، فقال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ذرية بعضها من بعض**

---

(١) *بصائر الدرجات*، ص ١٥٢، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١٨٢.

(٢) كذا في الكافي، وفي غيره من المصادر: «بريهة».

**والله سميعٌ عليم﴾ ، فقال بريَّة: أنَّى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء؟ قال: هي عندنا وراثة من عندهم، نقرؤها كما قرؤوها، ونقولها كما قالوا، إنَّ الله لا يجعل حُجَّة في أرضه يُسأل عن شيء فيقول لا أدري»**[1] .

**النكتة (٢٢)** : مكانة هشام بن الحكم

كان هشام بن الحكم من خاصة أصحاب وتلاميذ الإمام الصادق عليه السلام ، وكانت له مناظرات وحوارات عديدة وشهيرة مع أهل الكتاب ومع المخالفين والمعاندين.. وكان لهشام بن الحكم دورٌ بارز في التعريف بالأئمة عليهم السلام، وكذا في الإشادة بالتشيع . وقد اشتهرت حكاياته الشيِّقة ، وكانت للإمام الصادق ـ عليه السلام ـ عناية خاصة به .

وفي قصة هشام وحواره مع جاثليق النصارى ، قام هشام بن الحكم ببيان تفصيلي رائع لخصائص ومزايا الإمام ، وهو ما سنتعرض له لاحقاً إن شاء الله تعالى .

**النكتة (٢٣)** : تلاميذ الأئمة في المدرستين الفقهية والكلامية

أصحاب الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ كان منهم من ينتمي إلى المدرسة الفقهية ، وكان منهم من ينتمي إلى المدرسة الكلامية ، ومن هنا تختلف طبيعة

---

(١) ***الكافي***، ج ١ ، ص ٢٢٧ ، وعنه ***بحار الأنوار***، ج ٤٨ ، ص ١١٤ . وهي مختصرة عن رواية أكثر تفصيلاً وطولاً ، وهي بتفصيلها في ***التوحيد*** للشيخ الصدوق ، ص ٢٧٠ فما بعدها ، وعنه ***بحار الأنوار*** ، ج ١٠ ، ص ٢٣٤ .

الروايات التي رويت عن أصحاب الأئمة عليهم السلام ، فمنها ما هو ذو طابع فقهي ، ومنها ما هو ذو طابع كلامي . وقد كان «أبو بصير» من خرِّيجي المدرسة الفقهيَّة للأئمَّة صلوات الله عليهم ، في حين أنَّ هشام بن الحكم كان ينتمي إلى مدرستهم الكلامية .

ولذا يمكننا بمطالعة بعض الروايات ملاحظة أنَّ المنتمين إلى المدرسة الفقهية كانوا يعانون من بعض النقص في الكفاءة الكلامية الاعتقادية ، وهو ما يمكن لمسه بوضوح من خلال أسئلتهم العقديَّة التي كانوا يوجِّهونها إلى الأئمة عليهم السلام .

وهذه الظاهرة يمكن ملاحظتها اليوم في الحوزات العلمية أيضاً ، فإنَّ من الممكن أن يكون بعض العلماء مُتضلِّعاً قوياً في علمَي الفقه والأصول ، إلا أنَّ لديه بعض الثغرات في جانب علم الكلام ومعرفة الأئمة عليهم السلام ، بما يؤدِّي به إلى الوقوع في الخطأ حين يتناول البحوث الكلامية والمعرفية .

ومن هنا كان لزاماً على الفقيه أن يبذل مزيد عناية وكثير دقة في المجال الكلامي المعرفي ، كما أن الشيء نفسه مطلوب من المتكلِّم في مجال الفقه والأصول .

ومن هنا نوصي السادة القائمين على الحوزة العلمية الشريفة أن يبذلوا الاهتمام اللازم فيما يرتبط بعلم العقيدة والكلام إلى جانب اهتمامهم بالفقه والأصول ، ولا سيما في مجال معرفة الأئمة عليهم السلام ، فإننا نوصيهم بالمزيد من العناية والاهتمام .

**سادساً: وراثتهم بعضهم عن بعض عليهم السلام**

إضافة إلى أنَّ الأئمّة الأطهار ـ عليهم السلام ـ ورثوا علوم الأنبياء والأولياء السابقين، فإنّهم يرثون بعضهم بعضاً أيضاً. وفي هذا السياق نقرأ قول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«ما سمعته مني فاروه عن أبي، وما سمعته مِنّي فاروه عن رسول الله صلى الله عليه وآله»**[١].

وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أيضاً:

**«حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي»**[٢].

فإنَّ تجويزه ـ عليه السلام ـ لرواية ما يصدر عنه عن أبيه أو جده رسول الله صلى الله عليه وآله، هو دليل على وراثتهم بعضهم عن بعض. وبناء عليه: يمكن نسبته إلى الإمام السابق، ولا يمكن نسبته إلى الإمام اللاحق.

**سابعاً: المصحف**

من المصادر العلمية التي يستقي منها السادة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام: مُصحف السيِّدة الزهراء سلام الله عليها.

وفي هذا رُوي عن أبي بصير أنه قال:

---

(١) *وسائل الشيعة*، ج ٢٧، ص ١٠٤.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٥٣.

«سألت أبا جعفر محمد بن علي ـ عليه السلام ـ عن مصحف فاطمة صلوات الله عليها، فقال: أُنزل عليها بعد موت أبيها . فقلت : ففيه شيءٌ من القرآن؟ قال : ما فيه شيء من القرآن . قال: قلت: فصفه لي. قال: له دفتان من زبرجدتين على طول الورق وعرضه حمراوين . قلت له: جعلت فداك صف لي ورقه. قال: ورقه من در أبيض قيل له: «كن» فكان. قلت: جعلت فداك، فما فيه؟ قال: فيه خبر ما كان، وخبر ما يكون إلى يوم القيامة، وفيه خبر سماء سماء، وعدد ما في سماء سماء من الملائكة، وغير ذلك ، وعدد كل من خلق الله مُرسلاً وغير مرسل، وأسماؤهم، وأسماء الذين أرسلوا إليهم، وأسماء من كذّب ومن أجاب منهم، وفيه أسماء جميع من خلق الله من المؤمنين والكافرين، من الأوّلين والآخرين، وأسماء البلدان، وصفة كل بلد في شرق الأرض وغربها، وعدد ما فيها من المؤمنين، وعدد ما فيها من الكافرين، وصفة كل من كذّب، وصفة القرون الأولى وقصصهم، ومن ولي من الطواغيت ومدّة ملكهم وعددهم، وفيه أسماء الأئمة وصفتهم، وما يملك واحداً واحداً، وفيه صفة كرّاتهم، وفيه صفة جميع من تردّد في الأدوار من الأولين والآخرين. قال: قلت: جعلت فداك وكم الأدوار؟ قال: خمسون ألف عام، وهي سبعة أدوار، وفيه أسماء جميع من خلق الله من الأوّلين والآخرين وآجالهم ، وصفة أهل الجنة ، وعدد من يدخلها ، وعدد من يدخل النار ، وأسماء هؤلاء وأسماء هؤلاء ، وفيه علم القرآن كما أنزل ، وعلم التوراة كما أنزلت ، وعلم الإنجيل ، والزبور ، وعدد كل شجرة ومدرة في جميع البلاد...» ، إلى أن قال : «فقلت: إنَّ هذا العلم كثيرا فقال ـ عليه السلام ـ : يا أبا محمد، إنَّ هذا الذي وصفته لك لفي ورقتين من أوّله ، وما وصفت لك بعدُ ما في الورقة الثالثة، ولا تكلمت بحرف منه»(١).

---

(١) *دلائل الإمامة للطبري*، ص ٢٧ .

**ثامناً وتاسعاً: الجامعة والجفر**

قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«يا أبا محمد ؛ وإنَّ عندنا الجامعة وما يدريهم ما الجامعة؟ قال : قلت: جُعلت فداك وما الجامعة؟ قال: صحيفةٌ طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وإملائه، من فلق فيه وخط علي بيمينه عليه السلام . فيها كلُّ حلال وحرام وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش، وضرب بيده إلي فقال : تأذن لي يا أبا محمد؟ قال: قلت: جُعلت فداك إنَّما أنا لك فاصنع ما شئت، قال: فغمزني بيده وقال: حتَّى أرش هذا كأنه مغضب . قال : قلت: هذا والله العلم. قال: إنَّه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال : وإنَّ عندنا الجفر وما يدريهم ما الجفر؟ قال : قلت : وما الجفر؟ قال: وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. قال: قلت: إنَّ هذا هو العلم، قال: إنه لعلم وليس بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد، قال: قلت: هذا والله العلم، قال: إنه لعلم وما هو بذاك. ثم سكت ساعة، ثم قال: إنَّ عندنا علم ما كان وعلم ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة...»** إلخ الرواية[1].

**عاشراً: الجفران الأبيض والأحمر**

روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني ـ رحمه الله ـ بسنده عن الحسين بن أبي

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٢٣٨.

العلاء ، قال : سمعت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ يقول :

**«إنَّ عندي الجفر الأبيض...»** إلى أن قال ـ عليه السلام ـ : **«...ومصحف فاطمة، ما أزعم أنَّ فيه قرآناً، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد حتى فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وربع الجلدة وأرش الخدش . وعندي الجفر الأحمر، قال: قلت: وأي شيء في الجفر الأحمر؟ قال ـ عليه السلام ـ : السلاح، وذلك إنما يفتح للدم، يفتحه صاحب السيف للقتل...»** إلخ الرواية[١].

## * مصاديق علم الأئمة عليهم السلام

بعد أن فرغنا من دراسة مصادر علم الأئمّة عليهم السلام ، آن لنا أن نتطرّق إلى مصاديق علومهم عليهم السلام ، أي الأمور التي يتعلّق بها علمُهم . وقبل البدء في ذلك يجدر التنويه بأمرين :

**الأمر الأول:** لقد أسلفنا أنَّ بعض العناوين يمكن أن تكون من جهة عبارة عن مصدر من مصادر علمهم عليهم السلام ، وتكون من جهة أخرى وباعتبار آخر من مصاديق علمهم أي ما يتعلّق به علمُهم ويتناوله .

**الأمر الثاني:** من جهة يمكن القول بأنَّ جميع ما تمّ ويتمُّ طرحُه من العناوين هي عبارة عن مصاديق علم أهل البيت الطاهرين عليهم السلام ؛ والسرُّ في ذلك أنَّ علم الإمام يُستمدُّ بصورة مباشرة من منبع العلم الإلهي ، فمنبع علمهم عليهم

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٢٤٠.

السلام هي الذات الإلهية المقدّسة فحسب، وما يرد في الروايات من ذكر للوسائط المختلفة والمصادر المتعدِّدة، فهو من باب حفظ مراتبيَّة التسلسُل في مُجريات عالم الخلقة، وقد يكون ذلك راجعاً إلى عدم أهليَّة المجتمع لتقبُّل الفكرة حين تطرح بعمقها وصراحتها، خصوصاً مع وجود أهل الخلاف وعدم الاتباع والإذعان لمقام الإمامة والعصمة.. وإلاّ فالحقيقة أنّ كلّ إمام يمكنه أن يستمدّ علومَهُ بصورة مباشرة من الله تبارك وتعالى. فعلى سبيل المثال: حين نقرأ حديث «سلسلة الذهب»؛ نجد الإمام الرضا ـ سلام الله عليه ـ ينقل الحديث عن أبيه عن أجداده عن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ عن جبرئيل عن الله تبارك وتعالى. وهذا النمط من الكلام يراعي مراتبية السلسلة من جهة، كما يعتني بتثبيت الانتماء الحقّاني للدين الإسلامي الأصيل، وفي نفس الوقت يُراعي عدم تقبُّل المجتمع للحقيقة إلاّ في هذا الثوب المألوف والقالب المعتاد في الذهنيَّة العامّة، وليس يعني أنّه يتعذّر على الإمام ـ عليه السلام ـ أن يتلقّى وينقل عن الله تعالى بصورة مباشرة وبغير واسطة.. ولو أنّ المجتمع كان يحتمل أن يشاهد الحقيقة كما هي ولا يستوحش من النورانية حين تتجرّد من قوالب المألوف والمعتاد، لكان النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ يتلقّى وينقل القرآن عن الله تعالى بغير وساطة لجبرئيل عليه السلام. وفي هذا السياق يُروى عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ أنّه قال: **«إنَّا أهل بيت من علم الله علمْنا، ومن حكمه أخذنا، ومن قول الصادق سمعنا، وإن تتَّبعونا تهتدوا»**[1].

ولنبدأ باستعراض مصاديق علم الأئمّة ـ عليهم السلام ـ على الترتيب التالي:

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢، ص ٩٤.

### ١ ـ علمُ الدين

الدين من الأمور التي يتعلّق بها علمُ المعصومين عليهم السلام، فهو من مصاديق علمهم. والدين عبارة عن مجموعة من العقائد والأحكام والأخلاقيات التي يشتمل كلٌّ منها بدوره على آلاف مؤلّفة من المسائل والتفريعات التي تتشعّب منها. وأهل البيت ـ عليهم السلام ـ يحيطون بعلم ذلك كلّه إجمالاً وتفصيلاً، أصولاً وفروعاً، ويمثّلون المرجعية الوحيدة الحقّة لفهم ذلك كله وإدراكه بالصورة التامّة الصحيحة.

وثمّة روايات عديدة من طرق الشيعة والسنة تؤكّد هذه المرجعية المطلقة لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ على صعيد جميع المسائل، بالنسبة لجميع المسلمين، بل على مستوى جميع الأديان بغير فرق؛ فإنّ علمهم ـ عليهم السلام ـ لم يكن قاصراً في حدود الدين الإسلامي، بل هو يستوعب جميع الأديان والشرائع السابقة أيضاً.

وفي هذا السياق نقرأ قول النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ لأمّ سلمة:

**«يا أمَّ سلمة! اسمعي واشهدي؛ هذا عليُّ بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ أميرُ المؤمنين، وسيِّد المسلمين، وعنده علم الدين»**[(١)].

وعن عائشة أنها قالت: **«عليٌّ ـ عليه السلام ـ أعلم الناس بالسنَّة»**[(٢)].

وقال عمرُ بن الخطّاب: **«لا يُفتيَنَّ أحدٌ في المسجد وعليٌّ حاضر»**[(٣)].

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٣٨، ص ١٢١.

(٢) *الاستيعاب*، ج ٤، ص ١٧٩. *المناقب* للخوارزمي، ج ١، ص ٨٤ و ٩١.

(٣) شرح *نهج البلاغة* لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٦٨.

**النكتة (٢٤) : معنى الأعلم في الروايات**

لا بد من التنبيه على أنَّ التعبير بالأعلم في هذا القبيل من الروايات، ليس على نسق المعنى الذي يستفاد من أفعل التفضيل، والذي قد يفيد أنَّ غير الإمام علماء أيضاً ولكن الإمام يفوقهم علماً، بل المقصود إثبات أنَّ العلم منحصر فيه، وذلك نظير قولنا (والله خير الرازقين)؛ فإنَّه لا يقصد بذلك أنَّ غير الله يرزق أيضاً ولكن الله خيرٌ منهم في الرزق.

**٢ ـ الإحاطة بأعمال الناس**

وهو مجال آخر لمصاديق علم أهل البيت عليهم السلام، فإنَّهم يعلمون بجميع أفعال وأحوال الناس، سواء منهم المسلمون وغير المسلمين، وعلى مستوى الإجمال والتفصيل، وعلى الصعيدين الفردي والاجتماعي، وسواء كانت من أعمال القلوب أو من أعمال الأبدان.

قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[1].

وفي «الكافي» بسنده عن يعقوب بن شعيب، قال:

**«سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن قول الله ـ عز وجل ـ: ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عملَكُم ورسولُه والمؤمنونَ﴾، قال: هم الأئمَّة»**[2].

---

(١) *التوبة*، الآية ١٠٥.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٢١٩.

وفي «بصائر الدرجات» بسنده عن عمر بن أذينة، عن بريد العجلي، قال: **«كنت عند أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ فسألته عن قوله تعالى ﴿اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عملَكُم ورسولُه والمؤمنونَ﴾، قال: إيَّانا عنى»**[1].

**النكتة (٢٥): من هم المؤمنون حَقّاً؟**

لو لم تكن ثمَّةَ روايةٌ تفسِّر المراد من المؤمنين المذكورين في الآية الكريمة، لما أضرَّ ذلك بوضوح المراد؛ لأنَّه لا ريب أنَّه ليس بمقدور كلٍّ واحد من المؤمنين أن يرى أعمال جميع البشر، وما يُذكر من الكرامات لأولياء الله من أنَّهم يقدرون على النظر والرؤية، فإنَّما هو فيما يرتبط ببعض الناس لا جميعهم، وفي بعض الحالات لا كلِّها.

وقد كان السيد عبد الكريم الكشميري ـ رحمه الله ـ يقول: إنَّ شخصاً قدم إليَّ، وبالرغم من أنَّني حاولت أن أطَّلع على باطنه، فإنَّني لم أفلح في ذلك مهما حاولت، وحين دقَّقتُ في حاله وجدتُه يلهج بذكر «**يا ستار العيوب**».

إنَّ العلم الذي عند أولياء الله هو علم محدود، فليس يسعهم أن يطلعوا على جميع الأمور وفي مطلق الأحوال، بل تمكن الحيلولة دون نفوذ رؤيتهم الباطنية.

بيد أنَّ الأمر يختلف تماماً فيما يرتبط بالأئمة الأطهار عليهم السلام، فإنَّ العبارة المنقولة عن الإمام الخميني ـ قدِّس سرُّه ـ حيث يقول: «**العالَمُ محلٌّ**

---

(١) *بصائر الدرجات*، ص ٤٤٧، وعنه *بحار الأنوار*، ج ٢٣، ص ٣٣٩.

**حضور الله تعالى»**، يمكن تطبيقها بصورة قطعية على الأئمة الأطهار والقول بأنّ العالم محل حضور أهل البيت عليهم السلام أيضاً، فلا يوجد شيء في العالم يمكن أن يحتجب عن نور علمهم، كما أنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية.

**النكتة (٢٦)**: الإباحة والتجويز أم التهديد والتحذير

إنّ الأمر الوارد في قوله تعالى ﴿**وقُل اعملوا...**﴾ ليس بمعنى الإباحة والتجويز لكلّ عمل، بل هو سياق يفيد التهديد والتحذير، بمعنى أنّ كلّ عمل تقومون به فإنّه تتمّ رؤيته ومراقبته. كما أنّ السين في «**فسيرى**» ليست بمعنى أنّ الرؤية ستتم في المستقبل دون الحال، بل الوجه فيها أنّ العمل لمّا كان يتحقّق في المستقبل بلحاظ هذا الخطاب، ناسب أن يتم التعبير عن الرؤية أيضاً بالمستقبل، وهذا يعني أنّ هناك توافقاً زمانياً بين العمل والرؤية، فالرؤية تتحقّق في حال العمل، وليس بعده وفي زمان المستقبل بالنسبة إلى العمل.

ونحن نقرأ في روايات الباب:

ما روي عن يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله ـ عليه السلام ـ عن قوله الله عز وجل: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾، قال ـ عليه السلام ـ: «**هم الأئمّة**»[1].

وفي الكافي الشريف أيضاً:

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٣١٨.

**«علي، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن الزيات، عن عبد الله بن أبان الزيات ـ وكان مكيناً عند الرضا عليه السلام ـ قال : قلتُ للرضا ـ عليه السلام ـ: أُدْعُ اللهَ لي ولأهل بيتي، فقال: أولست أفعل؟ والله إنَّ أعمالكم لتُعرض عليَّ في كل يوم وليلة. قال: فاستعظمت ذلك، فقال لي: أما تقرأ كتاب الله عز وجل: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾ ؟ قال: هو والله علي بن أبي طالب عليه السلام»**[1].

أضف إلى ذلك أنَّ الشاهد لا بدَّ أن يتصف بالعلم والمعرفة، ولو افتقد ذلك لم يصلح للشهادة، فالوحيد الذي يصلح للشـهادة هو المطّلع العالم بالأمر، وقد ثبت أنَّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ وحدَهُم يمتلكون مقام الشهادة على الناس. ففي قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً...﴾**[2]، ورد عن الإمام عليٍّ ـ عليه السلام ـ قولُه : **«إنَّ الله إيانا عنى بقوله لتكونوا شهداء على الناس»**[3].

**النكتة (٢٧) : ما هو معنى الأمَّة الوسط؟**

من الواضح أنَّ وصف الأمَّة بالوسط ليس راجعاً إلى الزمان ؛ فإنَّها الأمَّة الأخيرة، وليست وسطاً من هذه الجهة. فالصحيح أنَّ المقصود بهذا الوصف هو الفضل والموقع ، وذلك بدليل **«خير الأمور أوسطها»**[4]، وهو ما يتحقّق باجتناب

---

(١) *المصدر نفسه*.

(٢) *البقرة*، الآية ١٤٣.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٢٣، ص ٣٣٤.

(٤) *الكافي*، ج ٦، ص ٥٤٠. وعنه *بحار الأنوار*، ج ٤٨، ص ١٥٤.

الإفراط والتفريط، والتزام الاعتدال المنطقي العقلي..

إنَّ بعض أولياء الله تعالى حين ندرس شخصياتهم نجدهم بين من غلب عليه جانب الرهبة، وبين من طغى عليه جانب الرغبة، وهو ما يعني الخروج عن حدِّ الاعتدال الذي يقتضي التوازن بين الخوف والرجاء..

فعلى سبيل المثال: التهوّر وفقدان الخوف تماماً هو تجسيدٌ للإفراط، في حين أنَّ الجُبن تجسيدٌ للتفريط، والشجاعة هي التي تمثِّل نقطة الاعتدال والحدَّ الوسط في هذا السياق..

وقد كان الأئمة المعصومون ـ عليهم السلام ـ يمثِّلون في سلوكهم وانضباطهم حدَّ الوسطية بأجلى صورها، وجانبَ الاعتدال بأوضح أشكاله؛ ولأجل ذلك جعلهم الله الأمَّة الوسط. وقد ورد في الروايات الشريفة تفسيرُ «الأمَّة» بالأئمَّة عليهم السلام[1].

**عَوْدٌ على علمهم ـ عليهم السلام ـ بأعمال العباد جميعها**

إنَّ علم المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ يشمل جميع الأعمال التي تصدر من عباد الله، سواء منها الإيجابي والسلبي، وعلى مستوى الإجمال والتفصيل، بما يعمُّ حالات الفرح والحزن، والانشراح والاكتئاب، والصحَّة والسُّقم.. وغير ذلك.

وروى الشيخ الصفار ـ رحمه الله ـ في «بصائر الدرجات» (ص٢٥٩)، بسنده عن رميلة، قال:

---

(١) انظر: *بحار الأنوار*، ج ٢٤، ص ١٥٤. و ج ٨٩، ص ٧٥.

«وُعِكْتُ وَعْكاً[1] شديداً في زمان أمير المؤمنين عليه السلام، فوجدت من نفسي خفَّة في يوم الجمعة، وقلت: لا أعرف شيئاً أفضل من أن أُفيض على نفسي من الماء وأصلي خلف أمير المؤمنين عليه السلام، ففعلتُ ثمَّ جئت إلى المسجد، فلمَّا صعد أميرُ المؤمنين المنبر عاد عليَّ ذلك الوَعْكُ. فلمَّا انصرف أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ودخل القصر، دخلتُ معه، فقال: يا رميلة رأيتُك وأنت مُتشبِّك بعضك في بعض فقلت: نعم، وقصصت عليه القصة التي كنت فيها والذي حملني على الرغبة في الصلاة خلفه، فقال: يا رميلة ليس من مؤمن يمرض إلاَّ مرضنا بمرضه، ولا يحزن إلاَّ حزنَّا بحزنه، ولا يدعو إلاَّ آمنَّا لدعائه ولا يسكت إلاَّ دعونا له. فقلت له: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك ؛ هذا لمن معك في القصر، أرأيت من كان في أطراف الأرض؟ قال: يا رميلة ليس يغيب عنّا مؤمن في شرق الأرض ولا في غربها[3]»[2].

وهذه الرواية تبيِّن عمق الارتباط ووثاقة العلاقة بين الشيعة وسادتهم من أهل البيت الأطهار عليهم السلام، وهو تجسيد للانتماء الحقيقي للشيعي إلى الأطهار، تماماً كما أنَّ الجزء ينتمي إلى الكلّ، وتماماً كما يضطرب الجسد كلُّه ويتفاعل بوجع العين..

وفي هذا السياق نقرأ قول الإمام المهدي ـ سلام الله عليه ـ :

«اللهمَّ إنَّ شيعتنا منَّا، خُلقوا من فاضل طينتنا، وعُجنوا بماء ولايتنا، اللهمَّ اغفر لهم من الذنوب ما فعلوه اتِّكالاً على حُبِّنا وولائنا يوم القيامة، ولا تؤاخذهم بما اقترفوه

---

(١) **الوَعْكُ**: هو أذى الحمَّى ووجعُها. انظر: ***القاموس المحيط***، مادة «وعك».

(٢) وعنه: ***بحار الأنوار***، ج ٢٦، ص ١٤٠.

(٣) كذا في البصائر، وفي البحار: **«غيرها»**.

**من السيِّئات إكراماً لنا، ولا تُقاصِّهم يوم القيامة مقابل أعدائنا، فإن خَفّفت موازينهم فثقِّلْها بفاضل حسناتنا»**[(١)].

إنَّه ارتباط وثيق وفي غاية الاستحكام والتماسك.. مع أنَّ «رميلة» لم يكن من الأصحاب الخصِّيصين أو التلامذة المبرِّزين ، بل كان من الطراز الاعتيادي من المؤمنين الذين يرتبطون بالإمام بأواصر المحبَّة..

فالمتحصِّل أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ذوو اطلاع ودراية فيما يرتبط بأعمال العباد بصورة عامَّة، وهم في نفس الوقت يشاركونهم همومهم وغمومهم ويُحسُّون بآلامهم ومُعاناتهم.

وروى الشيخ الصفار ـ رحمه الله ـ في «بصائر الدرجات» بسنده عن بكر ابن محمد ، قال:

**«خرجنا من المدينة نريد منزل أبى عبد الله عليه السلام، فلحقنا أبو بصير خارجاً من زقاق وهو جنب ونحن لا نعلم، حتى دخلنا على أبى عبد الله عليه السلام، قال فرفع رأسه إلى أبي بصير فقال: يا أبا محمد أما تعلم أنَّه لا ينبغي لجنب أن يدخل بيوت الأنبياء والأوصياء؟ قال : فرجع أبو بصير ودخلنا»**[(٢)].

### (٣ ـ ٦) علم البلايا والمنايا والقضايا وفصل الخطاب

وتكملة لاستعراضنا لمصاديق علوم أهل البيت ـ عليهم السلام ـ تصل النوبة إلى «علم البلايا» الذي يُقصد به إحاطتهم ودرايتهم ـ عليهم السلام ـ بما يصيب

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٥٣، ص ٣٠٣.

(٢) *بصائر الدرجات*، ص ٢٦١، *وقرب الإسناد* ، ص٤٣ ، وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٢٧ ، ص ٢٥٥ .

العباد والبلاد من الابتلاءات والرزايا والمصائب، كبيرها وصغيرها، خطيرها وحقيرها، كلِّيها وجُزئيِّها، وسواء على صعيد الأفراد في حياتهم الشخصية، أو على صعيد المجتمع ككل، بما يشمل ما يتعرّضون له هم أنفسهم ـ عليهم السلام ـ من ابتلاءات. علماً أنَّ درايتهم بذلك تشمل سبب ونتيجة الابتلاء أيضاً.

وأمَّا «علم المنايا» فيُقصد به إحاطتهم بالموت وما يرتبط به من جوانب وخصائص، كزمان الموت، وسببه ومكانه وكيفية وقوعه وسائر الظروف والملابسات التي تكتنفه. وهو ما نطقت به العديد من الروايات والكثير من الأخبار التي فيها إنباؤهم وإخبارهم ـ عليهم السلام ـ في العديد من الوقائع بالموت، مع تحقُّق ما قالوا كما قالوا وبالدقة والتفاصيل التي وردت في إخباراتهم عليهم السلام. ومن جملة ذلك إخبار الأئمة ـ عليهم السلام ـ باستشهادهم على مستوى التفاصيل والظروف من زمان وكيفية وغير ذلك.

وأمَّا «علم القضايا» الذي هو من مصاديق علوم أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فالمقصود به إحاطتهم بعلم القضاء والحكومة، أو العلم بالقضايا والوقائع التاريخية وتمييز صحيحها من سقيمها، وصادقها من كاذبها.

وأمَّا «فصل الخطاب» فيُقصد به معرفتهم ـ عليهم السلام ـ بخصائص الحق والباطل، وتمكُّنهم من التَّمييز بينهما بما ينفي اللَّبس والاشتباه، أو بمعنى تمكُّنهم من تمييز وتمحيص كلام الناس، وفرز الصِّدق من الكذب فيما يقولونه، وتمييز المؤمن من المنافق من لحن القول.. وكذا الإحاطة بالألسُن واللغات التي يتكلَّم بها الناس في العالم على اختلافها وتنوُّعها، بل العلم بمنطق الحيوانات ولغات جميع المخلوقات حتَّى الجمادات منها.

وفي هذا السياق من المناسب أن نطَّلع على ما رُوي من اطِّلاع الإمام علي ـ عليه السلام ـ على كلام ناقوس دير النصارى، وذلك في رواية الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ بسنده:

**«عن الحارث الأعور، قال: بينا أنا أسير مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في الحيرة إذا نحن بدَيْرَاني يضرب بالناقوس، قال: فقال علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ: يا حارث أتدري ما يقول هذا الناقوس؟ قلت: الله ورسوله وابن عم رسوله أعلم. قال: إنَّه يضرب مَثَلَ الدنيا وخرابها ويقول: «لا إله إلا الله حقّاً حقّاً، صدقاً صدقاً، إنَّ الدنيا قد غرّتنا وشغلتنا واستهوتنا واستغوتنا، يا ابن الدنيا مهلاً مهلاً، يا ابن الدنيا دقاً دقاً، يا ابن الدنيا جمعاً جمعاً، تَفْنَى الدنيا قرناً قرناً، ما من يوم يمضي عنَّا إلاَّ وهي أوهى منَّا رُكناً، قد ضيَّعنا داراً تبقى، واستوطنا داراً تفنى، لسنا ندري ما فرطنا فيها إلاّ لو قد متْنَا. قال الحارث: يا أمير المؤمنين النصارى يعلمون ذلك؟ قال: لو علموا ذلك لما اتخذوا المسيح إلهاً من دون الله عز وجل، قال: فذهبت إلى الدَّيراني فقلت له: بحقِّ المسيح عليك لمَّا ضربت بالناقوس على الجهة التي تضربها. قال: فأخذ يضرب وأنا أقول حرفاً حرفاً حتَّى بلغ إلى قوله «إلاَّ لو قدمتنا». فقال: بحقِّ نبيِّكم مَن أخبرك بهذا؟ قلت: هذا الرجل الذي كان معي أمس، قال: وهل بينه وبين النبي من قرابة؟ قلت: هو ابن عمِّه، قال: بحقِّ نبيِّكم أسمع هذا من نبيكم؟ قال: قلت: نعم. فأسلم، ثم قال لي: والله إنِّي وجدت في التوراة أنَّه يكون في آخر الأنبياء نبيٌّ وهو يفسِّر ما يقول الناقوس»**[1].

وغنيٌّ عن التوضيح أنَّه لا معنى لاستبعاد تكلُّم الجمادات بعدَ أنْ قال الله تعالى:

(١) *معاني الأخبار*، ص ٢٣١، وعنه وعن *أماليه*: *بحار الأنوار*، ج ٢، ص ٣٢١.

﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً﴾[١].

وفيما يرتبط بفصل الخطاب بمعنى معرفة الألسُن واللغات على اختلافها وتعدُّد أنواعها ، روى الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ بسنده :

**«عن أبي الصلت الهروي، قال: كان الرضا ـ عليه السلام ـ يكلِّم الناس بلغاتهم، وكان والله أفصح الناس وأعلمهم بكل لسان ولغة، فقلت له يوماً: يا بن رسول الله إنِّي لأعجب من معرفتك بهذه اللغات على اختلافها؟ فقال: يا أبا الصلت أنا حُجَّة الله على خلقه، وما كان ليتَّخذ حُجَّة على قوم وهو لا يعرف لغاتهم، أو ما بلغك قول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ: أوتينا فصل الخطاب؟ فهل فصل الخطاب إلاَّ معرفة اللُّغات»**[٢].

و(منطق الطير) هو أيضاً من مصاديق (فصل الخطاب) ، وهو التمكُّن من لُغات عالم الحيوانات جميعها . وفي هذا السياق نقرأ ما رواه الشيخ الصفّار ـ رحمه الله ـ في «بصائر الدرجات» بسنده عن أبي حمزة الثمالي ، قال :

**«كنت مع علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ فانتشرت العصافير وصوّتت، فقال: يا با حمزة[٣] أتدري ما تقول؟ قلت: لا ، قال: تُقدِّس ربها وتسأل قوت يومها. قال: ثم قال: يا با حمزة؛ عُلِّمنا منطقَ الطَّير وأُوتينا من كلِّ شَيء[٤]»**[٥].

---

(١) *الإسراء*، الآية ٤٤ .

(٢) *عيون الأخبار*، ج ١ ، ص ٢٥١ ، وعنه : *بحار الأنوار* ، ج ٢٦ ، ص ١٩٠ .

(٣) كذا ، وفي البحار عنه : «يا أبا حمزة» ، وكذلك في الموضع الثاني .

(٤) آية من *النمل*، الآية ١٦ .

(٥) *بصائر الدرجات*، ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، وعنه : *بحار الأنوار* ، ج ٤٦ ، ص ٢٣ .

وفيما يرتبط بإثبات النطق للطير والحيوانات؛ يقول العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ:

**«اعلم أنَّ ردَّ الأخبار المستفيضة الواردة عن أئمَّة الأنام عليهم الصلاة والسلام بمحض استبعاد الأوهام، أو تقليد الفلاسفة الذين استبدوا بالأحلام، ولم يؤمنوا بما جاءت به الأنبياء الكرام، لا يليق بالأفاضل الأعلام، كيف وقد ورد أمثالها في القرآن الكريم من تسبيح الطير مع داود عليه السلام، وقوله: ﴿علمنا منطق الطير﴾[1]، وقصة الهدهد والنملة مع سليمان عليه السلام، وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[2]، وغير ذلك»[3].**

والعلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ يرمي إلى القول بأنَّ إنكار (منطق الطير) مما ينجر إلى إنكار القرآن الكريم.

ولم تكن مزيَّة التكلُّم بلغات الحيوانات مختصة بأهل البيت فحسب، بل كان بعض خاصّة أصحابهم ـ عليهم السلام ـ على إلمام بذلك.

فما جاء في رجال الكشي في ترجمة جابر بن يزيد الجعفي:

**«جاء العلاء بن يزيد رجل من جعفي، قال: خرجت مع جابر لما طلبه هشام، حتى انتهى إلى السواد، قال: فبينا نحن قعود وراع قريب منا؛ إذ لفتت نعجة من شائه إلى حمل، فضحك جابر، فقلت له: ما يضحكك أبا محمد؟ قال: إنَّ هذه النعجة دعت حملها فلم يجئ، فقالت له: تنح عن ذلك الموضع؛ فإنَّ الذئب عاما أوّل أخذ أخاك**

---

(١) *النمل*، الآية ١٦.

(٢) *النور*، الآية ٤١.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٢٧، ص ٤١.

**منه. فقلت: لأعلمنَّ حقيقة هذا أو كذبه، فجئت إلى الراعي فقلت له: يا راعي؛ تبيعني هذا الحمل؟ قال: فقال: لا، فقلت: ولم؟ قال: لأنَّ أمَّه أفره شاة في الغنم، وأغزرها درَّةً، وكان الذئب أخذ حملاً لها عنده عام الأوّل من ذلك الموضع، فما رجع لبنها حتى وضعت هذا فدرَّت. فقلت: صدق»**[(١)].

وهذا ليس مختصاً بالأنبياء والأوصياء وخاصة أصحابهم، بل بعض أولياء الله لهم إلمام بهذا أيضاً[(٢)].

## ٧ ـ العلم بالأنساب

إنَّ علم الأنساب هو أحد المصاديق العلمية لأهل العصمة والطهارة عليهم السلام، أي أنَّه يمثِّل أحد المجالات التي يغطيها علمهم عليهم السلام. والمراد من ذلك أنهم ـ عليهم السلام ـ يحيطون إحاطة تامَّة ودقيقةً بسلاسل أنساب الناس حتى تنتهي إلى أبي البشرية آدم عليه السلام.. كما يُميِّزون صحيح النسب من خاطئه، وطاهره من متدنِّسه.

---

(١) *رجال الكشي*، ترجمة جابر بن يزيد الجعفي.

(٢) كان الميرزا أبو الفضل القهوهجي من أولياء الله تعالى، وكان يواظب على الذهاب إلى «جبل الخضر» للعبادة، وقد حدثنا قائلاً: في ليلة من ليالي الشتاء التي كان يهطل فيها الثلج، كنت أسير باتجاه «جبل الخضر»، فبينا كنتُ في الفلاة إذا بي أفاجأ بقطيع من الذئاب قد كونوا حلقةً وأخذوا يهمهمون ويلهجون بأصوات خاصة.. فتعجبت من صنيعهم وسألت الله تعالى أن يرزقني للحظات فَهْمَ لغة تلك الحيوانات؛ حتى أفهم ما تقوله الذئاب في حلقتها تلك. وقد انتبهت فجأة أنني أستطيع أن أفهم لغتها، وحينئذ وجدتها تناجي ربها وتقول: يا ربنا؛ إلى متى سنمارس السطو على قطعان الغنم ونأكل الحرام، لقد تعبنا؛ فعجِّل في تعجيل ظهور إمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وفي هذا السياق نقرأ هذه الرواية الشريفة :

**«أنَّ محمد بن عبد الله بن الحسن قال لأبي عبد الله ـ عليه السلام ـ : والله إنِّي لأعلم منك، وأسخى وأشجع . فقال له ـ عليه السلام ـ : أمَّا ما قلت إنك أعلم منِّي، فقد أعتق جدِّي وجدك ألف نسمة من كدِّ يده، فسمِّهم لي، وإن أحببت أن أُسمِّيهم لك إلى آدم فعلتُ، وأمَّا ما قلت إنَّك أسخى منِّي فوالله ما بتُّ ليلةً ولِلّهِ عليَّ حقٌّ يطالبني به، وأمَّا ما قلت إنك أشجع مني، فكأني أرى رأسك وقد جيء به ووُضع على جحر الزنابير، يسيل منه الدم إلى موضع كذا وكذا . قال: فحكى ذلك لأبيه، فقال: يا بنيَّ آجرني الله فيك، إنَّ جعفراً أخبرني أنك صاحب جحر الزنابير»[١].**

**(٨ ـ ٩) العلم بالوصايا والأسباب**

المقصود بالعلم بالوصايا ـ وهو ما يمثِّل مصداقاً آخر من مصاديق علمهم عليهم السلام ـ : الإحاطة بما أوصى به الله تعالى إلى أنبياءه الكرام عليهم السلام ، وكذا ما أوصى العباد بعضهم لبعض .

وأمَّا العلم بالأسباب فالمقصود به الإحاطة بأسباب العزة والذلة ، والفقر والغنى ، والبعد والقرب من الله تعالى.. سبب طيِّ الأرض.. سبب التكلم مع الأموات ، وسبب الخلقة ، والقيامة ، ونزول القرآن.. إلى غير ذلك من العلل والأسباب الكامنة وراء الظواهر الكونية في جميع مجالات الخليقة .

وفي هذا السياق نقرأ ما ورد عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ :

(١) *المناقب* لابن شهر آشوب ، ج ٣ ، ص ٣٥٥ ، وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٤٧ ، ص ١٣١ .

**«أبى الله أن يُجري الأشياء إلاّ بأسباب، فجعل لكل شيء سبباً، وجعل لكل سبب شرحاً، وجعل لكل شرح علماً، وجعل لكل علم باباً ناطقاً، عرفه من عرفه، وجهله من جهله ، ذاك رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ونحن»**[١].

**(١٠ ـ ١١) مولد الإسلام والكفر**

المقصود بمولد الإسلام ومولد الكفر: أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يعرفون من يولد على الإسلام ومن يولد على الكفر أو يتوفّى في بلاد الكفر وما يوجب الكفر من أسباب وموارد.. فإنّ ذلك كلّه ممّا يحيط به أهل البيت عليهم السلام.

وفي هذا السياق نقرأ قول الإمام علي ـ عليه السلام ـ: **«عندي علم المنايا والبلايا والوصايا والأنساب والأسباب وفصل الخطاب ومولد الإسلام ومولد الكفر، وأنا صاحب الميسم، وأنا الفاروق الأكبر، وأنا صاحب الكرّات ودولة الدول، فاسألوني عمّا يكون إلى يوم القيامة، وعمّا كان على عهد كلِّ نبيٍّ بعثه الله»**[٢].

**النكتة (٢٨): ما هو المقصود بالميسم؟**

إنّ المقصود بصاحب الميسم: صاحب العلامات والدلائل؛ فإنّ الله تبارك وتعالى يقول: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾**[٣].

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ١٨٣، و*بحار الأنوار*، ج ٢، ص ٩٠.

(٢) *بصائر الدرجات*، ج ٥، ص ٢٠٢، و *مناقب ابن شهر آشوب*، ج ٣، ص ٣٩.

(٣) *الحجر*، الآية ٧٥.

إنّ آيات الله تعالى لا يمكن أن يبصرها كل أحد في العالم، بل ذلك مختص لأهل اليقظة والنباهة.. وكل من المحب والمبغض، وكذا المؤمن والمنافق، وكذا المسلم والكافر، وأهل الجنة وأهل النار.. كلٌ له علامات وسمات منقوشة في جباههم، والذي يدرك ويبصر ويميّز تلك السمات المنقوشة هو الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهو الذي يسمُ كلاً بسمته.. وعلى جباه أهل الولاية مكتوب: هذا محب علي عليه السلام.

والمقصود من الفاروق الأعظم: الذي يفرق بين الحقّ والباطل، ويميز بذاته المعيار للتفريق بين الحق والباطل.. وهو أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ وليس غيره.

وفي هذا السياق نقرأ ما جاء عن الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ من قوله: **«إنَّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق»**[١].

**النكتة (٢٨)**: مَن هو الفاروق الأعظم والصديق الأكبر؟

إنّ الألقاب المكذوبة التي انتحلها الآخرون لأنفسهم بغير وجه حقٍّ، كان لها انتساب آخر صحيح وحقيقي في الدين الإسلامي، فالفاروق الأعظم والصديق الأكبر ـ في الحقيقة ـ هو الإمام علي عليه السلام، والصديقة الكبرى هي فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، ولكن البعض قام بانتحال وتقمّص هذه الألقاب الشريفة فنسبها إلى نفسه بغير وجه حقٍّ.

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٢٢٣.

وفيما يرتبط بعبارة «**صاحب الكرّات ودولة الدول**» يقول العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ : «**أي الحملات في الحروب والغلبة فيها، أو صاحب الغلبة على أهل الغلبة فيها، أو صاحب علم كل كرّة ودولة، أو المعنى: أرجع إلى الدنيا مرّات شتى، وكانت غلبة الأنبياء على أعاديهم ونجاتهم من المهالك بسبب التوسل بنوري، أو يكون دولة الدول أيضاً إشارة إلى الدولات الكائنة في الكرات والرجعات له عليه السلام**»(١).

وقال الإمام علي ـ عليه السلام ـ : «**لقد نظرت في الملكوت بإذن ربي، فما غاب عني ما كان قبلي ولا ما يأتي من بعدي**»(٢).

## ١٢ ـ العلم بالصناعات

ومن مصاديق علومهم ـ عليهم السلام ـ : العلم بالصناعات ، فهم يحيطون بخفايا الصناعات كلها ، ويعرفون كيفية تركيب الأشياء وبُنيتها وهيئة تأليفها ظاهراً وباطناً .

إنَّ الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ لم يكتف بتعليم جابر بن حيـان علم الكيمياء ، بل علّمه إضافة إلى ذلك خمسمائة تخصص علمي غير الكيمياء ، ولا يزال كتاب جابر بن حيان الذي كتبت حوله علومٌ سرّاً لم يتم اكتشافه ورمزاً استعصى حلُّه بالرغم من كل التقدم العلمي والتقني في هذا العصر(٣).

---

(١) ***بحار الأنوار***، ج ٢٦ ، ص ١٤٨ .

(٢) ***المصدر نفسه***، ج ٢٦ ، ص ١٤١ .

(٣) وفي كتاب ***«هزار علم از حضرت علي عليه السلام»*** (ترجمة العنوان: ألف علم عن الإمام علي عليه السـلام) للمرحوم العلامة الفلسفي ، قام المؤلف بالإشارة إلى بعض تلك العلوم . وقد تطرّق حسن الكافي ـ رحمه الله ـ في كتابه ***«شناخت اسلام»*** (ترجمة العنوان: معرفة الإسلام) إلى الكثير من العلوم التي تم نقلها من العالم الإسلامي إلى الغرب .

وفي هذا الصدد يقول العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ ما نصه:

**«وأمّا علمهم بالصناعات فعمومات الأخبار المستفيضة دالّة عليه، حيث ورد فيها أن الحجة لا يكون جاهلاً في شيء يقول: لا أدري، مع ما ورد أن عندهم علم ما كان وما يكون، وأنَّ علوم جميع الأنبياء وصل إليهم، مع أن أكثر الصناعات منسوبة إلى الأنبياء عليهم السلام، وقد فُسِّر تعليم الأسماء لآدم ـ عليه السلام ـ بما يشمل جميع الصناعات. وبالجملة لا ينبغي للمتتبع الشك في ذلك أيضاً»**[1].

## ١٣ ـ العلم بأسماء جميع الأنبياء والملوك

ومن مصاديق علوم أهل البيت عليهم السلام: علمُهم بأسامي جميع الأنبياء والملوك؛ وفي هذا السياق نقرأ قول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«والله إن عندي لكتابين فيهما تسمية كل نبي وكل ملك يملك الأرض»**[2].

وقال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ إنَّه لعلّ المقصود من هذين الكتابين: الجامعة والمصحف نفسهما.

## ١٤ ـ العلم بكل شيء

وبكلمة واحدة يمكننا أن نقول إنّ المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ يعلمون بجميع الأشياء، وليس هناك أي نقطة إبهام أو خلل في علمهم.

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١٩٣.

(٢) *مرآة العقول*، ج ٣، ص ٥٨.

لما نزلت هذه الآية ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[(١)] قالوا : يا رسول الله هو التوراة أو الإنجيل أو القرآن؟ قال : لا ، فأقبل إليه عليٌّ عليه السلام فقال صلى الله عليه وآله : **«هو هذا الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء»**[(٢)].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال : كنت عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ في بعض غزواته، فمررنا بواد مملوء نملاً، فقلت: يا أمير المؤمنين؛ ترى يكون أحد من خلق الله تعالى يعلم عدد هذا النمل؟ قال: نعم يا عمار، أنا أعرف رجلاً يعلم عدده وكم فيه ذكر وكم فيه أنثى. فقلت: من ذلك الرجل يا مولاي؟ فقال: يا عمار ما قرأت في سورة يس : **﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾**؟ فقلت : بلى يا مولاي، فقال: أنا ذلك الإمام المبين[(٣)].

وعن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ: **«الله أحكم وأكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً»**[(٤)].

إنَّ البعض يقول إنَّ الإمام إن كان يمتلك هذا العلم فإنه إنما يعلم بالكليات، من قبيل القرآن الذي يتطرق إلى الكليات ويبينها.. إلاّ أننا حين نطالع الروايات نجدها تشير إلى المعلومات على مستوى التفاصيل والجزئيات، وليس على مستوى الإجمال والكليات فحسب، وهو ما يدل على أنّ علم الأئمة ـ عليهم السلام ـ هو على مستوى التفاصيل والجزئيات، وهو ما يمكننا أن نفهمه بوضوح

---

(١) يـس، الآية ١٢.

(٢) *معاني الأخبار*، ص ٩٥. *ينابيع المودة*، ج ١، ص ٢٣٠. *أمالي الشيخ الصدوق*، ص ٢٣٥.

(٣) *مدينة المعاجز*، ص ١٣٣، و *بحار الأنوار*، ج ٤٠، ص ١٧٦.

(٤) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١١٠.

من قوله تعالى ﴿**كل شيء**﴾ ؛ فإنّه بعمومه يتناول جميع الأشياء على مستوى التفاصيل والجزئيات .

وعن حمزة بن عبد الله الجعفري عن أبي الحسن عليه السلام، قال : كتبت في ظهر قرطاس : **إنَّ الدنيا ممثّلة للإمام كفلقة الجوزة**، فدفعته إلى أبي الحسن عليه السلام، وقلت : جعلت فداك إنّ أصحابنا رووا حديثاً ما أنكرته ، غير أني أحببت أن أسمعه منك، قال: فنظر فيه ثم طواه ، حتى ظننت أنه قد شقَّ عليه، ثمَّ قال: «**هو حقٌّ فحوِّلْهُ في أديم**»[1].

إنّ علم الإمام بجميع عالم الوجود (ما عدا الله تعالى) يعني أنَّ الإمام ذو إحاطة تامة بجميع العالمين ، بما يعم اللوح والعرش والقلم والكرسي ، وذلك كله متجسِّد للإمام، والإمام إضافة إلى إحاطته بذلك كله؛ هو ذو قدر وسلطنة فيما يرتبط به. وكما أنّ فلقة الجوزة إذا كانت بيد أحدنا فإنّه يكون ذا قدرة على التصرف فيها وتقليبها ، فكذلك الإمام من حيث الولاية التي يتصرف بها في هذا العالم الذي هو في يده كفلقة الجوزة كما ورد في الرواية .

وقال الإمام موسى بن جعفر ـ عليهما السلام ـ:

«**إنَّما منزلة الإمام في الأرض بمنزلة القمر في السماء وفي موضعه هو مطلع على جميع الأشياء كلّها**»[2].

***

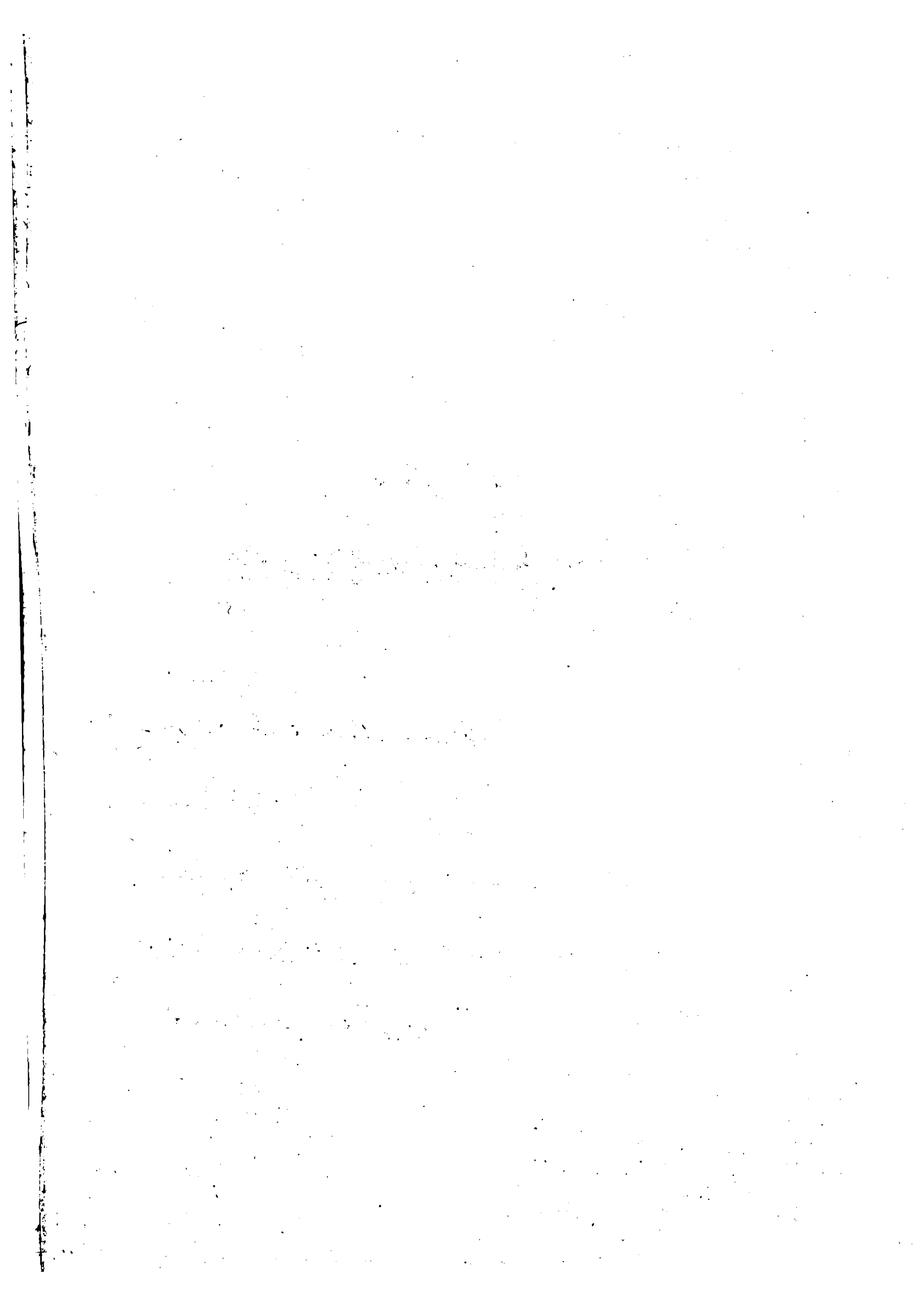
(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٥، ص ٣٦٨.

(٢) *المصدر نفسه*، ج ٢٦، ص ١٣٦.

# الفصل الثالث

## الإجابة عن الشبهات المرتبطة بعلم الإمام

* علم الأئمة ـ عليهم السلام ـ بالغيب.
* العلم بالقيامة.
* العلم بوقت الظهور والفرج الشريف.
* ازدياد علم الإمام في ليالي الجمعة.
* العلم بوقت الاستشهاد واختياره.



# الإجابة عن الشبهات المرتبطة بعلم الإمام

## * علم الأئمة ـ عليهم السلام ـ بالغيب

من خلال مطالعتنا ودراستنا للمصادر والأدلة فيما يرتبط بمصاديق علوم المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ؛ خرجنا بنتيجة مفادها أنّ شيئاً في هذا الكون لا يخفى على أولئك الطاهرين ، تماماً كما أنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية ؛ ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ**﴾[1] .

فأهل البيت ـ عليهم السلام ـ أيضاً «**لا يخفى عليهم شيء**»[2] .

ومع ذلك يُطرح التساؤل القائل : هل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يعلمون الغيب أيضاً؟

إنّ خلاصة الجواب وإجماله : أنّه نعم ؛ المعصومون الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ يعلمون الغيب أيضاً ؛ و «**شيء**» ذو إطلاق ؛ وبذلك تشمل جميع الأشياء في العالم حتى الغيب .

إلاّ أنّ الشبهة تنبع من النفي الوارد في آيات القرآن الكريم ؛ حيث يقال إنّ هناك آيات قرآنية نفت علم الغيب عن غير الله تعالى ، وهي الآيات التالية :

---

(١) *آل عمران* ، الآية ٥ .

(٢) *مرآة العقول* ، ج ٣ ، ص ١٢٩ ، باب أن الأئمة ـ عليهم السلام ـ يعلمون علم ما كان وما يكون وأنه لا يخفى عليهم شيء صلوات الله عليهم .

١ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾[١].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّه﴾[٢].

٣ ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾[٣].

٤ ـ وقوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً﴾[٤].

٥ ـ وقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[٥].

٦ ـ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾[٦].

٧ ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾[٧].

**جواب الشبهة:**

**أوّلاً:** لا يصح التمسك بظاهر الآيات فحسب؛ لأنّ هذا ينجر إلى التنافي والتناقض بين آيات القرآن الكريم؛ وذلك لأنّ هناك آيات أخرى وكذا روايات عديدة تُثبت علم الغيب لأنبياء الله تعالى وكذا للأربعة عشر معصوماً صلوات الله عليهم؛ ومن هنا يلزم فهم الآيات والروايات بعد جمعها بما ينفي التناقض بينها. ومن الروايات التي تدل على اطلاع الأئمة ـ عليهم السلام ـ على الغيب:

---

(١) *آل عمران*، الآية ١٧٩.

(٢) *يونس*، الآية ٢٠.

(٣) *هود*، الآية ٣١. *الأنعام*، الآية ٥٠.

(٤) *الجن*، الآية ٢٦.

(٥) *الأنعام*، الآية ٥٩.

(٦) *الأعراف*، الآية ١٨٨.

(٧) *النمل*، الآية ٦٥.

قول أمير المؤمنين ـ عليهم السلام ـ : «**سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا أعلم بطرق السماوات منّي بطرق الأرض**»[١]. أضف إلى ذلك العديد من الروايات التي فيها إخبار أهل البيت عملياً عن الغيب ، وإخبارهم قد تحقّق وعُلم صدقُه.. فهذه الروايات وغيرها مما تواتر بين الفريقين ؛ هي من الأدلّة التي تثبت العلم بالغيب لغير الله تبارك وتعالى . وفي ضوء قاعدة (الجمع مهما أمكن أولى من الطرح) ؛ يلزمنا أن نحدّد الإجابة الصحيحة لتلك الظواهر القرآنية التي استندت إليها الشبهة .

**ثانياً**: إنّ من الضروري قراءة وفهم الآية بتمامها ، لا أن نكون مثل الذين يتشبثون بقوله تعالى ﴿**كلوا واشربوا**﴾ ، ويهملون ﴿**ولا تسرفوا**﴾ ، أو يعملون بـ ﴿**ولا تقربوا الصلاة**﴾ مع حذف ﴿**وأنتم سكارى**﴾..!

إننا حين نطالع الآية الأولى ؛ نجدها تصرّح بأنّ الله تعالى لا يطلعكم على الغيب ، ولكننا حين نكمل قراءة الآية نجدها تستثني من ذلك أناساً حيث يقول الله تعالى : ﴿**وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾[٢].

وكذا في الآية الرابعة ؛ فإنه بعد أن قال في البدء إنه عالم الغيب الذي لا يظهر على غيبه أحداً ؛ فإنه في نهاية المطاف قال : ﴿**إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾[٣].

وفي ضوء الاصطلاح المعروف في علوم القرآن تعتبر هاتان الآيتان من الخاص والعام ، ومعنى ذلك أنّ نفي علم الغيب بعد أن كان يتناول الجميع ؛ إلاّ

---

(١) *بحار الأنوار* ، ج ١٠ ، ص ١٢٨ .

(٢) *آل عمران* ، الآية ١٧٩ .

(٣) *الجن* ، الآية ٢٧ .

إنّه فيما بعد تم التخصيص حيث استثني أناسٌ مخصوصون من دائرة النفي ، فتكون الحصيلة أنّ المُستثنَين يُطلعهم الله تعالى على علم الغيب .

**النكتة (٣٠)** : من هو المرتضى من الرسول؟

فيما يرتبط بقوله تعالى ﴿**إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾ هناك عدّة أمور تمَّ طرحُها :

**الأمر الأوّل**: أنّ ﴿**من رسول**﴾ تشمل مبعوثي الله تعالى والملائكة والأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ أيضاً ؛ وذلك لأنّ الرسالة غير النبوة ، وكلُّ مهمَّة تُلقى على عاتق النبي فإنّ الإمام يُطالب بها أيضاً ؛ والسر في ذلك أن الرسالة مهمَّة الإمـام المعصـوم أيضاً ، ومن هنا كان قوله تبارك وتعالى : ﴿**الله أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾[1] يشمل الأئمَّة الأطهار ـ عليهم السلام ـ أيضاً ، ومن هنا أيضاً صحَّ التعبير بـ «**السلام عليكم يا أهل بيت النبوة وموضع الرسالة**»[2].

وفي ضوء ذلك تكون الآيات المذكورة شاملة للأئمة الأطهار ـ صلوات الله عليهم ـ أيضاً .

إنّ الملاك الذي يتم على أساسه الإظهار على الغيب هو ﴿**مَن ارتَضَى**﴾ ، وأمَّا ﴿**من رسول**﴾ فلا تفيد خصوصية للمذكور بحيث يتم حصر الغيب في إطار العنوان ؛ بل السر في ذكر ذلك هو أنّ المشركين كانوا ينكرون أن يكون

---

(١) *الأنعام* ، الآية ١٢٤ .

(٢) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢ ، ص ٦١٣ ، *التهذيب* ، ج ٦ ، ص ٩٧.

الرسول قد أُظهر على علم الغيب ، فجاء البيان القرآني ليفنِّد ويردّ عليهم ، ومن هنا ناسب التعبير بـ ﴿من رسول﴾ لا من باب التخصيص ، بل من باب مناسبة التنزيل .

**الأمر الثاني:** إنَّ قوله تعالى ﴿إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾ يعني أنَّ المرتضى هو مرتضى من قِبَل الرسول ؛ أي من يكون الرسول راضياً عنه ، وهو عليٌّ المرتضى سلام الله عليه .

**الأمر الثالث:** قد جاءت على هامش هذه الآية رواية عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ونصها : «**فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما شاء من غيبه، فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة**»[١].

وإنّنا لنستغرب من موقف البعض في تفسير هاتين الآيتين مع قبول نسبة علم الغيب إلى النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ والأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ ؛ حيث أثبتوا لهم العلم ببعض الغيب لا كلِّه، في حين أنَّ كلتا الآيتين مطلقةٌ، فلا يُعلم مستندهم في (بعض الغيب) ما هو في الآيات والروايات[٢].

وقام فريقٌ آخر بتفسير (علم الغيب) بالعلم بالقيامة، وهو ما سوف نعرف عدم صحته لاحقاً.. وقوله يعني العلم ببعض القيامة ، وهو واضح البطلان .

**ثالثـاً:** إنّ الآيات التي نفت علم الغيب عمن عدا الله تبارك وتعالى ، كالآيتين

---

(١) *بحار الأنوار* ، ج ٤٩ ، ص ٧٥ .

(٢) *تفسير مجمع البيان للطبرسي* ، ج ٣ ، ص ٣٠٤ ، بتفسير قوله تعالى **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾** [الأنعام: ٥٠] .

الثانية والخامسة، فإنّ النفي فيها ذاتي لا عرضي، بمعنى أنّ العالم بالغيب أوّلاً وبالذات ليس إلاّ الله تعالى، بيد أنه ـ تبارك وتعالى ـ يفيض هذا العلم على من يشاء (كما في الآيتين الأولى والرابعة)، وحيث ينفي أهل البيت ـ عليهم السلام ـ عن أنفسهم العلم بالغيب (كما في الآيات الثالثة والسادسة والسابعة)، فإنّ ذلك قد يكون دفعاً للغلو والاعتقاد بالألوهية، أو نفياً للاستقلال بعلم الغيب، أي أنهم ـ عليهم السلام ـ يريدون أن يقولوا بذلك: إننا لا نعلم الغيب أوّلاً وبالذات، إلاّ أنه من المعلوم الذي لا يخفى على أحد أنهم ـ عليهم السلام ـ يعلمون الغيب بالاستمداد من الله تعالى، كما أنهم في الكثير والعديد من الحالات كانوا يُفيدون من إحاطتهم بالغيب.

يقول العلامة الطبرسي ـ رحمه الله ـ في تفسيره:

**«لا أعلم الغيب الذي يختص الله بعلمه، وإنما أعلم قدر ما يعلمني الله تعالى من أمر البعث والنشور والجنة والنار.. وغير ذلك»**[1].

إنّ العلم الذي اختص الله تعالى به هو العلم بالذات المقدسة، وهو الذي لا سبيل لأحد للعلم به، وأمّا سائر الأمور فإنها تقع في مجال علمهم بالغيب، والله ـ تعالى ـ يقول: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**[2].

وقيل في معنى الغيب أنه على نحويين: الغيب اللغوي والغيب الاصطلاحي. والمقصود بالغيب اللغوي: ما أعلمه أنا ويخفى عليك. وأمّا الغيب الاصطلاحي

---

(١) *تفسير مجمع البيان للطبرسي*، ج ٢، ص ٣٠٤.

(٢) *التوبة*، الآية ١٠٥.

فالمراد به ما يختص به الله تعالى، فهو مكنون مستور عن أن يناله غيرُ الله تعالى بعلم وإدراك، وفي هذا السياق يمكننا أن ندرك المراد من قول الإمام علي ـ عليه السلام ـ حين سئل عما إذا كان يعلم الغيب، فقال ـ عليه السلام ـ: «**ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعليم من ذي علم**»[١].

**وبعبارة أخرى:** إنّ علم الغيب إمَّا مطلق وإما نسبيٌّ، والله تعالى هو الغيب المطلق الذي لا يمكن إدراكه؛ قال الله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ**﴾[٢]، وفي نهج البلاغة: «**ولا يدركه بعد الهمم**»[٣]، وفي الدعاء: «**يا من لا تحويه الفكر**»[٤].

إلاّ أنّ في إزاء هذا الغيب المطلق والذاتي الذي أوصد بابُ العلم به، ولا سبيل إليه لأحد حتى لأهل البيت عليهم السلام، في إزائه سائر الغيوب التي هي غيوب نسبية غير مطلقة، مثل العلم بيوم القيامة، والعلم بالملائكة، فإنّ الملائكة ـ على سبيل المثال ـ لا يمكن رؤيتهم بالنسبة للبعض، في حين أن ذلك متيسر لبعض آخر من العباد؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿**فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَاباً فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً**﴾[٥].. فالغيب في هذا المجال نسبي..

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ١٠٣.

(٢) *أنعام*، الآية ١٠٣.

(٣) *نهج البلاغة*، الخطبة ١.

(٤) *مهج الدعوات*، ص ١٥٤.

(٥) *مريم*، الآية ١٧.

إنَّ الإخبار بما سيقع مستقبلاً يندرج في الغيب، وحين يأتي تأويله ويتحقق يُصبح شهوداً، كما أنَّ الأخبار عن الأمور التي مضت ولم نشهدها هي بالنسبة إلينا غيب، مع أنها بالنسبة إلى الخلق الذين عاصروها شهود، ومن هنا كان التعبير القرآني عن أخبار وقصص الأمم الماضية: ﴿**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ**﴾[١].

وتندرج ضمن الغيب النسبي الشخصياتُ المُقدّسةُ والذوات الربانية لحُجج الله تعالى، من أنبياء وأولياء وأوصياء، ومنهم الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام، ومعنى ذلك تعذّر الإحاطة بكنه ذواتهم ومعرفة شخصياتهم وإحصاء فضلهم على سائر الناس.. ويمثِّل الإمام المهدي المنتظر ـ عجل الله تعالى فرجه الشريف ـ مصداقاً للغيب النسبي، والله ـ تبارك وتعالى ـ يقول: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾[٢].

فجميع ما أشرنا إليه ـ باستثناء الذات الأحدية المقدّسة ـ هو من الغيب النسبي الذي يحيط بتمام علمه الأئمة الأطهار من أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم.

قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

**«أيُّ إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير إليه فليس ذلك بحجة لله على خلقه»**[٣].

---

(١) *آل عمران*، الآية ٤٤.

(٢) *البقرة*، الآية ٣.

(٣) *الكافي*، ج ١، ص ٢٥٨.

*** العلم بالقيـامة**

من أهمّ مصاديق علم الغيب: العلم بالقيامة؛ فيُقال: مع الأخذ بعين الاعتبار قوله تعالى ﴿**إنّ الله عنده علم الساعة**﴾[١]؛ هل يصح القول بأنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لديهم إحاطة علمية بالقيامة؟

إنّ المقصود بالعلم بالقيامة هو العلم بوقت قيامها وحقيقتها وتفاصيل مُجرياتها، وخصائص أهل المحشر، وكل ما يرتبط بذلك من الأمور.. فذلك كلُّه من مصاديق علم المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

وقد قام آية الله الشيخ جوادي الآملي بالاستدلال لذلك على النحو التالي[٢]:

**الدليل الأوّل:** في قوله تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَداً، إلاّ مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ**﴾[٣] تمّ نفي الغيب عن سائر الناس مع استثناء أهل الاصطفاء، فإذا كانت الألف واللام في «الغيب» للاستغراق أو الجنس دلّت على الإطلاق والعموم، أي أنّ المعنى يكون (عالم كلّ غيب)، ولمّا كانت القيامة من مصاديق الغيب، دلّت الآية على أنّ أهل البيت لديهم علم القيامة؛ وذلك لأنّهم المصطفون المرتضون عند الله تعالى؛ فإنّهم ـ عليهم السلام ـ المخاطبون بـ «**اصطفاكم بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسرّه**»[٤].

---

(١) *لقمان*، الآية ٣٤.

(٢) *ادب فناى مقربان*، ج ٣، ص ٤٢٤.

(٣) *جـن*، الآيتان ٢٦ ـ ٢٧.

(٤) *من لا يحضره الفقيه*، ج ٢، ص٦١٣، *التهذيب*، ج ٦، ص٩٧.

وإذا كانت الألف واللام للعهد الذهني ؛ دخل العلم بالقيامة في المقصود أيضاً ؛ والسبب في ذلك أنّ الآيات التي قبل ﴿**عالم الغيب**﴾ ترتبط بالقيامة .

**فإن قيل** : إنّ هذا يلزم منه تخصيص الغيب في الآية بالقيامة ، وهذا يعني نفي عموم الغيب . **قلنا** : إن إثبات شيء لا ينفي ما عداه ، إضافة إلى أنّ القيامة هي المصداق الأهمّ للغيب ، فبعد ثبوت علم أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بالقيامة يكون ثبوت علمهم بما عدا ذلك من مصاديق الغيب بنحو أولى .

**الدليل الثاني**: إنّ أهل البيت عليهم السلام ـ كما ذكرنا سابقاً ـ هم الصادر الأوّل ، والفيض الأوّل أشرف وأسمى مرتبةً من سائر الموجودات(١) . ولمّا كانت القيامة في مرحلة أدنى ورتبة أدون من وجود أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ بوصفهم الصادر الأوّل ؛ فإنّه يثبت أنّ لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ إحاطة تامّةً وإشرافاً كاملاً على القيامة بوصفها ضمن الأشياء التي في المرتبة الوجودية النازلة عن أهل البيت عليهم السلام .

**الدليل الثالث**: إنّ جميع ملائكة الله المقرّبين خاضعون إزاء الإنسان الكامل ؛ قال الله تعالى : ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**﴾(٢) ، ولمّا كان الملائكة الموكّلون بالقيامة عالمين بها ؛ فكيف يمكن القول بأنّ مَن سجدت له الملائكة غيرُ عالم بذلك؟(٣)

---

(١) إنّ المقصود بالأشرف غير المقصود بالأفضل ؛ فإنّ الأفضل قد يكون كذلك من جهة واحدة فحسب ، وأمّا الأشرف فهو المتفوّق على الإطلاق والمُشرف على ما دونه من جميع الجهات وتمام الأبعاد .

(٢) *البقرة* ، الآية ٣٤ .

(٣) يمكن الإشكال على هذا الاستدلال بعدم الدليل على علم الملائكة بالقيامة .

**الدليل الرابع:** إنَّ المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ هم عِدلُ القرآن الكريم وقرناؤه (بل هم يفوقونه)، وهم علماء بالقرآن الكريم، بحيث علمهم مطابق تماماً لمضمون القرآن الكريم، ولا يفترقان في أدنى مفردة. ولمّا كان قوله تعالى: ﴿**وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ**﴾[1] دليلاً على أنَّ العلم بالقيامة مندرج في القرآن الكريم؛ فيثبت بذلك أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ علماء بالقيامة؛ لأنهم علماء بكل مضامين القرآن الكريم والتي من جملتها علم الساعة.

**الدليل الخامس:** قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «**لو كنتُ بين موسى والخضر لأخبرتهما ولأنبأتهما بما ليس عندهما؛ لأنَّ موسى والخضر أعطيا علم ما كان، ولم يُعطيا علمَ ما يكون، وقد ورثنا علم ما كان وما يكون وما هو كائن حتى تقوم الساعة**»[2].

وعبارة «**حتى تقوم الساعة**» تشمل جميع الوقائع وصولاً إلى قيام يوم القيامة، ومن كان يعلم جميع الوقائع حتى التي تتصل بلحظة قيام الساعة، فإنَّ ذلك يعني ـ التزاماً ـ أنه يعلم بالقيامة نفسها أيضاً.

والروايات العديدة المتواترة التي وردت عن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فيما يرتبط بتفاصيل يوم القيامة، من المواقف الخمسة في المحشر، ومن درجات وأبواب الجنة والنار، تدل على أنهم ـ عليهم السلام ـ كانوا يحيطون بعلم يوم القيامة على مستوى جميع التفاصيل بتمامها وكمالها. وغني عن البيان أنّ هذا

---

(١) *الأنعام*، الآية ٥٩.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٢٦٠.

العلم ليس ذاتياً ، بل هو تبعي وعرضي ، أي باستمداد من العليم الخبير تبارك وتعالى ؛ فإنه لا أحد يمتلك شيئاً (من عنده) ، عدا ما يفيضه الله تعالى عليه . وكذلك أهل البيت عليهم السلام ؛ فإنَّ جميع ما عندهم من علم الغيب بما يشمل العلم بالقيامة ، هو من عند الله تبارك وتعالى .

قال العلاّمة المجلسي ـ رحمه الله ـ فيما يرتبط بموضوع علم الغيب :

**«قد عرفت مراراً أنَّ نفي علم الغيب عنهم معناه أنّهم لا يعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالى بوحي أو إلهام . وإلاّ فظاهر أنّ عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء ـ عليهم السلام ـ من هذا القبيل ، وأحد وجوه إعجاز القرآن أيضاً اشتماله على الإخبار بالمغيَّبات ، ونحن أيضاً نعلم كثيراً من المُغيَّبات بإخبار الله تعالى ورسوله والأئمة عليهم السلام ، كالقيامة وأحوالها والجنة والنار والرجعة وقيام القائم ـ عليه السلام ـ ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ وغير ذلك من أشراط الساعة، والعرش والكرسي والملائكة. وأمَّا الخمسة التي وردت في الآية فتحتمل وجوهاً: الأوّل أن يكون المّراد أنّ تلك الأمور لا يعلمها على التعيين والخصوص إلاّ الله تعالى، فإنّهم إذا أخبروا بموت شخص في اليوم الفلاني فيمكن ألاَّ يعلموا خصوص الدقيقة التي تفارق الروح الجسد فيها مثلاً»**[1] .

وفي ما ذكره ـ رحمه الله ـ نظرٌ ظاهر ؛ فالصحيح أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ مطلعون على سائر التفاصيل والجوانب والخصوصيات .

ثم قال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ :

**«الثاني : أن يكون العلم الحتمي بها مختصاً به تعالى ، وكل ما أخبر الله به من**

---

(١) *بحار الأنوار* ، ج ٢٦ ، ص ١٠٣ .

**ذلك كان محتملاً للبداء»**[١].

أقول : وهذا الوجه أيضاً غير صحيح .

ثم قال ـ رحمه الله ـ :

**«الثالث: أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى بها إلا من قبله ، فيكون كسائر الغيوب ويكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أو لغيره»**[٢].

أقول : ما ذُكر جيدٌ لا بأس به .

ثم قال ـ رحمه الله ـ :

**«الرابع : ما أومأنا إليه سابقاً وهو أنَّ الله تعالى لم يُطْلِعْ على تلك الأمور كلية أحداً من الخلق على وجه لا بداء فيه، بل يرسل علمها على وجه الحتم في زمان قريب من حصولها، كليلة القدر أو أقرب من ذلك، وهذا وجه قريب تدل عليه الأخبار الكثيرة؛ إذ لا بد من علم ملك الموت بخصوص الوقت كما ورد في الأخبار ، وكذا ملائكة السحاب والمطر بوقت نزول المطر...»**[٣].

*** العلم بوقت الظهور والفرج الشريف**

لقد وردت روايات تفيد النهي عن توقيت زمان الظهور وتكذِّب الوقّاتين[٤]،

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) *بحار الأنوار* ، ج ٥٢ ، ص ١٠٣ .

فمع أخذ ذلك بنظر الاعتبار هل يمكن أن يُقال بأنَّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ يعلمون بزمان الظهور ووقت الفرج على وجه التحديد والدقّة، وخصوصاً بالنسبة إلى إمام الزمان نفسه عجّل الله تعالى فرجه الشريف؟

وقد أجاب عن ذلك آيةُ الله السيد الموسوي الأحمد آبادي ـ رحمه الله ـ في كتابه «**مكيـال المكارم**»، بقوله أنَّه لا منافاة بين تكذيب التوقيت والاطلاع على زمان الفرج؛ وأنَّ نفي التوقيت لا يستلزم أنَّ أحداً لا يعلم بزمان الظهور، بل هو بمعنى عدم جواز إفشاء أسرار أهل البيت عليهم السلام.

كما أفاد السيد الأحمد آبادي بعد ذلك تحت (الأمر الثالث) بما نصه:

**«الظاهر من العمومات المتكثرة الواردة في الروايات المتضافرة الدالة على أنَّ الأئمة ـ عليهم السلام ـ عالمون بما كان وما يكون إلى يوم القيامة، وما ورد في وصف الإمام بأنه عالم لا يجهل، وما ورد من أن علم كل شيء في القرآن لقوله تعالى فيه: ﴿تبياناً لكل شيء﴾ وأنَّ الإمام يستخرجه منه، وقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾، وقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾، وهو الأئمة كما في الرواية، وقوله عز وجل: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾، وهو أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كما ورد عنهم بضميمة ما دل على أنهم في العلم والشجاعة سواء، وأنّ ما علمه أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ علمه من بعده الأئمة، وهكذا قول الصادق ـ عليه السلام ـ: إنَّ الله لا يجعل حجة في أرضه يُسأل عن شيء فيقول: لا أدري، وقول أبي جعفر ـ عليه السلام ـ: إنَّ مِن علم ما أوتينا تفسير القرآن وأحكامه وعلم تغيير الزمان وحدثانه، وإذا أراد الله بقوم خيراً أسمعهم، ولو أسمع من لم يسمع لولّى معرضاً كأن لم يسمع، ثمَّ أمسك هنيئة،**

ثم قال: ولو وجدنا أوعية أو مستراحاً لقلنا، والله المستعان. وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة المروية في البصائر والكافي وغيرهما ؛ أنَّ الإمام يعلم وقت ظهوره ، لكنه لم يؤذن بإظهاره ، كما أنَّ الأئمة الماضين لم يؤذنوا بإظهاره ؛ لأنَّ الأئمة ـ عليهم السلام ـ وإن كانوا عالمين بكلٍّ شيء، عدا ما استثني مثل الاسم الأعظم الذي ادَّخره الله عز وجل لنفسه، لم يُطلع عليه أحداً من خلقه، لكنهم ﴿عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ، ولا يخبرون العباد إلاّ بما أمرهم الله تعالى بإظهاره لهم، كما ورد ذلك في روايات عديدة مذكورة في البصائر وغيره، وحاصلها أنَّ الله تعالى أمر العباد بأن يسألوا الأئمة الأمجاد ، فقال تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ فعليهم السؤال، وليس الإمام ملزماً بالجواب، بل هو موكول إلى مشيّته، بحسب ما يراه من المصلحة، فإن شاء أجاب وإن شاء أمسك، كما قال الله عز وجل ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ ، فهو يعمل بمقتضى المصلحة من الجواب والتقية، والكتمان والتورية» .

إلى أن قال ـ قدسّ نفسه ـ :

«ولكنهم أُمروا بإظهار جملة مما يحدث في العالم لحكم كثيرة أيضاً، منها: الدلالة على صدقهم في ساير ما يحدثون به من الحوادث والقضايا والأحكام ومسائل الحلال والحرام وغيرها . ومنها: تكميل إيمان المؤمنين، وإتمام الحجة على الكافرين . ومنها: تسلية قلوب أهل الإيمان وحثهم وبعثهم على انتظار صاحب الزمان ـ عجل الله تعالى فرجه ـ وظهوره»[(١)] .

وفيما يرتبط بخفاء مدّة الغيبة ووقت الظهور ؛ يقول الملاّ نظرعلي الطالقاني :

---

(١) *مكيال المكارم* ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ ـ ٤١٠ .

**«اعلم أنّ خفاء زمان الظهور ممّا اتفق عليه الشيعة والسنة، وامتناع الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ عن إظهار ذلك للشيعة معلومٌ واضحٌ، وربما كان الجهل ببعض الأمور خير من العلم بها ، كما هو الحال في العلم بزمن الموت . فنظراً إلى الأثر التربوي الكبير الذي يكمن في الانتظار ؛ يمكن القول إجمالاً بأنّ عدم العلم بزمن الظهور خير من العلم به، وإلاّ لما كان يُحجب ويُخفى عن الخلق من قبل الله تعالى والأئمة الأطهار عليهم السلام»**[١].

وقد كان المرحوم السيد هاشم الرضوي ـ رحمه الله ـ يقول موضحاً :

**«إنَّ الشيعة وإن كانوا متضررين من غيبة مولاهم الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه ، إلاّ أنه ـ في الوقت نفسه ـ لطفٌ من الله تعالى في حقهم ؛ ذلك أنَّ الكثير من الناس سوف يواجهون الإمام بالمخالفة في زمان الظهور ، في حين أنَّ مخالفة الإمام توجب الكفر للمخالف.. والناس وإن كانوا لا ينصاعون الآن للأحكام ، إلاّ أنَّ مخالفتهم هذه هي في مقابل المرجعية، وليست مخالفة للإمام بصورة مباشرة»** .

وقد روي بصحيح السند أنَّ الإمام علياً خطب الناس فقال : **«سلوني قبل أن تفقدوني»** ثلاثاً . فقام صعصعة بن صوحان ، فقال : يا أمير المؤمنين متى يخرج الدجال؟ فقال : **«ما المسؤول عنه بأعلم من السائل ، ولكن لذلك علامات وهيئات يتبع بعضها بعضاً...»** ، ثم أخذ الإمام بذكر العلامات[٢].

وفي رواية أخرى عن الإمام علي ـ عليه السلام ـ ورد أنه قال :

---

(١) *كاشف الأسرار* ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٢) نُقلت هذه الرواية في كتاب *كاشف الأسرار* ، ج ١ ، ص ٢٠٦ . و*حديقة الشيعة* للمقدس الأردبيلي ، ص ٧٦١ ، و*الخرائج* لقطب الدين الراوندي ، في باب معجزات أمير المؤمنين عليه السلام .

**«لولا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة»**[١]. والآية قوله تعالى: **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾**[٢].

ونظراً إلى إمكان تحقق البداء في القضاء والقدر فتتغير الأمور بتبع ذلك؛ ثمّة احتمال بأن يكون زمان ظهور الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ ضمن ما يقع تحت التغيير، ومن هنا يمكن أن يرد التوهم بأنّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ لا يمتلكون العلم القطعي بزمان الظهور والفرج على وجه التحديد والتعيين، وهو ما يمكن أن يتم تدعيمه بمفاد الرواية الآنفة التي عن الإمام علي عليه السلام، وروي نظيره عن غيره من الأئمة ـ عليهم السلام ـ أيضاً.

وقد تصدى صاحب كتاب «**مكيال المكارم**» للجواب عن هذا التوهم، فقال:

**«فلأنَّ معناه أنَّ قوله تعالى: ﴿يمحوا الله ما يشاء...﴾ مانع عن إخبار الناس بما يكون إلى يوم القيامة؛ لأنه ـ عليه السلام ـ لم يقل: لولا آية في كتاب الله لعلمت ما يكون، وإنما قال: لولا الآية لأخبرتكم بما يكون، وكلمة (لولا) تدل على امتناع الجملة الفعلية بسبب وجود الجملة الاسمية الواقعة بعد لولا، وتسمى لولا الامتناعية. وتحقيق الكلام في هذا المقام: أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت إخفاء كثير من الأمور عن العباد، وظهور جملة منها لهم بعد خفائها عنهم، وجعل كثيراً من التقديرات موقوفة على وقوع أمور أو عدم أمور أخرى، وفيها يكون المحو والإثبات...»**[٣].

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٤٠، ص ١٤٤. *إرشاد القلوب*، ج ١، ص ٣٤.

(٢) *الرعد*، الآية ٣٩.

(٣) *مكيال المكارم*، ج ٢، ص ٤٠٧.

والإمام السجاد ـ عليه السلام ـ أيضاً يقول في دعائه :

**«إلهي إن كنت من الأشقياء فامحني من الأشقياء واكتبني من السعداء»**[١].

فهذا الدعاء يجسِّد عالم المحو ؛ فمن الممكن أن يكون شخص ما ـ بحسب عالم المحو ـ شقياً ، ولكن ذلك لا يتحتّم ، بل يتم تعليقه على أمور ، بحيث يكون انتفاء تلك الأمور يعني سعادة ذلك الشخص ، وهذا منه .

وأمّا في لوح الإثبات فإنه يتم تسجيل القضاء الأخير وما ستصل إليه الأمور في آخر المطاف ، وأمَّا في لوح المحو فيتم تسجيل أوّل الأمر وما يعتريه خلال المسار . ومثاله : ما جرى للحر بن يزيد الرياحي ، الذي كان في زمرة الأشقياء ، ولكن في ضوء المسجل في لوح المحو ومآل الأمور كان من الأخيار السعداء .

وكما أنَّ الله تعالى يعلم منذ الأزل ما سيمحوه وما سيثبته ، فإن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أيضاً ذوو اطـلاع على عالم المحو والإثبات ؛ والدليل على ذلك أنهم ـ عليهم السلام ـ أخبروا عن أمور كثيرة ، فوقعت كما أخبروا ، فكانت من المضامين المسجلة في لوح الإثبات . وبناء عليه : فإنهم ـ عليهم السلام ـ كانوا يعلمون بما في لوح الإثبات ؛ حيث أخبروا عنه .

وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول : أن اللوح المحفوظ وأم الكتاب هو القلب المقدس النوراني للأطهار من أهل البيت عليهم السلام .

فتبين من ذلك أنَّ قوله تعالى **﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾** ،

---

(١) *بحار الأنوار* ، ج ٩٥ ، ص ١٦٣ .

لا يدل على انتفاء العلم عن المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام، بل هو مانع من إخبارهم لغيرهم بمكنون الأمور الغيبية.

وإنما أخبر عباده بوقوع المحو والإثبات لحكم كثيرة ومصالح عديدة، منها:

**أولاً:** دلالتهم على عموم قدرته ونفوذ مشيته؛ لئلاّ يقولوا كما قالت اليهود والزنادقة ﴿**يد الله مغلولة**﴾[1].

**ثانياً:** أن يتعبدوا له ويتضرعوا إليه ويدعوه؛ ليفوزوا بإحدى الحسنيين، أعني نيل مقاصدهم في الدار العاجلة، وإن كانت من الأمور الموقوفة، والفوز بثواب الدعاء والتعبد والتضرع في الدار الآخرة، إن كانت من الأمور المحتومة.

**ثالثاً:** التمحيص لقوم والامتحان لقوم آخرين؛ ليميز الله ـ تعالى ـ الخبيث من الطيب، وهذا التمحيص والامتحان قد يقع في أصل الإذعان للمحو والإثبات فيؤمن به قوم مؤمنون، وينكره قوم آخرون، كما زعمه قوم من الفلاسفة الزنادقة، وقد يقع في تصديق الأئمة الطاهرين وحجج الله على العالمين، فيما أخبروا بوقوع البداء فيه، لكونه من الأمور الموقوفة التي يجري فيها المحو والإثبات، فصدّقهم المؤمنون لاعتقادهم به وبصدق أئمتهم، وإليه أشار مولانا الباقر ـ عليه السلام ـ في حديث فضيل بن يسار:

**«قال: قلت: لهذا الأمر وقت؟ فقال ـ عليه السلام ـ: كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون. إنَّ موسى ـ عليه السلام ـ لما خرج وافداً إلى ربه واعدهم ثلاثين يوماً، فلما زاده الله على الثلاثين عشراً، قال قومه: قد أخلفنا موسى، فصنعوا**

(١) *المائدة*، الآية ٦٤.

**ما صنعوا، فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم به، فقولوا: صدق الله، وإذا حدثنـاكم الحديث فجـاء على خلاف ما حدثنـاكم به فقولوا: صدق الله، تؤجروا مرتين»** .

هذا بالنسبة إلى الحديث الأوّل .

أمّا الحديث الثاني ، وهو «**عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: إنَّ علياً ـ عليه السلام ـ كان يقول: إلى السبعين بلاء، وكان يقول: بعد البلاء رخاء، وقد مضت السبعون ولم نر رخاء . فقال أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: يا ثابت، إنَّ الله تعالى كان وقت هذا الامر في السبعين ، فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث، وكشفتم قناع السر، فأخره الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتا عندنا، ويمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. قال أبو حمزة: وقلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام، فقال: قد كان ذاك**»[١] .

فصدره وذيله يدلاّن على أنّ غرض الإمام ـ عليه السلام ـ إخفاء المطلب عنه ، والحديث ينادي بأعلى صوته بأنه أراد الستر والكتمان ، وبين وجهه في جواب السؤال .

وتوضيح الكلام : أنَّ الله عز وجل خلق اللوح المحفوظ في السماء ، وأثبت فيه جميع العلوم والوقائع والحوادث والقضايا والأحكام كما قال تعالى : **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ**

---

(١) *مستدرك الوسائل*، ج ١٢ ، ص ٣٠٠ .

مُبِينٍ﴾[1]، وفي سورة طـه : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ﴾[2]، وفي سورة النمل : ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[3]، وفي سورة سبأ : ﴿لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَلا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[4]، وفي فاطر : ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ﴾[5]، وفي سورة ق : ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ﴾[6]، وفي سورة الحديد : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾[7]، وفي الواقعة : ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لا يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾[8].

وخلق نظير اللوح المحفوظ السماوي في الأرض وهو الإمام عليه السلام، فهو لوح عالم المُلك، كما أنَّ الأوّل لوح عالم الملكوت، وقد أثبت فيه وأودعه جميع ما أودع اللوح السماوي وأثبت فيه، فقال تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[9]، وقال تعالى : ﴿حـم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[10]، فإنه قد ورد في

---

(١) *هود*، الآية ٦ .

(٢) *طـه*، الآية ٥٢ .

(٣) *النمل*، الآية ٧٥ .

(٤) *سبأ*، الآية ٣ .

(٥) *فاطر*، الآية ١١ .

(٦) *ق*، الآية ٤ .

(٧) *الحديد*، الآية ٢٢ .

(٨) *الواقعة*، الآية ٧٨ ـ ٧٩ .

(٩) *يس*، الآية ١٢ .

(١٠) *الدخان*، الآيتان ١ ـ ٢ .

روايات عديدة أنّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ هو الإمام المبين[(١)].

وفي الكافي عن الكاظم ـ عليه السلام ـ في حديث النصراني الذي أسلم: أنّ ﴿**حم**﴾ رسول الله صلى الله عليه وآله، و﴿**الكتاب المبين**﴾ عليٌّ أمير المؤمنين عليه السلام[(٢)]، والروايات في أبواب علوم الأئمة وكيفياتها أكثر من أن تحصى.

إذا عرفت هذا فنقول: كما أنّ اللوح المحفوظ السماوي أثبت الله فيه علم كل شيء، لكن لا يُظهر الله تعالى منه لأهل العالم، إلا ما كان الصلاح في إظهاره، ويستر عنهم ما دون ذلك بحسب اقتضاء أحوال الأشخاص والأزمان، كذلك اللوح المحفوظ الذي جعله في الأرض، وأثبت فيه كل علم أودعه في اللوح السماوي، لا يظهر منه لأهل العالم إلا ما كان الصلاح في إظهاره، ويستر عنهم ما دون ذلك كما قال عز وجل: ﴿**وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ**﴾[(٣)]، وقال تعالى: ﴿**...مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا**﴾[(٤)]، فإن الإمام هو الشجرة الطيبة كما في روايات كثيرة، بل متواترة، وثمرها علمه، يفيض منه ما يشاء بإذن ربه على من يشاء كيف يشاء، كما يظهر من الروايات الكثيرة المتواترة، المروية عنهم عليهم السلام.

وملخص الكلام أنَّ الإمام ـ عليه السلام ـ أراد ستر المطلب عن الراوي بذلك البيان، ويشهد لذلك صدر الكلام من السؤال والجواب.

---

(١) راجع البرهان: ج ٤، ص ٥٦٩، ح ١٧ و ١٨ و ٢١ و ٢٢.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٤٧٩، ح ٤، وعنه *الوافي*، ج ٣، ص ٧٩٦، ح ٤.

(٣) *الشورى*، الآية ٢٧.

(٤) *إبراهيم*، الآيتان ٢٤ ـ ٢٥.

ويشهد لما ذكرناه أيضاً قول الصادق ـ عليه السلام ـ لأبي جعفر محمد بن النعمان الأحول في حديث طويل شريف، مروي في تحف العقول وغيره:

**«يا بن النعمان؛ إنَّ العالم لا يقدر أن يخبرك بكل ما يعلم لأنه سر الله الذي أسره إلى جبرئيل، وأسره جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله، وأسره محمد إلى علي عليه السلام، وأسره علي إلى الحسن عليه السلام، وأسره الحسن إلى الحسين عليه السلام، وأسره الحسين إلى علي عليه السلام، وأسره علي إلى محمد عليه السلام، وأسره محمد إلى من أسره فلا تعجلوا، فوالله لقد قرب هذا الأمر ثلاث مرات فأذعتموه فأخره الله، والله ما لكم سرٌّ إلاّ وعدوّكم أعلم به منكم...»** الحديث[1].

فانظر إلى هذا الكلام وتأمّلْ فيه، فإنه ينادي لمن له قلب بعلمهم ـ عليهم السلام ـ بوقت الفرج، ولكنهم مأمورون من الله تعالى بكتمانه لعدم تحمل الشيعة.

وبإسناد صحيح عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال:

**«أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا، إنَّ كلامنا لينصرف على سبعين وجهاً»**[2].

وفي معناه روايات مستفيضة، بل متواترة، وهي تدل على أنه لو صدر عنهم ـ عليهم السلام ـ كلام يخالف بظاهره سائر أحاديثهم، أو يتوهم من ظاهره الكذب أو نحو ذلك، فإنهم لم يريدوا ظاهره، ولهم المخرج منه، فيجب علينا تصديقهم وإرجاع العلم به إليهم.

فربما ينكرون شيئاً بحسب بعض الحكم والمصالح والتقية من بعض

---

(١) *تحف العقول*، ص ٣١٠، وعنه البحار، ج ٧٨، ص ٢٨٦، ح ٢.

(٢) *بصائر الدرجات*، ص ٣٢٩، ح ٦، وعنه *البحار*، ج ٢، ص ١٩٩، ح ٥٧.

الحاضـرين ، وفي كلامهم تورية أو وجه من الوجـوه لا نعرفها وهم العالمون بها ، وأنت إن كنت من أهل التتبع والممارسة في كلماتهم وقفت على شواهد متكثرة لصحة ما ذكرناه بعون الله تعالى وبركة أوليائه .

فمن شواهد ذلك : رسـالة علي بن يقطين إلى الإمام الرضا عليه السلام ، وجواب الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ وأمره إياه بأن يعمل وفقاً لطريقة أهل السنة في الوضوء .

ومن جملة شواهد ذلك: ما في الكافي وغيره عن سدير ، قال:

**«كنت أنا وأبو بصير ويحيى البزاز وداود بن كثير في مجلس أبي عبد الله عليه السلام ، إذ خرج إلينا وهو مغضب، فلما أخذ مجلسه قال: يا عجباً لأقوام يزعمون أنا نعلم الغيب ، ما يعلم الغيب إلا الله عز وجل ، لقد هممت بضرب جاريتي فلانة فخربت مني ، فما علمت في أي بيوت الدار هي .**

**قال سدير: فلما أن قام من مجلسه صار في منزله، دخلت أنا وأبو بصير وميسر، وقلنا له: جعلنا فداك، سمعناك وأنت تقول كذا وكذا في أمر جاريتك، ونحن نعلم أنك تعلم علماً كثيراً، ولا ننسبك إلى علم الغيب.**

**قال : فقال : يا سدير ؛ ألم تقرأ القرآن؟ قلت : بلى ، قال : فهل وجدت فيما قـرآت من كتاب الله عز وجل : ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] ، قال : قلت : جعلت فداك ، قد قرأته . قال : فهل عرفت الرجل؟ وهل علمت ما كان عنده من علم الكتاب؟**

---

(١) *النمل*، الآية ٤٠ .

**قال: قلت: أخبرني به. قال عليه السلام: قدر قطرة من الماء في البحر الأخضر، فما يكون ذلك من علم الكتاب؟ قال: قلت: جعلت فداك، ما أقل هذا!**

**فقال: يا سدير؛ ما أكثر هذا أن ينسبه الله عز وجل إلى العلم الذي أخبرك به، فهل وجدت فيما قرأت من كتاب الله عز وجل أيضاً: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[1]؟ قال: قلتُ: قد قرأته جعلت فداك.**

**قال: أفمن عنده علم الكتاب كله أفهم أم من عنده علم الكتاب بعضه؟**

**قلت: لا بل من عنده علم الكتاب كله.**

**قال: فأومأ بيده إلى صدره وقال: علم الكتاب والله كله عندنا، علم الكتاب والله كله عندنا»[2].**

فانظر إلى هذا الحديث الشريف، وتدبَّرْ فيه من صدره إلى ذيله؛ يظهر لك صحة ما قلناه من أنّ ما صدر منهم ـ عليهم السلام ـ مما يشتمل على سلب العلم عن أنفسهم، ليس على ظاهره، بل صدر عنهم لنوع من المصلحة، كما أنه ـ عليه السلام ـ نفى عن نفسه العلم بمكان الجارية إمّا لاشتمال المجلس على أهل النفاق والغلو، أو لغير ذلك من الجهات التي هو العالم بها، ثم لما ارتفع المانع أوضح ـ عليه السلام ـ وفور علمه، وأنه عالم بكل شيء، وأنه يعلم الغيب، حيث أنه أقسم باسم الله جل جلاله بأن علم الكتاب كله عنده، وهذا يدل على أنه عالم بالغيب، وبما كان وما يكون؛ لما عرفت من الآيات الدالة على أن الله عز وجل أثبت جميع ذلك في الكتاب، وهو اللوح المحفوظ.

---

(١) *الرعد*، الآية ٤٣.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٢٥٧، ح ٣، وعنه *البحار*، ج ٢٦، ص ١٧٠، ح ٢٨.

**النكتة (٣١)** : معرفة لحن ومضمون الأحاديث

إنَّ مما نفيده من هذا النوع من الروايات: أهمية التعرف على لحن ومضمون الأحاديث، ودراستها من حيث تكوينها المضموني، وعدم الاكتفاء بظاهر الرواية وسندها ؛ لأنه من الممكن أن يُراد من رواية واحدة وجوهٌ متعدِّدةٌ فلا ينبغي لنا إغفالها ، كما أنَّ بعض الوضاعين قد عمدوا إلى اختلاق السند العالي والصحيح لما وضعوه من أحاديث ؛ ومن هنا كان الضروري الاعتناء بجانب المعنى والمضمون في الأحاديث المتعددة .

وعلي سبيل المثال: فيما يرتبط بالإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ تمَّ وضع ما يقارب الخمسين روايةً، حيث تمَّ إلصاق أسلوب القتل والسطو والقساوة إليه عليه السلام، وقد تمَّ اختلاق أسانيد معتبرة لبعض تلك الروايات أيضاً.. إلاّ أنّنا حين نعدّد قراءتنا في مختلف روايات الموضوع ؛ نجد أن الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ يجسد رحمة الله الواسعة ، وينتهج أسلوب جده النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، فيظهر بذلك كذب تلك المجموعة من الروايات .

**سؤال: علم الإمام ـ عليه السلام ـ بالفعل أم بالقوة؟**

أجاب العلامة المجلسي عن هذا السؤال في «مرآة العقول» تحت عنوان **(أن الأئمة إذا شاؤوا أن يعلموا علموا)** ، حيث نقل ثلاث روايات ، أحدها عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال :

**«إنَّ الإمام إذا شاء أن يعلم علم»**[١].

وقد قرأها العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ بضم العين وتشديد اللام مع كسرها ، أي : **«عُلِّم»**.

و نجد نفس المضمون في روايات أخرى عن الإمام الصادق عليه السلام .

ومع أنَّ العلامة المجلسي يرى ضعف هذه الروايات ، إلاّ أننا إذا اعتقدنا بمفاد هذه الروايات على إطلاقها فإن ذلك يعني أننا قسمنا العلم إلى ما هو بالقوة وما هو بالفعل ، وهذا يعني أننا نظرنا إلى علم الله تعالى فجعلناه بالفعل؛ لأنَّ **«إذا شاؤوا»** لا مجال لها في ذات الله تعالى ، بينما جعلنا علم الإمام بالقوة؛ لأن المعنى أنهم إذا شاؤوا علموا ، وإذا لم يشاؤوا لم يعلموا ، وهو ما لا يمكن القول به ؛ لأنَّ الصحيح أنَّ الله تعالى أفاض العلم والمعرفة بالفعل على المعصومين الأربعة عشر ، فهم عالمون بجميع العلوم والمعارف بالفعل ، فهم قد أرادوا أن يعرفوا كلّ شيء ، وقد عرفوا .

**نكتة دقيقة:**

إنَّ عظيماً يسكن في «زرند» من «كرمان» ، وبالرغم من أنه ضريرٌ إلاّ أن الله تعالى تفضل عليه بالكثير من العلوم والمعارف.. ويرى هذا الفاضل في هذا المجال أنَّ المقصود بهذه الروايات أنَّ الولاية التكوينية لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ ليست قاصرة على عالم الخلقة ، بل هي تشمل أيضاً العلم والمعرفة ،

---

(١) *مرآة العقول* ، ص ١١٨ ، *الكافي* ، ج ١ ، ص ٢٥٨ .

فذلك في يدهم وخاضع لهم ، وهذا يدل على عظيم منزلتهم ، وليس فيه أي دلالة على الانتقاص من رفيع شأنهم .

ومن الجدير بالذكر أنه يقال في مجال الاجتهاد بعدم لزوم أن يكون المجتهد مستحضراً وعالماً بالفعل بكل التفاصيل والمطالب ، بل يكفي أن يمتلك القدرة على الفهم والتحصيل بحيث يستطيع استنباط المضمون من مظانه المقرّرة كتاباً وسنةً كلما تطلب الأمر . بيد أنّ الأمر ليس كذلك في علم أهل البيت عليهم السلام ، فهم لا يحتاجون إلى المراجعة لتحصيل المعلومة ، بل هم ـ عليهم السلام ـ كلما أرادوا أن يعلموا يتحقق العلم عندهم بصورة مباشرة ، بخلاف الحال عند سائر الناس ؛ فإنّ الشخص الاعتيادي إذا أراد أن يمحو معلومة من ذاكرته ، لا يفلح في ذلك ؛ وهذا مرجعه إلى أنّ العلم أو عدم العلم ليس خاضعاً لولاية الإنسان الاعتيادي ، في حين أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يمتلكون هذه الولاية على العلم إثباتاً ونفياً .

**حول علم الإمام علي ـ عليه السلام ـ في ليلة المبيت:**

لقد كان الشيخ عبد الكريم حامد ـ رحمه الله ـ واستناداً إلى هذه الروايات يقول : لقد اضطجع الإمام علي ـ عليه السلام ـ في ليلة المبيت على فراش النبي صلى الله عليه وآله ، فهل كان أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يعلم بأنه لا يُستشهد في تلك الليلة؟

فإن قلنا إنه كان يعلم ؛ لزم من ذلك نفي الفضيلة المسجّلة لأمير المؤمنين في ليلة المبيت ، وإن قلنا إنه لم يعلم ؛ لزم من ذلك الانتقاص والريب في علم الإمام عليه السلام .

فلا بد أن يكون الجواب عن ذلك بأنّ الإمام لما كان ذا ولاية على العلم؛ فإنه حال دون علمه في تلك الفترة الزمنية حتى يغيب عنه ما يؤول إليه الأمر، فيصير حقيقاً بخطاب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ﴾[1]، وهذا من كمال الإنسان، أن يملك إنساءَ نفسه علمَهُ.

هكذا أجاب الشيخ حامد رحمه الله، وهو جواب يصلح لإسكات المخالفين، ولكننا نرى أنَّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ كان على علم بجميع القضايا، ولو علم ـ عليه السلام ـ أنه يُستشهد في ليلة المبيت، لما تردد في الاضطجاع على فراش النبي صلى الله عليه وآله؛ والسر في ذلك أنّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ هو القائل: «**والله لابنُ أبي طالب آنسُ بالموت من الطفل بثدي أمِّه**»[2]. وقد تجسّد ذلك في الليلة التاسع عشرة من شهر رمضان (ليلة الضربة)؛ فقد كان الإمام على علم بما يقع في تلك الليلة، ومع ذلك مضى قُدماً ولم يتردد لحظة في أفضل استشهاد في المسجد وفي قلب المحراب.

**وبناء عليه:** إنَّ علم الإمام في ليلة المبيت لا ينقص ذرة من قيمة الفضيلة له، فقد كان عمله إنقاذاً للنبي صلى الله عليه وآله، وهذه فضيلة لا ريب في عظمتها.

### * ازدياد علم الإمام في ليالي الجمعة

في هذا المجال يمكننا ملاحظة ما يلي من الروايات:

---

(١) *البقرة*، الآية ٢٠٧.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٢٨، ص ٢٣٣.

**الرواية الأولى:**

**«عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال لي: يا أبا يحيى إن لنا في ليالي الجمعة لشأناً من الشأن ، قال : قلت : جعلت فداك ، وماذاك الشأن؟ قال ـ عليه السلام ـ : يؤذن لأرواح الأنبياء الموتى ـ عليهم السلام ـ وأرواح الأوصياء الموتى وروح الوصي الذي بين ظهرانيكم، يُعرج بها إلى السماء، حتى توافي عرش ربها ، فتطوف به أسبوعاً، وتصلي عند كل قائمة من قوائم العرش ركعتين، ثم ترد إلى الأبدان التي كانت فيها ، فتصبح الأنبياء والأوصياء قد ملئوا سروراً ، ويصبح الوصي الذي بين ظهرانيكم وقد زيد في علمه مثل جمّ الغفير»**[١].

**الرواية الثانية:**

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: **«إذا كان ليلة الجمعة وافى رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ على العرش، ووافى الأئمة ـ عليهم السلام ـ معه، ووافينا معهم ـ فلا ترد أرواحنا إلى أبداننا إلا بعلم مستفاد، ولولا ذلك لأنفدنا»**[٢].

وهنا يفترض أن نتساءل عن الوجه الذي يوجب أن يكون جميع ما يعلمه أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من علم الكتاب وغيره ، منوطاً عدم نفاده بالازدياد في ليالي الجمعة .

يجيب العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ عن ذلك بقوله:

**«يحتمل أن يكون بقاء ما عندهم من العلم مشروطاً بتلك الحالة»**[٣].

---

(١) *الكافي*، ج ١ ، ص ٢٥٣ . *مرآة العقول* ، ج ٣ ، ص ١٠٤ .

(٢) *المصدر نفسه* ، ج ٢٨ ، ص ٢٥٤ .

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٢٦ ، ص ٨٩ .

ولكننا لا نرى تصحيح هذه الإجابة ؛ لأنَّ الوارد في الروايات هو التعبير بالازدياد ، وليس التعبير بالبقاء . أضف إلى ذلك أن أرواح الأنبياء داخلة في هذا الإطار أيضاً ، فهل يصح القول بأنهم يعرجون أيضاً للبقاء؟!

فالصحيح هو أنَّ العروج المذكور لليالي الجمعة هو للازدياد .

والاحتمال الثاني المذكور لتفسير ذلك : أن يكون ما عند أهل البيت ـ عليهم السلام ـ من علم إجمالي بكليات الوقائع ، يقع تحصيل تفصيله في ذلك العروج ، حيث يطلعون على المصاديق الجزئية لتلك الكليات التي ستتحقق في ذلك الأسبوع .

ولكن هذا الوجه أيضاً لا يمكن الالتزام به ؛ لأننا نقول : هل المعصومين في عروجهم هذا يطلعون على جميع العلوم ، أم على قسم منها فحسب؟

فإن قلنا باطلاعهم على جميع العلوم ؛ لم يبق وجه للعروج في ليالي الجمعة التالية .

وإن قلنا باطلاعهم على قسم من العلوم ، وليس على جميعها ؛ فإن ذلك يتنافى مع المعلوم من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أخبروا عن الكثير من المطالب إلى قيام الساعة ، وبصورة جزئية تفصيلية ، وعلى وجه الدقة التامة .

أضف إلى ذلك أننا نتساءل : حين يقول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ : «**سلوني قبل أن تفقدوني**»[1] ، فهل عليه أن ينتظر إلى حلول ليلة الجمعة حتى يجيب عن جميع الأسئلة التي يمكن أن يتم طرحها عليه؟

---

(١) *وسائل الشيعة* ، ج ١٥ ، ص ١٢٨ .

على أنه ينبغي أن يقال بأن العلامة المجلسي لم يكن بصدد طرح الإجابة النهائية عنده، بل إنما ذكر ما ذكر على سبيل الوجه المحتمل.

والاحتمال الثالث لتفسير ذلك ما ذكره العلامة المجلسي بقوله:

**«أو المراد أنفدنا من علم مخصوص سوى الحلال والحرام ولم يفض على النبي والأئمة المتقدمين صلوات الله عليهم، وإن أفيض في ذلك الوقت كما سيأتي، وذلك إمَّا من المعارف الإلهية أو من الأمور البدائية كما مر منا الإشارة إليهما، ويؤيد الأخير كثير من الأخبار الآتية»**[1].

وهذا الوجه غير صحيح أيضاً؛ لأنَّ المعارف الربانية قد تمَّت إفاضتها بتمامها على أهل البيت عليهم السلام، وأمَّا الأمور البدائية فإنهم ـ عليهم السلام ـ يجسدون حقيقة اللوح المحفوظ في الدنيا، وكذا لوحي المحو والإثبات، واللوح المحفوظ السماوي هو في الحقيقة من تجليات الأئمة المعصومين عليهم السلام، وبناء عليه: لا معنى لأن يقال لهم ـ عليهم السلام ـ في ليالي الجمعة إن تلك المجموعة من المسائل سوف يتحقق فيها البداء؛ فلا تذيعوها، وتلك المجموعة من المسائل لن يحدث فيها البداء؛ فأذيعوها.

**النكتة (٣٢)**: كيفية العروج إلى العرش من قبل أهل البيت عليهم السلام؟

لقد ذكر العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ احتمالات لتفسير ما ورد من عروج الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ إلى العرش، فذكر أن ذلك يحتمل أنه يقع بالروح

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦، ص ٨٩.

التي ترد القالب المثالي (لا الجسد العصري) فتعرج ، ويحتمل أنه بارتفاع الروح وعروجها (بناء على القول بتجسم الروح كما يقع في عالم الرؤيا) ، ويحتمل أن يكون ذلك بتعلق الروح وارتباطها بالعرش.

فأمّا الوجه الأول فلا يمكن تصحيحه؛ لأنّ ولوج الروح في القالب المثالي يستوجب التوقف التام للجسد العنصري، في حين أنّ الأدلة القطعية تفيد أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كانوا ينشغلون في ليالي الجمعة بالمناجاة والدعاء وعلى مشهد ومرأى من خاصتهم وأصحابهم.

وأمّا الوجه الثاني فصحيح ويمكن القبول به، ولكن لا وجه للزوم خروج الروح أثناء النوم ، بل الروح مجردة وتستطيع أن تعرج ، كما أنه لا حاجة إلى القالب المثالي.

وأمّا الوجه الثالث فغير صحيح؛ لأنّ الأرواح المقدسة لأهل البيت الأطهار ـ عليهم السلام ـ على ارتباط دائم من دون انقطاع بعالم الملكوت والملأ الأعلى ، فلا وجه لحصر ذلك في ليالي الجمعة دون غيرها؛ «**وتصير أرواحنا معلقة بعزِّ قدسك**»[1].

والوجه الرابع هو أن يكون عروج أهل البيت الأطهار ـ عليهم السلام ـ بأجسادهم العنصرية نفسها، فيعرجون بها في ساعة خاصة إلى العرش، تماماً كما أنّ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ عُرج به ببدنه العنصري، وكما تم العروج بالإمام الحسين ـ عليه السلام ـ وكذا الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى

(١) *مفاتيح الجنان*، المناجاة الشعبانية.

فرجه الشريف ـ في وقت ولادتهما ، حيث عُرج بالجسم الشريف إلى عرش الله تبارك وتعالى ، ولا إشكال في هذا الوجه ، ولا مانع من القول به .

**النكتة (٣٣)** : معاني العرش ومصاديقه

إنَّ للعرش معاني ومصاديق متعددة[١]، فمن معانيه : السماء ، كما أنَّ من مصاديقه : قلب المؤمن ، ويمثل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أحد معاني العرش ، كما أنَّ كربلاء المقدسة من مصاديق العرش .

وبناء عليه يمكننا القول في ضوء الروايات التي بيناها أنَّ الأرواح القدسية لأنبياء الله تعالى والأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ تجتمع في كربلاء المقدسة ، وذلك لأنَّ الله تعالى يتجلى في ليالي الجمعة لكربلاء خاصة ، فهناك يفيض ـ تبارك وتعالى ـ من نوره على أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فيتلقون العلم المستفاد حينئذ في ذلك الزمان المخصوص .

**الرواية الثالثة:**

**«عَنْ زُرَارَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَر ـ عليه السلام ـ يَقُولُ: لَوْ لا أَنَّا نَزْدَادُ لأَنْفَدْنَا. قَالَ: قُلْتُ: تَزْدَادُونَ شَيْئاً لا يَعْلَمُهُ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله؟ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ إِذَا كَانَ ذَلِكَ؛ عُرِضَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صلى الله عليه وآله ـ ثُمَّ عَلَى الأَئِمَّةِ ثُمَّ انْتَهَى الأَمْرُ إِلَيْنَا»**[٢] .

---

(١) راجع: *تفسير سورة يس*، لآية الله المظاهري .

(٢) *الكافي*، ج ١ ، ص ٢٥٥ . *مرآة العقول* ، ج ٣ ، ص ١٠٦ .

وقال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ:

**«الحديث الثالث: صحيح . ويدل على أنهم عليهم السلام في جميع النشآت مترقون في الكمالات، وأنَّ أنوارهم وأرواحهم مرتبطة بعضها ببعض، وترقياتهم على نهج واحد، والكلام في العلم الذي يزداد قد مرَّ .**

**وروي في البصائر بسنده عن محمد بن سليمان الديلمي مولى أبي عبدالله ـ عليه السلام ـ عن أبيه، قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت: جعلت فداك سمعتك وأنت تقول غير مرة: لو لا أنا نزداد لأنفدنا، قال: أما الحلال والحرام فقد والله أنزله الله على نبيه بكماله، وما يزداد الإمام في حلال ولا حرام، قال: فقلت: فما هذه الزيادة؟ قال: في سائر الأشياء سوى الحلال والحرام، قال: قلت: فتزدادون شيئاً يخفى على رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال: لا إنما يخرج الأمر من عند الله فيأتي به الملك رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: يا محمد ربك يأمرك بكذا وكذا، فيقول: انطلق به إلى علي فيأتي علياً فيقول: انطلق به إلى الحسن، فيقول: انطلق به إلى الحسين، فلم يزل هكذا ينطلق إلى واحد بعد واحد حتى يخرج إلينا . قلت : فتزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه و آله؟ فقال: ويحك يجوز أن يعلم الإمام شيئاً لم يعلمه رسول الله و الإمام من قبله»[1].**

ونعود لنتساءل : ما هو العلم الذي إن لم يزدده الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ يلزم أن يعرض النفاد عليهم؟ هذا مع الالتفات إلى جميع الآيات التي تحدّثت عن علم الإمام، ومع الالتفات إلى تلك المصادر والمصاديق لعلم المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.. أفيبقى ـ بعد هذا كله ـ ما يمكن استثناؤه والقول بأنه تتم إضافته إلى علمهم في ليالي الجمعة؟ فما هو هذا العلم الخاص؟

---

(١) *مرآة العقول*، ج ٣، ص ١٠٦ .

يقول آية الله الميرجهاني ـ رحمه الله تعالى ـ :

**«إنَّ العلم المستفاد إمَّا أن يكون للتقوية والتأكيد، أي أنّ الإمام ـ عليه السلام ـ على علم بكل شيء، ولكن يتمّ تأكيد معلوماته عبر عرضها عليه من جديد، وإمّا أن يكون عالماً بكل شيء مع منعه من إذاعته، وفي ليالي الجمعة يخبره الله تعالى بما هو مأذون بإذاعته، وبما هو ليس كذلك»**[1].

وغير خاف أنّ كلا الجوابين لا يخلوان من بُعد.. إلاّ أن يُقال بأنَّ العلم المستفاد هو (عين اليقين) الذي لا يتنافى مع علم أهل البيت عليهم السلام ، بتوضيح أنَّهم على علم بجميع العلوم والأسرار، بيد أنه لا بد من تحققها خارجاً حتى يتعلق بها العلم، وهو ما يعبر عنه بـ (عين اليقين)، والله عالم بحقائق العلوم والأمور.

ولعله من الأفضل أن يقال: إنّ استمرار الفيض أو بقاء الفيض هو المستفاد في ليالي الجمعة ، غايته أن التعبير عن ذلك تم بـ (الازدياد) ، ففي بقاء العلوم واستمرارها يحتاج أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إلى تجدد الفيض الإلهي. وهذا نظير ما ورد عن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ بتفسير ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾ ، أنه قال ـ عليه السلام ـ: **«يعني أدم لنا توفيقك الذي أطعناك به في ماضي أيامنا حتى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا»**[2]. فنحن ـ إذاً ـ بحاجة إلى العناية الإلهية لاستمرار وبقاء الهداية، ولو أنّ هذه العناية انتفت طرفة عين لضللنا عن صراط الهداية والعياذ بالله تعالى . إلاّ أنّ هذا أيضاً ـ كما هو واضح ـ لا يختص بليالي الجمعة فحسب .

---

(١) *الولاية الكلية*، ص ٢٣١ و ٢٢٥ .

(٢) *تفسير الصافي*، ج ١ ، ص ٧٢ .

*** العلم بوقت الاستشهاد واختياره**

من الشبهات في موضوع علم الأئمة ـ عليهم السلام ـ : التساؤل عمّا إذا كان الإمام يعلم بوقت وسبب مقتله واستشهاده؟ فإن كان لا يعلم ؛ لزم نقض ما قيل من أنّ الإمام يعلم بما كان وما يكون، وإن كان يعلم انصدم ذلك مع قوله تعالى : ﴿**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾[١].

وما ينبغي أن يُقال في المقام ـ في ضوء الآيات والروايات ـ :

**أوّلاً:** أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على علم باستشهادهم.

**ثانياً:** أنّهم ـ عليهم السلام ـ على علم بكيفية استشهادهم بصورة كاملة تفصيلية.

**ثالثاً:** أنّهم ـ عليهم السلام ـ يختارون نوع وكيفية مقتلهم.

وهذا هو القدر المتيقّن الذي عقد له الكليني والمجلسي ـ رحمهما الله ـ باباً في كتابيهما تحت عنوان «**أنّ الأئمة ـ عليهم السلام ـ يعلمون متى يموتون، وأنهم لا يموتون إلاّ باختيار منهم**»[٢]، وأوردا تحته روايات عديدة تدل على الإحاطة التامة والعلم الكامل للأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ بالنسبة إلى استشهادهم

---

(١) *البقرة*، الآية ١٩٥ .

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٣٨٣. *بحار الأنوار*، ج ٢٧ ، ص ٢٨٥. ويجدر التنويه بأنّ العبارة التي يختارها العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ وكذا غيره من العلماء، هي تعبر عن وجهة نظرهم واعتقادهم، تماماً كالذي يقوله الفقهاء فيما يرتبط بكتاب «وسائل الشيعة» حيث يعدون عناوين أبواب الوسائل بمنزلة الفتاوى للحر العاملي رحمه الله .

وما يرتبط بذلك من حيثيات زمانية وسببية ، وأنهم ـ عليهم السلام ـ يختارون نوعية ذلك .

**النكتة (٣٤) :** كيف يمكن انجبار ضعف السند؟

من الممكن أن يُشكل البعض على هذه الروايات بضعف السند ، ولكن الصحيح أنَّ ضعفها منجبرٌ بالقانون العام الذي مرّ إثباته مراراً، وهو القانون الذي مفاده أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يعلمون بكل شيء في جميع الأحوال والأزمان مما كان وما يكون إلى يوم القيامة. فلا يضر الضعف السندي لبعض الروايات في هذا الباب .

***

**عَودٌ على الشبهة:**

أمَّا فيما يرتبط بقوله ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿**ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة**﴾؛ فقد أُجيبَ عنها بأنها بصدد بيان الوظيفة لعامة الناس ، وليست بصدد بيان وظيفة الأئمة الأطهار عليهم السلام ، كما أنَّ النوم في المسجد مكروه لسائر الناس ، ولكن هذا لا يشمل الإمام عليه السلام ، وهكذا جملة من التكاليف والوظائف المختصة بهم عليهم السلام .

وتطبيقاً على محل الكلام: إنَّ الإمام ـ عليه السلام ـ يعلم أنَّ الله تعالى قد اختار وقدّر له هذا النحو من الموت والاستشهاد ، فيختاره الإمام جرياً على مراد الله تعالى وتسليماً لأمره ، فمثلاً : كان أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كان يعلم

يقيناً بأنَّ الله تعالى قدر له الشهادة في محراب العبادة، وعلى يد أشقى الأشقياء؛ ولذا رضي الإمام ـ عليه السلام ـ بذلك واختاره لنفسه.

فقد روي عن الحسن بن الجهم، قال: **«قلت للرضا ـ عليه السلام ـ إنَّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قد عرف قاتله والليلة التي يقتل فيها والموضع الذي يقتل فيه، وقوله لما سمع صياح الإوز في الدار: صوائح تتبعها نوائح، وقول أم كلثوم: لو صليت الليلة داخل الدار وأمرت غيرك يصلي بالناس، فأبى عليها وكثر دخوله وخروجه تلك الليلة بلا سلاح وقد عرف ـ عليه السلام ـ أن ابن ملجم ـ لعنه الله ـ قاتله بالسيف، كان هذا مما لم يجز تعرضه. فقال ـ عليه السلام ـ: ذلك كان، ولكنه خيِّر في تلك الليلة لتمضي مقادير الله عز وجل»**[1].

وقال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في «مرآة العقول» (١٢٢/٣ ـ ١٢٣):

«ذكر المفيد (ره) في «الإرشاد» أنه ـ عليه السلام ـ لما طلع الصبح في تلك الليلة شد إزاره وخرج وهو يقول:

**اشدُدْ حيازيمك للموت فإنَّ الموت لاقيك**
**ولا تَجزعْ مِنَ المَوت إذا حلّ بواديك**

فلما خرج إلى صحن داره استقبلته الإوز فصحن في وجهه فجعلوا يطردونهن، فقال: دعوهن: فإنهن نوائح، ثم خرج فأصيب عليه السلام.

وقال ابن شهرآشوب: فلما طلع الفجر أتاه ابن النباح فنادى: الصلاة، فقام فاستقبلته الإوز فصحن في وجهه، فقال: دعوهن فإنهن صوائح تتبعها نوائح،

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٢٥٩.

وتعلقت حديدة على الباب في مئزره، فشد إزاره وأنشد البيت المتقدّم».

والاعتراض ينشأ من حيث أنّ حفظ النفس واجبٌ عقلاً وشـرعاً، وليس يجوز للإنسان أن يعرّض نفسه لما يوجب الهلاك والموت. والإجابة تلخصت في أنّ الله تعالى خيَّر الإمام علياً ـ عليه السلام ـ بين اللقاء والبقاء، فاختار الإمام ـ سلام الله عليه ـ لقاء الله تبارك وتعالى، وهذا ـ كما هو واضح ـ خاص بأهل البيت عليهم السلام.

وقد ذكر المحدّث الاسترابادي وكذا السيد نعمة الله الجزائري فيما يرتبط بهذه الأحـاديث أنَّه لا يمكن القبـول بقول مطلق بأنّ حفظ النفس واجب في جميـع الموارد والحالات، فإنّ التضحية هي المطلوبة والوظيفة والواجب في بعض الموارد؛ قال تبارك وتعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾**[1].

وقد ورد الحديث المذكور في بعض النسـخ بلفظ «حُيِّر» ـ بالحاء ـ بدلاً من «خُيِّر» بالخـاء، فيـكون المعنى في ضوء ذلك أنَّه ـ عليه السلام ـ في تلك اللحظات عرض عليه النسـيان والحيرة وحيـل بينه وبيـن علمه؛ حتى يذهب إلى المسـجد فينـال الشهادة لكي يتحقق ما قدّره الله تعالى. ولكن هذا الوجه باطلٌ لعدة أسباب:

**أوّلاً:** ثمّة روايات معارضة كثيرة توجب اطّراح هذا اللفظ.

**ثانياً:** إنَّه لا سبيـل إلى تطرُّق النسـيان والغفلة إلى الأطهار من أهـل البيت

(١) *التوبة*، الآية ١١١.

ـ عليهم السلام ـ ولو للحظات، فإنّه قد مرَّ بنا أنَّ (روح القدس) يمثل أحد خصائصهم ومزاياهم عليهم السلام، وروح القدس يتصف بأنه لا يسهو ولا ينام ولا يغفل[١].

**ثالثاً**: إنَّ ذلك لا ينسجم مع الأسئلة التي وجّهها الراوي وكان الإمام ـ عليه السلام بصدد الإجابة عنها؛ فإنَّ جميع الموارد المذكورة تمَّ أخذ العلم والإحاطة والمعرفة للإمام فيها بصورة مفروغ منها، والإمام ـ عليه السلام ـ بنفسه أشار إلى ذلك، فكيف نحتمل أنّه في آخر لحظة يتحيَّر وينسى؟!

وفي ضوء ذلك نعرف أنَّ «خُيِّر» ـ بالخاء ـ هي الصحيحة، فيكون المعنى أنَّ أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كان على علم كامل وتام بما يمنُّ الله ـ تعالى ـ عليه في تلك الليلة من الشهادة، وقد كان الإمام ـ عليه السلام ـ مخيَّراً بين المُضي إلى المسجد وعدمه، وما كان ـ عليه السلام ـ ليختار غير ما رضيه الله تعالى له من درجة الشهادة؛ ﴿**وما تشاؤون إلاّ أن يشاء الله**﴾[٢].

وقال العلامة المجلسي في «مرآة العقول» (١٢٣/٣ ـ ١٢٤):

**«وفي بعض النسخ «حير» بالحاء المهملة، أي أنسي وأغفل عنه في ذلك الوقت، و يؤيده ما رواه الصفار في «البصائر» عن أحمد بن محمد، عن إبراهيم بن أبي محمود، عن بعض أصحابنا، قال: قلت للرضا ـ عليه السلام ـ: الإمام يعلم إذا مات؟ قال:**

---

(١) وما نسبه إلى الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ من القول بالإسهاء للنبي صلى الله عليه وآله، هو ينصدم مع روايات عديدة، كما يتعارض مع إجماع العلماء على نفي ذلك، فنسبة السهو إلى الصدوق في هذا أولى من نسبة الإسهاء إلى المعصوم عليه السلام.

(٢) *الإنسان*، الآية ٣٠.

**نعم، يعلم بالتعليم ممن تقدم في الأمر، قلت: علم أبو الحسن بالرطب والريحان المسمومين اللذين بعث إليه يحيى بن خالد؟ قال: نعم، قلت: فأكله؟ قال: أنساه لينفذ فيه الحكم»**.

وفيه ـ بعد ضعف السند ـ أنه معارض بما هو أكثر منه من الروايات الواردة في الباب نفسه، ومنها: ما رواه الشيخ الصدوق ـ رحمه الله ـ في «عيون أخبار الرضا عليه السلام» من أنّ الإمام موسى الكاظم ـ عليه السلام ـ حين أتي بالطعام المسموم وأجبر على تناوله، رفع ـ عليه السلام ـ يده إلى السماء وقال: «**يا رب إنك تعلم أني لو أكلت قبل اليوم كنت قد أعنت على نفسي**»[1].

وحين حاول هارون الرشيد ـ لعنه الله ـ أن يدفع عن نفسه التهمة، وأحضر الطبيب في جماعة من الوجهاء لينظروا في حال الإمام الكاظم عليه السلام؛ وكان غرض هارون أن يزعم أنَّ الإمام يموت لمرض ألمّ به وليس لأمر غير اعتيادي، حينئذ فتح الإمام كفه حتى ظهرت آثار السمّ، وقال ـ عليه السلام ـ ثلاثاً: «**قتلاً، قتلاً، قتلاً**»، ليدلِّل بذلك على أنه يمضي مقتولاً مسموماً.

فهذه الرواية تفيد أنَّ الإمام ـ عليه السلام ـ كان على علم باستشهاده، وإنما اختار ذلك لمصالح أحاط بها علماً، فوافق بذلك رضا الله تعالى وما قدره له.

### سبب اختيار الشهادة

أفاد العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ أنّ الروايات التي تنسب النسيان إلى

(١) *بحار الأنوار*، ج ٤٨، ص ٢١٠.

الأئمة في وقت تناولهم لسبب استشهادهم، إمّا أن تكون بسبب عدم فهم السائل واستيعابه، وإمّا أن تكون من باب التقية بسبب حضور المخالف عند إجابة الإمام عليه السلام. والأفضل: الإجابة عن ذلك بأنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كانوا على علم بجميع حيثيات الاستشهاد، من زمان ومكان وسبب وكيفية، وكذا كانوا على علم بأن ذلك من الأجل المحتوم الذي لا مفر منه؛ قال تعالى ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾[1].

ويقول العلامة الطباطبائي ـ رحمه الله ـ:

«**إنّ الله تعالى اختار الاستشهاد بالكيفية الخاصة لأهل البيت عليهم السلام، وذلك من قضاء الله وقدره، وقد انقاد أهل البيت وسلموا إزاء هذا التقدير، والعلم غير التقدير**»[2].

أضف إلى ذلك أنّه لم يكن من المقرّر أن يعمل الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ وفي جميع الأحوال على أساس علمهم الباطني؛ بل كانوا مكلّفين بالظاهر والجري على القواعد الطبيعية، ويندرج في هذا السياق قول رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**إنما أقضي بينكم بالبينات والأيمان**»[3].

وقال العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في «مرآة العقول» (١٢٤/٣ ـ ١٢٥):

«**فإنّ النبي وأمير المؤمنين صلى الله عليهم كانا يعرفان المنافقين ويعلمان سوء**

---

(١) *النحل*، الآية ٦١. *الأعراف*، الآية ٣٤. *يونس*، الآية ٤٩.

(٢) *در محضر علامه طباطبايى*، ص ٢٠٥، س ٣٢٧.

(٣) *الكافي*، ج ٧، ص ٤١٤.

عقائدهم ولم يكونا مُكلّفين بالاجتناب عنهم وترك معاشرتهم وعدم مناكحتهم أو قتلهم وطردهم، ما لم يظهر منهم شيء يوجب ذلك، وكذا علم أمير المؤمنين صلوات الله عليه بعدم الظفر بمعاوية وبقاء ملكه بعده لم يصر سبباً لأن يترك قتاله ، بل كان يبذل في ذلك غاية جهده إلى أن استشهد صلوات الله عليه، مع أنه كان يخبر بشهادته واستيلاء معاوية بعده على شيعته، و كذا الحسين صلوات الله عليه كان عالما بغدر أهل العراق به وأنه يستشهد هناك مع أولاده وأقاربه وأصحابه ، ويخبر بذلك مراراً ولم يكن مُكلّفاً بالعمل بهذا العلم ، بل كان مُكلّفاً بالعمل بظاهر الأمر حيث بذلوا نصرتهم» .

وفيما يرتبط باستشهاد الإمام الكاظم ـ عليه السلام ـ ورد عنه أنه قال:

**«إنّ الله عز وجل غضب على الشيعة فخيرني نفسي أو هم، فوقيتهم والله بنفسي»**[1] .

ومن الجدير بنا أن نتساءل هنا:

**لماذا غضب الله ـ عز وجلّ ـ على الشيعة؟**

يجيب العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ عن هذا السؤال بقوله:

**«إمّا لتركهم التقية فانتشر أمر إمامته ـ عليه السلام ـ فتردد الأمر بين أن يقتل الرشيد شيعته ويتتبعهم، أو يحبسه ـ عليه السلام ـ ويقتله، فدعا ـ عليه السلام ـ لشيعته واختار البلاء لنفسه، أو لعدم انقيادهم لإمامهم وخلوصهم في متابعته وإطاعة أوامره، فخيره الله تعالى بين أن يخرج على الرشيد فتقتل شيعته إذا يخرج، فينتهي الأمر إلى ما انتهى إليه»**[2] .

---

(١) *مرآة العقول*، ج ٣، ص ١٢٦ .

(٢) *مرآة العقول*، ج ٣، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ .

كما يجدر بنا أن نتساءل أيضاً:

**لماذا وقى الإمام الكاظم ـ عليه السلام ـ الشيعة بنفسه؟**

**الإجابة:** إنَّ الإمـام المعصوم ـ عليه السلام ـ هو بالنسبة إلى الأمّـة الأبُ الشفيق؛ فـ«**الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق**»[1]، وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**أنا وعلي أبوا هذه الأمّة**»[2].

والأب الشفيق العطوف حين يرى ولده قد وقع في خطر، ولو كان بتقصير من الولد، فإنّ الأبَ يقي ابنه ذلك الخطر بنفسه، وأيُّ أبوّة أشفق وأرأف من أبوّة الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ الذين يجسدون رحمة الله الواسعة.. وفي هذا السياق يقول الإمـام الصـادق ـ عليه السلام ـ: «**والله لأنا أرحم بكم منكم بأنفسكم**»[3].

ونظيره في الفقه: القاعدة التي توجب الضمان على الأب إذا تسبب الولد في الإضرار بأحد، وهو ما يعبِّر عنه بضمان الجريرة..

وهذا يُجسِّد عظمة الإمام وعظيم النعمة والمنّة به على الأمّة.. وهكذا يكون أولياء الله تعالى.

**ما هو الفرق بين الفكر الشيعي والفكر المسيحي في هذا؟**

قد يتوهّم بعض مَن يقرأ ما ذُكر آنفاً أنَّ فكرة قيام الأئمة المعصومين ـ عليهم

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٢٨٦.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ١٦، ص ٩٥.

(٣) *بحار الأنوار*، ج ٤٧، ص ٧٨. *بصائر الدرجات*، ص ٢٦٥.

السلام ـ بوقاية شيعتهم وفدائهم بأنفسهم، يتوهّم أنها تضاهي فكرة سائدة عند المسيحيين ؛ ولذا ينبغي لنا أن نقف هاهنا مع هذا الاستفهام والتساؤل عن الفرق بين وجهة النظر الشيعية ووجهة النظر المسيحية في هذا الموضوع .

وفي سبيل تبديد هذا الوهم والإجابة عن الاستفهام المطروح ؛ نقول : إنّ النصارى يعتقدون خطأً بأنّ سبب صلب المسيح عيسى بن مريم ـ عليهما السلام ـ هو غفران ذنوب أتباعه، في حين أنّ قصة الصلب من أساسها مكذوبة لا وجه لها من الصحة ، فضلاً عن السبب المزعوم الذي يعتقدون به ؛ ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ**﴾[1] .

في حين أنّ شيعة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يعتقدون أنّ الأئمة الأطهار استشهدوا حتى ينقذوا عباد الله من ظلمات الجهل والضلال ؛ «**وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة**»[2] .

فيلزم التفريق بين غفران الذنوب والمعاصي بغير حساب، وبين النجاة من الوقوع في الذنوب والمعاصي والنجاة من الضلال الذي يمثل هدفاً أكثر سمواً وأهمِّية ، فالفرق واضح وبيِّن بين الموقفين .

إنّ علماء النصارى إلى يومنا هذا يعمدون إلى المتاجرة بالجنة والنار، والمسيحي ـ حسب وجهة نظرهم ـ يمكنه ارتكاب أي معصية مهما كبرت ، وليس يضره ذلك في شيء مادام سيرجع إلى القس في آخر المطاف ليقدم له اعترافاً مع شيء من المال.. فيتخلص بذلك من التبعة ، وبكل سهولة.. وبهذا

---

(١) *النساء* ، الآية ١٥٧ .

(٢) *مفاتيح الجنان* ، زيارة الأربعين المروية عن الإمام الصادق عليه السلام .

يكون الفكر المسيحي مشجِّعاً لأتباعه على الاستهانة بالمعاصي وارتكاب الذنوب..

في حين أنَّ هذا النحو من الفكر السقيم لا يقبل به شيعة أهل البيت عليهم السلام، وفي موضوع الشفاعة ينظرون إلى شفاعة المذنبين كنتيجة للشهادة لا علّة لها، كما يرون الشفاعة داعية إلى تخفيف وتقليل الذنب، لا التجري عليه.

إنَّ الحواريين الذين كان عددهم اثني عشر شخصاً، لم يبق منهم حين الخطر إلاّ واحدٌ فقط في حين تخلّى الأحد عشر عن عيسى عليه السلام، والوحيد الذي بقي معه هو الذي أفشى وأخبر بمكان اختفائه عليه السلام[1].

على أنَّ فداء الإمام ـ عليه السلام ـ ووقايته لشيعته بنفسه، ليس دليلاً على فضل الشيعة، بل هو دليل على فضل الإمام وعظيم رأفته وعميق شفقته وشرف شخصيته عليه السلام.

**روايتان أُخريان:**

قال أبو عبد الله ـ عليه السلام ـ: «**أيُّ إمام لا يعلم ما يصيبه وإلى ما يصير فليس ذلك بحجة الله على خلقه**»[2].

وعن عبد الله الملك بن أعين، عن أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قال: «**أنزل الله تعالى النصر على الحسين ـ عليه السلام ـ حتى كان ما بين السماء والأرض، ثم خُيِّر النصر أو لقاء الله، فاختار لقاء الله تعالى**»[3].

---

(١) ترجمة *نفس المهموم*، للكوه كمري.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٢٥٨.

(٣) *المصدر نفسه*، ج ٣، ص ١٢٠.

وهذا دليل على أنَّ الإمام ـ عليه السلام ـ يكون على علم باستشهاده، كما أنه دليل على أنه مُخيَّر من قبل الله تعالى، وهو يختار الاستشهاد الذي قُدِّر له.

كما تفيد الرواية الثانية أن النصر الإلهي لم يكن بالقدر المحتوم، بل كان اختياره أو رفضه تابعاً لإرادة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ وما يختاره في ضوء علمه بالمصالح الواقعية ومواقع مرضاة الله تبارك وتعالى.

ويجدر بالتنويه أنَّ علم الإمام باستشهاده، هو أمرٌ معلوم ومفروغ منه عند شيعة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وأصحابهم، ولم يكن هذا هو ما يسألون عنه، بل الذي وقع مورداً للتساؤل والاستفهام مراراً من قبل أصحاب الأئمة ـ عليهم السلام ـ هو ما إذا كان ذلك يقع عن اختيار منهم عليهم السلام. وفي «أصول الكافي» باب يتكفّل بالإجابة عن قسم من الاستفهام المذكور، ويمكن متابعة مضمون هذا الباب من خلال كتابَي «مرآة العقول» و «بحار الأنوار»، وعنوان الباب: «**إنَّ الأئمة ـ عليهم السلام ـ لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عز وجل وأمر منه لا يتجاوزونه**»[1].

وقد روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني ـ رحمه الله ـ تحت هذا الباب ما تتلخص مضامينه في أنَّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ لهم تكاليف ووظائف مخصوصة من قبل الله تعالى، بحيث تمثل عهداً بين الله تعالى وكل واحد من الأئمة عليهم السلام.. وثمة باب آخر فيه بعنوان «**إنَّ الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد عليهم السلام**»[2].

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٢٧٩. *مرآة العقول*، ج ٣، ١٨٨.
(٢) *المصدر نفسه*، ج ١، ص ٢٧٧.

ولنذكر بعض ما ورد في الباب الذي أشرنا إليه أوّلاً.

الرواية الأولى: «عَنْ أَبي عَبْد اللَّه ـ عليه السلام ـ قَالَ: إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ عَلَى نَبيِّه ـ صلى الله عليه وآله ـ كتَاباً قَبْلَ وَفَاته، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ؛ هَذه وَصيَّتُكَ إلَى النُّجَبَة منْ أَهْلكَ. قَالَ: وَمَا النُّجَبَةُ يَا جَبْرَئيلُ؟ فَقَالَ: عَليُّ بْنُ أَبي طَالب وَوُلْدُهُ عليهم السلام. وَكَانَ عَلَى الْكتَاب خَوَاتيمُ منْ ذَهَب فَدَفَعَهُ النَّبيُّ ـ صلى الله عليه وآله ـ إلَى أَمير الْمُؤْمنينَ ـ عليه السلام ـ وَأَمَرَهُ أَنْ يَفُكَّ خَاتَماً منْهُ وَيَعْمَلَ بمَا فيه، فَفَكَّ أَميرُ الْمُؤْمنينَ ـ عليه السلام ـ خَاتَماً وَعَملَ بمَا فيه، ثُمَّ دَفَعَهُ إلَى ابْنه الْحَسَن ـ عليه السلام ـ فَفَكَّ خَاتَماً وَعَملَ بمَا فيه، ثُمَّ دَفَعَهُ إلَى الْحُسَيْن ـ عليه السلام ـ فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فيه أَن اخْرُجْ بقَوْمٍ إلَى الشَّهَادَة فَلا شَهَادَةَ لَهُمْ إلاَّ مَعَكَ، وَاشْر نَفْسَكَ للَّه عَزَّ وَجَلَّ، فَفَعَلَ ثُمَّ دَفَعَهُ إلَى عَليِّ بْن الْحُسَيْن ـ عليهما السلام ـ فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فيه أَنْ أَطْرقْ وَاصْمُتْ وَالْزَمْ مَنْزلَكَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتيَكَ الْيَقينُ، فَفَعَلَ ثُمَّ دَفَعَهُ إلَى ابْنه مُحَمَّد بْن عَليٍّ ـ عليهما السلام ـ فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فيه حَدِّث النَّاسَ وَأَفْتهمْ وَلا تَخَافَنَّ إلاَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَإنَّهُ لا سَبيلَ لأَحَد عَلَيْكَ، فَفَعَلَ ثُمَّ دَفَعَهُ إلَى ابْنه جَعْفَر فَفَكَّ خَاتَماً فَوَجَدَ فيه: حَدِّث النَّاسَ وَأَفْتهمْ وَانْشُرْ عُلُومَ أَهْل بَيْتكَ وَصَدِّقْ آبَاءَكَ الصَّالحينَ وَلا تَخَافَنَّ إلاَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْتَ في حرْزٍ وَأَمَان، فَفَعَلَ ثُمَّ دَفَعَهُ إلَى ابْنه مُوسَى ـ عليه السلام ـ وَكَذَلكَ يَدْفَعُهُ مُوسَى إلَى الَّذي بَعْدَهُ، ثُمَّ كَذَلكَ إلَى قيَام الْمَهْديِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه»[1].

الرواية الثانية: «عَنْ ضُرَيْس الْكُنَاسيِّ عَنْ أَبي جَعْفَر ـ عليه السلام ـ قَالَ: قَالَ لَهُ حُمْرَانُ: جُعلْتُ فدَاكَ؛ أَ رَأَيْتَ مَا كَانَ منْ أَمْر عَليٍّ وَالْحَسَن وَالْحُسَيْن ـ عليهم

---

(١) *المصدر نفسه*، ج ١، ص ٢٨٠.

السلام ـ وَخُرُوجِـهِمْ وَقِيَامِهِمْ بِدِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أُصِيبُـوا مِنْ قَتْـلِ الطَّوَاغِيت إِيَّاهُمْ وَالظَّفَر بِهِمْ، حَتَّى قُتِـلُوا وَغُلِبُـوا؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ ـ عليه السلام ـ: يَا حُمْرَانُ؛ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ كَانَ قَدَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَضَـاهُ وَأَمْضَاهُ وَحَتَمَهُ ثُمَّ أَجْـرَاهُ، فَبِتَقَدُّمِ عِلْمِ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَسُـولِ اللَّهِ قَامَ عَلِيٌّ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَـيْنُ، وَبِعِلْمٍ صَمَتَ مَنْ صَمَتَ مِنَّا»[1].

ويمكننا تقسيم الروايات التي ترتبط بموضوع علم الأئمة ـ عليهم السلام ـ باستشهادهم على النحو التالي:

**الطائفة الأولى:** الروايات العامة، وهي التي تدل على علمهم بما كان وما يكـون وما هو كائن وغير ذلك من العناوين العامة، والتي يندرج تحتها العلم بالموت والاستشهاد.

**الطائفة الثانية:** الروايات الخاصة، وهي على قسمين:

***القسم الأول من الروايات الخاصة:*** التي تدل على علم جميـع أهل البيـت ـ عليهم السلام ـ باستشهادهم وما يرتبط بذلك من حيثيات الزمان والمكان والأسباب، بغير اختصاص بشخص إمام منهم.

***القسم الثاني من الروايات الخاصة:*** التي تدل على علم كل واحد من الأئمّة الأطهار ـ عليهم السلام ـ بذلك، وبصورة مستقلّة، أي كل واحد على حدة.

والمتحصِّل من مجموع هذه الروايات البالغة حدَّ التواتر، بل هي فوق

---

(١) *المصدر نفسه*، ج ١، ص ٢٨١.

المتواتر ، أنَّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ على علم تام وكامل وتفصيلي باستشهادهم ، وأنّهم مُخيَّرون في تحديد كيفية ذلك .

**النكتة (٣٥)** : هل كان أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ يعرف شخص قاتله؟

حين كان الإمام عليٌّ ـ عليه السلام ـ يرى ابن ملجم ، كان ـ عليه السلام ـ يشير إلى قتله ، وتكرّر ذلك منه ـ عليه السلام ـ مراراً ، حتى بلغ الأمر إلى أن يطالب البعض بالقصاص ، بل طلب ذلك ابنُ ملجم نفسُه .

فالسؤال الذي يفرض نفسه هنا : لماذا لم يقم الإمام ـ عليه السلام ـ بقتل ابن ملجم ؛ مع قدرة الإمام واطلاعه التام على الحقيقة؟

وإجابةً عن ذلك نقول :

**أوّلاً**: إنَّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ كانوا مكلفين بالظاهر لا الباطن ، وكان لا بد لهم من الجري وفقاً للظاهر المعتاد ، لا الباطن الخفي الذي اطلعوا عليه بالعلم الخاص .

**ثانياً**: لو أنَّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ قتل ابن ملجم قبل وقوع الجناية ، لكان قصاصاً قبل الجناية ، وهذا لا يصدر من مثل الإمام ـ عليه السلام ـ إضافة إلـى أنه ممَّا يفتح المجال لمن أراد النقد والاعتراض من الناس ليقول : ما هو الدليل على أن ابن ملجم كان سيقوم بالجريمة ، ولم لا تحتملون أنه كان يتوب قبل ارتكابها فلا يقدم عليها في نهاية المطاف؟ فينفتح بذلك باب الإشكال على الإمام سلام الله عليه .

**ثالثاً:** لقد كان الاستشهاد عهداً معهوداً من قِبَل الله تعالى ، قد قدّره الله تعالى ورضيه في حقٍّ أمير المؤمنين عليه السلام ، ومنزلة عليٍّ من الله قُرباً وفناءً ورضا وتسليماً ؛ توجب أن يكون منقاداً لإرادة الله تعالى وتقديره ورضاه[1].

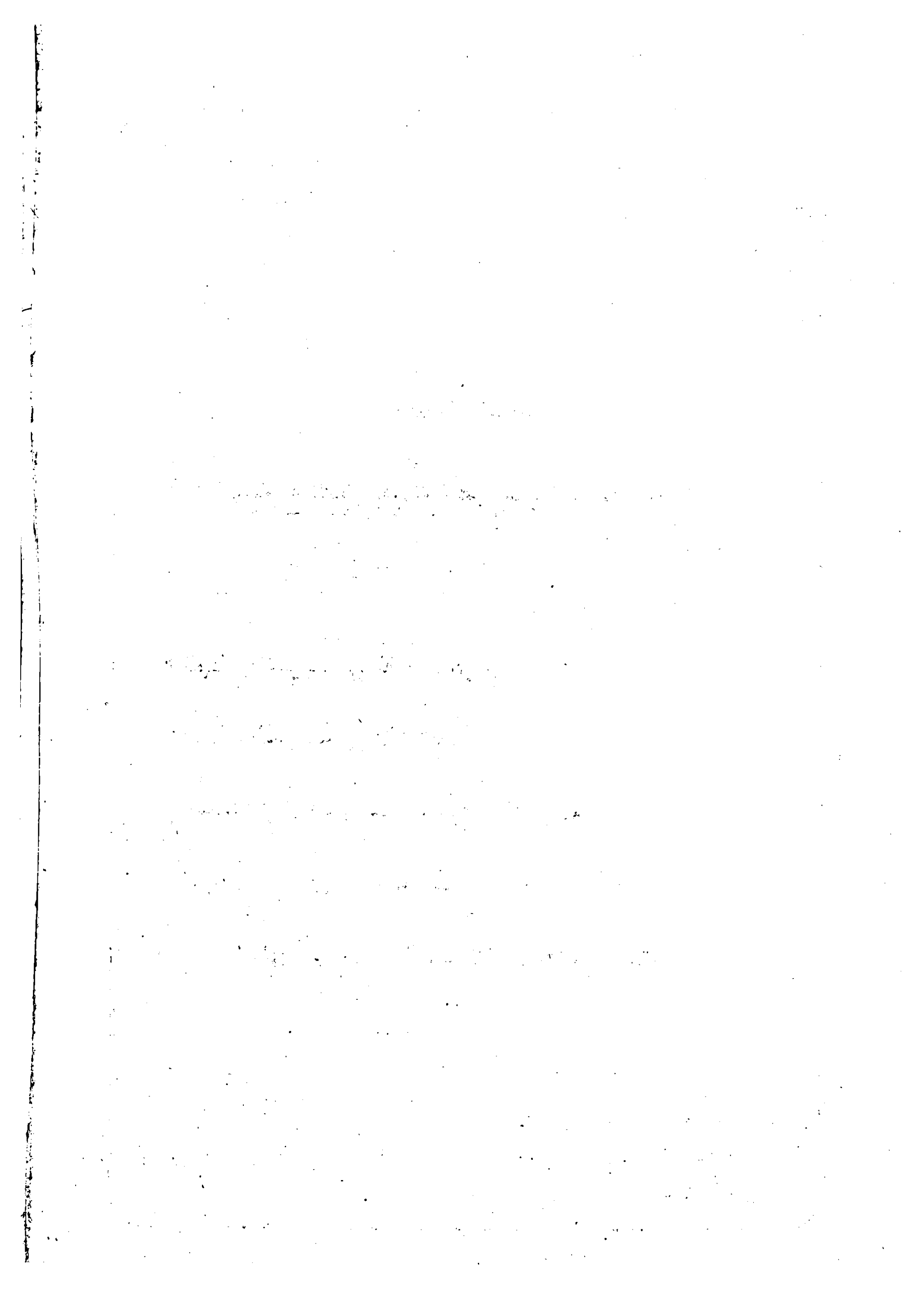
***

(١) لمزيد من المطالعة ؛ راجع : كتاب *ولايت كليه* ، ص ٢٩٨ ـ ٣٠٢ . و *كاشف الأسرار*، تأليف: المرحوم مولى نظر علي الطالقاني.

# الفصل الرابع

## الولايــة التكوينيــة لأهل البيت عليهم السلام

* الولاية التكوينية في القرآن الكريم.
* الولاية التكوينية في الأحاديث.
* المصاديق العامة والخاصة للولاية التكوينية.
* أسباب وعلل الولاية التكوينية.
* نسبة الخلق والرزق إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام.



# الولاية التكوينية

إنّنا نعتقد بأنَّ المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ يمتلكون القدرة على التصرف في عالم الوجود والخلقة، وذلك بنحو مطلق وتام وكامل؛ **والسر في ذلك:** أنهم ـ عليهم السلام ـ يُجسِّدون قدرة الله المطلقة، وبذلك يحيطون بما عداه إحاطة تامّة وكاملة. وهذه القدرة تشمل الخلق والرزق وجميع الأشياء الممكنة التي ليست مستحيلة ذاتاً، وأمَّا ما كان محالاً بذاته فإنَّ القدرة لا تتعلق به، حتى قدرة الله تبارك وتعالى؛ ولذا فإنَّ المقصود بقوله تعالى: ﴿**إنَّ الله على كلِّ شيء قدير**﴾ أنه قدير على كل شيء ممكن، وليس ما هو غير ممكن ومستحيل بذاته.

**ما هو المقصود بالتفويض؟**

لقد ورد في العديد من الروايات أنَّه أمور الخلق تم تفويضها إلى أهل البيت عليهم السلام، وقد تصدى العلماء والمحدثون لتوضيح مدلول تلك الأحاديث وشرح مفادها.

والذي لا ينبغي الريب فيه أنَّ التفويض التام الكامل إلى أهل البيت على سبيل الاستقلال، هو عقيدة باطلة، بل هو من الكفر. والتفويض بهذا المعنى الباطل يراد به أنَّ الله تعالى كفَّ يده عن الربوبية وجعل إدارة شؤون الخلقة بتمامها إلى أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بحيث يستقلون بذلك. وهي عقيدة الغلاة والمفوضة، والتي تم الحكم عليها بالكفر والضلال في المذهب الشيعي.

وأمّا التفويض بالمعنى الصحيح الذي يُقرّ به العقل وهو مدلول الروايات ، فهو أنَّ الله تعالى أوكل أمْرَ سياسية العباد وتأديبهم وتكميلهم وتعليمهم ، أوكل ذلك وفوّضه إلى أهل البيت عليهم السلام ، وكذا طالب العباد بالتسليم لهم عليهم السلام ؛ ومن هنا نخاطبهم عليهم السلام في الزيارة الجامعة الكبيرة بقولنا : «**ومُفوِّض في ذلك كلِّه إليكُم، ومُسلِّمٌ فيه مَعَكُمْ**» .

## تفويض الأمور إلى أهل البيت عليهم السلام

حين خلق الله تعالى بقدرته أول المخلوقات ، أي نور المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ، فوّض إليهم أمور عالم الوجود والخلقة .

قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ:

«**فنحن معانيه ومظاهره فيكم ، اخترعنا من نور ذاته، وفوّض إلينا أمور عباده، فنحن نفعل بإذنه ما نشاء، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا أردنا أراد الله**»[١] .

وعن محمد بن سنان ، قال : كنت عند أبي جعفر الثاني ـ عليه السلام ـ فأجريت اختلاف الشيعة ، فقال :

«**يا محمد إنَّ الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء فأشهدهم خلقها، وأجرى طاعتهم عليها، وفوَّض أمورها إليهم، فهم يُحلُّون ما يشاؤون، ويحرمون ما يشاؤون، ولن يشاؤوا إلاَّ أن يشاء الله تبارك وتعالى، ثمَّ قال: يا محمد هذه الديانة التي من تقدَّمها مرق،**

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦ ، ص ١٤ .

**ومن تخلَّف عنها محق، ومن لزمها لحق، خُذها إليك يا محمد»**[١].

وقال العلامة المجلسي في «مرآة العقول» شارحاً لـ «فأشهدهم خلقها» :

«أي خلقها بحضرتهم وهم يطلعون على أطوار الخلق وأسراره؛ فلذا صاروا مُستحقِّين للإمامة لعلمهم الكامل بالشرائع والأحكام، وعلل الخلق وعلم الغيوب».

وقال ـ رحمه الله ـ شارحاً لـ «وأجرى طاعتهم عليها» :

«أوجب على جميع الأشياء طاعتهم حتى الجمادات والسماويات والأرضيات، كشق القمر، وإقبال الشجر، وتسبيح الحصى.. وأمثالها ممَّا لا يحصى كثرةً».

وقال ـ رحمه الله ـ يشرح عبارة «وفوض أمورها إليهم» :

«من التحليل والتحريم والعطاء والمنع وإن كان ظاهره تفويض تدبيرها إليهم من الحركات والسكنات والأرزاق والأعمار وأشباهها...»[٢].

**النكتة (٣٦)** : الضعف في مُتلقِّي المضمون أم في المضمون نفسه؟

إنَّ البعض يقومون بتضعيف هذا النوع من الروايات بسبب ضعفهم في الاستيعاب بالنسبة إلى هذا النمط من المضامين الدقيقة والسامية، ولكن الحقيقة هي ما عبر عنها العلامة المجلسي بقوله : «والحق أن الضعف في من ضعّفه، لا في ما ضعّفه».

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ١٥، ص ١٩.

(٢) *مرآة العقول*، ج ٥، ص ١٩٠ ـ ١٩٢.

ومما يجدر التنبيه إليه أنَّ (الدهر) الوارد في الرواية ليس بمعنى الفترة الزمانية بالتقدير الدنيوي، بل المراد به الفترة الزمانية بالتقدير الذي يناسب عالم ما وراء الطبيعة، وهو ما لا يسعنا تحديد مقداره.

وممّا ورد في الرواية المذكورة أيضاً: تفويض أمر التشريع إليهم عليهم السلام، أي الولاية التشريعية، فقال: «يحلون ويحرمون ما يشاؤون»، ولم يقل: «يحلون ما أحل الله»، على أنَّ ذلك وفق المصلحة وفي ضوء «لا يشاؤون إلاّ ما يشاء الله».

**النكتة (٣٧)**: التفويض الصحيح والتفويض الباطل

إنَّ عبارة «نفعل بإذنه» ـ كما جاء في الرواية ـ تدل على أنَّ الله تعالى أوكل أمور عباده إلى الأطهار من أهل البيت عليهم السلام، ولكن لا بنحو مُستقل بحيث يلزم أن تكون يد الله مغلولة والعياذ بالله، بل بإذن الله تعالى.

وزبدة القول أنَّ للتفويض معنيين: الأوّل باطل مرفوض ويمثل عقيدة كفرية، وهو أن يكل الله تعالى أمور العباد إلى أهل البيت مع اعتزال الله للأمر واكتفائه بالمشاهدة. والثاني صحيح وهو أن يكون التفويض بإذن الله تعالى وتحت الهيمنة التامة والسلطان المطلق لله تباك وتعالى.

وفي هذا المجال ينبغي أن نستعرض ما قاله الإمام الخميني ـ رحمه الله ـ في كتابه «**الأربعون حديثاً**»، حيث قال:

**«إنَّ ذرّات الكائنات بأسرها مُسخَّرة تحت إرادة الحق سبحانه الكاملة، ولا استقلالية لها في أي عمل أبداً، وأنَّ جميع الكائنات في وجودها وكمالها وحركاتها وسكناتها**

وإرادتها وقدرتها وكافة شؤونها محتاجة وفقيرة، بل هي فقر خالص وخالص فقر. كما أنَّه لا فرق أبداً في قيّوميّة الحقّ، وعدم استقلال العباد، وظهور إرادة الله ونفوذها وتغلغلها في كلِّ شيء بين الأمور الكبيرة والصغيرة. وكما إننا العباد الضعاف قادرون على الأعمال البسيطة مثل الحركة والسكون وأفعال أخرى صغيرة، فإنَّ العباد المخلصين للّه سبحانه والملائكة المجردين، قادرون على أعمال عظيمة من الإحياء والإماتة والرزق والإيجاد والإعدام. وكما أنَّ ملك الموت يقوم بالإماتة، وعمله هذا لا يكون من قبيل استجابة الدعاء، وإنَّ إسرافيل موكل بالإحياء، وإحيائه لا يكون من قبيل استجابة الدعاء أو التفويض الباطل فكذلك الولي الكامل، والنفوس الزكية القويّة، مثل نفوس الأنبياء والأولياء، قادرة على الإعدام والإيجاد والإماتة والإحياء، بقدرة الحق المتعال، وليس هذا من التفويض المحال، ويجب أن لا نعتبره باطلاً. ولا مانع من تفويض أمر العباد، إلى روحانية كاملة، تكون مشيئته فانية في مشيئة الحق، وإرادته ظلال لإرادة الحق، ولا يروم إلاّ ما يريده الحقُّ، ولا يتحرك إلاّ إذا كان موافقاً للنظام الأصلح، سواء كان في الخلق والتكوين أو التشريع والتربية»[1].

## التلازم بين الولاية والتفويض

إنَّ تفويض أمر المخلوقات إلى الأربعة عشر معصوماً ـ عليهم السلام ـ يستلزم إعطاءهم الولاية في بعدين: البعد التشريعي والبعد التكويني.

والمقصود بالولاية التشريعية: أنَّ المعصومين ـ عليهم السلام ـ يمتلكون

---

(١) *الإمامة والإنسان الكامل عند الإمام الخميني*، ص ١٧٣، نقلاً عن كتاب *الأربعون حديثاً* للإمام الخميني، ص ٥٥٠.

صلاحية جعل الأحكام الشرعية في ضوء المصالح والمفاسد، وذلك في جميع مجالات حياة العباد وصولاً إلى أمور السياسة والحكومة.

**النكتة (٣٨)** : بمن تختص الولاية التشريعية؟

يرى بعض العلماء أنّ الولاية التشريعية مُختصّة بالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله، ولا يمتلك الأئمَّة المعصومون هذه الولاية بعد النبي صلى الله عليه وآله.

ولكننا نرى أنّ الأئمّة الأطهار ـ عليهم السلام ـ كانوا أصحاب ولاية تشريعية أيضاً؛ فإنّ انتفاء الولاية التشريعية عنهم هو وجه نقص، وهم ـ عليهم السلام ـ مُنزّهون من كلّ نقص، بُرآء من كُلّ عيب.

وهم ـ عليهم السلام ـ إن كانوا لم يستعملوا الولاية التشريعية؛ بسبب أنّ جميع التكاليف التي تحتاج إليها البشرية قد قام بتبليغها النبي صلى الله عليه وآله، والأئمة المعصومون ـ عليهم السلام ـ يجسدون موقع التطبيق والتنفيذ لذلك، فإنّ ذلك لا يعني نفي الولاية التشريعية عنهم. فعلى سبيل المثال: لو افترضنا أنّ الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ رأى الحاجة إلى تشريع حكم في زمن الظهور، فإنه ـ عليه السلام ـ يمتلك هذه القدرة وبوسعه أن يجعل الحكم في ضوء الولاية التشريعية التي يمتلكها.

وأمّا الولاية التكوينية فالمقصود بها أن المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ يمتلكون القدرة على التصرف في جميع الموجودات؛ وفي هذا يقول الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ: «**إنّ الله قد أقدرنا على ما نريد**»[١].

---

(١) *مدينة المعاجز*، ج ٥، ص ٣٢.

ونظراً إلى إطلاق هذه الرواية ؛ تكون القدرة عامة تشمل جميع الأشياء دون استثناء ، فتكون سلطنتهم ـ عليهم السلام ـ على كل شيء مما عدا الله عز وجل ، كما أنَّ الرواية واضحة في أنَّ هذه القدرة مُستمَدّة من قبل الله تعالى وبفضله ، وليست على نحو الاستقلال .

يقول الإمام الخميني ـ رحمه الله ـ فيما يرتبط بموضوعنا :

«بما أنها [ليلة القدر] ليلة التوجه التام للولي الكامل وليلة ظهور سلطنته الملكوتية بتوسط النفس الشريفة للولي الكامل وإمام كل عصر وقطب كل زمان، وهو اليوم حضرة بقية الله في الأرضين، سيدنا ومولانا وإمامنا وهادينا الحجة بن الحسن (أرواحنا لمقدمه الفداء) ؛ فما أراد ـ عليه السلام ـ من جزئيات الطبيعة يُبطِّئ حركته، وما أراد سرعته يُسرِّعه، وما أراد من رزق فإنه يوسِّعه، وما أراد تضييقه فإنَّه يُضيِّقه، وهذه الإرادة هي إرادة الحقّ، وهي ظل الإرادة الأزليَّة وشعاعها وتابعة للفرامين الإلهية»[1].

## * الولاية التكوينية في القرآن الكريم

في هذا المقام نريد أن ندرس الولاية التكوينية في القرآن الكريم ؛ لنرى ما إذا كان في كتاب الله تعالى ما يدل على أنَّ غير الله تعالى يمتلك التصرف في الكون .

**الآية الأولى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ**

---

(١) *الإمامة والإنسان الكامل عند الإمام الخميني*، ص ١٧٣ ، نقلاً عن كتاب *آداب الصلاة* للإمام الخميني ، ص ٣٢٧ .

مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ...﴾[١].

**النكتة (٣٩)**: ما هو السر في تصرف موسى ـ عليه السلام ـ في عالم الطبيعة؟

حين طلب موسى ـ عليه السلام ـ الماء لقومه، نلاحظ أنَّ الله تعالى لم ينزل عليهم المطر، بل أمره بأن يُعمل تصرُّفاً في عالم الطبيعة، فكانت نتيجة ذلك أن انفجرت عيون الماء من قلب الحجر.. فما هو السر الذي دعا إلى ترتيب مجريات الأمور بهذه الصورة بالذات؟

من الواضح أنَّ الله تعالى أراد بذلك أن يظهر لبني إسرائيل المكانة الخاصة والمنزلة الرفيعة لموسى عليه السلام، فيعرفوا ما يتميز به أنبياء الله تعالى من الولاية التكوينية.

لقد كانت عصا موسى عليه السلام مظهراً لآيات الله تعالى، فهي تارة تتحوّل إلى ثعبان مُبين، وتارة أخرى يضرب بها موسى ـ عليه السلام ـ البحر فينفلق فيكون كل فرق كالطود العظيم، وتارة أخرى يضرب بها الحجر فتنفجر منه عيون الماء.. كل ذلك لكي تكون هذه الآيات سبباً لهداية بني إسرائيل، وحتى يكفّ فرعون وقومه عن معاداتهم لمسار الهداية والاصطفاء.

ونظير ذلك ما وقع للأنبياء الآخرين، ومن ذلك قصّة نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ الذي كان عنده الاسم الأعظم، فقال لمن حوله: ﴿**قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**﴾[٢]؛ أراد بذلك أن يظهر منزلة وصيِّه ووزيره

(١) *البقرة*، الآية ٦٠.
(٢) *النمل*، الآية ٣٨.

«آصف بن برخيا» الذي كان صاحب ولاية تكوينية ، فأجابه : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[١]، هذا وهو عنده علم من الكتاب كما وصفه القرآن الكريم في الآية نفسها ، أي بعض علم الكتاب ، وليس علم الكتاب كلّه .

**النكتة (٤٠)** : بأي معنى هي الخطابات التي بصيغة الجمع في القرآن الكريم؟

ورد في الرواية أنه حيثما يرد الخطاب القرآني بصيغة جماعة المتكلمين ، فإنّ المقصود بذلك أهل البيت عليهم السلام ، وذلك كقوله تعالى : ﴿**فقلنا اضرب**﴾ ، وكذا قوله تعالى : ﴿**إنا أنزلناه**﴾... وغير ذلك من الأمثلة ، وهو بحث تمّ تناوله والتطرق إليه في التفاسير[٢] .

ونبي الله موسى ـ عليه السلام ـ توسل إلى الله تعالى بحق أهل البيت عليهم السلام ؛ وذلك حين استسقاه وطلب منه الماء لقومه ، وحينئذ صدر خطاب الولاية التكوينية المطلقة إلى الولاية التكوينية الجزئية أنِ اضرب بعصاك الحجر[٣] ..

---

(١) *النمل*، الآية ٤٠ .

(٢) انظر: تفسير *الصافي*، وتفسير *نور الثقلين*... وغيرها . وقد قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**﴾ [الغاشية: ٢٥ ـ ٢٦] ، ونحن نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة : «**وإياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم**» . وانظر أيضاً كتاب : ***در محضر علامه طباطبائی***، السؤال ٢٣٦ .

(٣) يقول آية الله المصطفوي ـ رحمه الله ـ في كتابه *كلمات القرآن* : إنه لا سبيل إلى الحمل على المجاز ما دام الحمل على الحقيقة ممكناً . ومعناه أنّ هذه الخطابات التي بضمير جماعة المتكلمين ، لا يصح حملها على المجاز ، بل هي على حقيقة الجمع ؛ والدليل على ذلك أنّنا لا نجد في الأدعية مورداً واحداً للجمع ، والجمع ربما تضمن شائبة شركية في مجال المعارف ، فيلزم الحمل على الحقيقة .

**الآية الثانية:** ﴿**اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾[١].

ثمَّ قال تعالى : ﴿**فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً**﴾[٢].

فببركة قميص يوسف ـ عليه السلام ـ استعاد نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ بصره الذي فقده في فراقه والحزن على افتقاده ، فلما ألقوا القميص على وجهه، استعاد بصره.. وليست القضية مندرجة تحت الدعاء، بل الموضوع ذو ارتباط بالولاية التكوينية ليوسف عليه السلام . وغني عن البيان أنَّ هذه الخاصية ليست لكل قميص، بل لقميص يوسف على وجه الخصوص ، كما أنَّ الخصوصية لعصا موسى وكذا لخاتم سليمان على وجه الخصوص أيضاً.

**الآية الثالثة:** ﴿**...أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾[٣].

إنَّ عيسى ـ عليه السلام ـ نسب إلى نفسه الخلق والإحياء والإبراء ، ولكن بإذن الله تعالى. كما أن ذلك جاء بصيغة المضارع المفيد للاستمرار ، وهو ما يعني أن عيسى ـ عليه السلام ـ لم يقم بذلك مرة واحدة فحسب ، بل قام بذلك مراراً.

**النكتة (٤١) : الفرق بين الولاية التكوينية للأئمّة المعصومين وبين غيرهم**

الكرامات كثيرة في حياة أولياء الله تعالى ، وهي تدل على عظيم منزلتهم

---

(١) **يوسف** ، الآية ٩٣ .

(٢) **يوسف** ، الآية ٩٦ .

(٣) ***آل عمران*** ، الآية ٤٩ .

في مجموعة من الأمور، بيد أنهم لا يستطيعون أن يخرجوا شيئاً من حيِّز العدم إلى عالم الوجود كما صنع عيسى ـ عليه السلام ـ حين خلق الطائر[1]. على أنَّ الولاية التكوينية عند أنبياء الله تعالى هي أيضاً جزئية وأقل مرتبة بالنسبة إلى الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام؛ فإنَّ أهل البيت وحدَهم يمتلكون الولاية التكوينية الكلية المطلقة.

كما أنَّ أولياء الله تعالى يمكن أن تصدر منه الكرامة الواحدة مرة أو عدة مرات، ولكنهم لا يستطيعونها في كل حين وبصورة مستمرة وبالنسبة إلى جميع الأمور والأعمال وبالنسبة إلى كل ما يريدونه، بخلاف الأمر فيما يرتبط بأنبياء الله تعالى والأئمة الأطهار عليهم السلام.

وبعبارة أخرى: إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يمتلكون القدرة الكاملة المطلقة التي لا يخرج من تحتها شيء، بخلاف أنبياء الله وملائكته الذين يملك كل منهم مقداراً من الولاية والقدرة بحسب منزلته ومقامه. وهكذا أولياء الله تعالى والعلماء الربانيون؛ فإنهم أيضاً يمتلكون الولاية التكوينية بالدرجة المناسبة لمعرفتهم ومنزلتهم من الله تعالى[2].

---

(١) ورد في الرواية أنّ الطائر الذي خلقه عيسى ـ عليه السلام ـ هو الخفّاش.

(٢) قال العارف الكبير «جعفر آقا المجتهدي» ـ رحمه الله ـ يوماً بإعجاب: «لقد بلغ الإمام الخميني في الفضائل والتوحيد مرتبةً لم يبلغها أحدٌ» (*زمهر افروخته*، ص ٩٨). وكان آية الله بهاء الديني ـ رحمه الله ـ أيضاً يقول: «حين كان الحاج السيد روح الله الخميني يشرفني بالزيارة في منزلي، قلت له: لقد قمت بإنجاز عظيم ولا بد من الصمود والمثابرة إلى آخر الأمر»، فأجابني: «كل شيء تحت إمرتي واختياري، وأنا لست تحت إمرة نفسي» (*آيت بصيرت*، ص ١٤١).

**الآية الرابعة: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾**[1].

تفيد الآية الكريمة أنّ نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ طلب من ربه الولاية التكوينية ، ولم يكن يطلب الدنيا والحكومة فيها ؛ فإنه ـ عليه السلام ـ كان بالرغم من جميع أبّهة سلطانه وسعة مُلكه يصنع السِّلال ليؤمِّن قوت يومه بذلك .

وقد استجاب الله تعالى دعاءه، فقال تعالى : **﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ﴾**[2].

والآية تدل على إيتاء سليمان ـ عليه السلام ـ الولاية التكوينية ؛ فإنه تعالى لم يقل : بأمرنا ، بل قال : **﴿بأمره﴾** ، أي تحت أمره واختياره .

**النكتة (٤٢) :** ما كان مدى وحدّ الولاية التكوينية لسليمان عليه السلام؟

هنا يمكن أن يطرح هذا السؤال :

إنّ نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ طلب من الله تعالى أن يهب له ولاية تكوينية لا تنبغي لأحد بعده ، فكيف ينسجم ذلك مع القول بالولاية التكوينية التامّة المطلقة للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام؟

---

(١) ص، الآية ٣٥ .

(٢) ص، الآيتان ٣٦ و ٣٧ .

في سبيل الإجابة عن ذلك نقول ـ في ضوء الأحاديث المروية ـ : إنّ نور أهل البيت عليهم السلام كان سابقاً بآلاف السنين لجميع المخلوقات من السماوات والأرضين ، وما قبل خلقة آدم أبي البشر عليه السلام ، ومن هنا فإنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ خارجون تخصُّصاً من نطاق دعاء سليمان عليه السلام ؛ وتوضيحه : أنّ سليمان إنّما طلب انتفاء ذلك عمَّن يليه ويأتي بعده ، ففي دعائه : ﴿من بعدي﴾ ، ولما كان أهل البيت ليسوا من مصاديق اللاحقين والذين هم بعد سليمان ، بل هم سابقون بوجودهم النوراني لسليمان نفسه .

أضف إلى ذلك أنّ الأحاديث تدل على أنّ مقام سلمان رضوان الله عليه ، وهو من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله ، كان يفوق مقام سليمان عليه السلام[1] ، فكيف بمقام المعصومين الأربعة عشر الذين لا ريب أنهم فوق مقام سلمان بما يمنع القياس والمقارنة .

**الآية الخامسة: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ*وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[2] .**

أجمع المفسرون أنّ هذه الآية بصدد ذكر معجزة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وهي أنه شقّ القمر نصفين ، وهي معجزة تفوق بمرات كثيرة إحياء الموتى وغيره من معاجز الأنبياء الآخرين عليهم السلام . لقد تصوّر المشركون أنهم يعجزون النبي بطلبهم هذا ، لكن النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قام بالمعجز

(١) راجع : *بحار الأنوار* ، ج ٢٢ ، ص ٣٤٨ .

(٢) *القمر* ، الآيتان ١ ـ ٢ .

عن طريق ولايته التكوينية ، وبالرغم من ذلك أعرض المشركون وأبوا إلاّ عتوّاً وكفراً ، وزعموا أنّ ذلك سحرٌ قام به النبي صلى الله عليه وآله .

**النكتة (٤٣) : الإجابة عن الشبهات المرتبطة بشق القمر**

إنّ البعض يقولون: لو وقع شق القمر للزم منه اختلال نظام الخلقة. لكنهم غفلوا عن أنّ من يمتلك التصرف في الخلقة ، فإنه يستطيع أيضاً أن يُعمل تصرفه بنحو يحفظ النظام ويحول دون وقوع الاختلال والفساد فيه . والحقيقة أنّ محور نظام الكون يتجسد في أهل البيت عليهم السلام ، وليس في الشمس والقمر ، وعالم الوجود خاضع وتحت إمرة أهل البيت عليهم السلام .

وثمة فريق آخر يزعم أنّ ما وقع من شقّ القمر إنما هو فعل الله تعالى ، وما قام به النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ لا يعدو كونه دعاء استجاب الله تعالى له .

وهذا الزعم يبطله القرآن الكريم ؛ فإنه صريح في أنّ المشركين حين رأوا ذلك المعجز قالوا ﴿**سحر مُستمرّ**﴾ ، وهذا يعني أنهم اعتقدوا صدور الفعل من النبي ، غاية ما هنالك أنهم حاولوا تحويل عنوان الصادر من المعجز إلى السحر ، ولو كانت القضية مجرد دعاء من قبل النبي ، لوجد المشركون وجهاً لنفي نسبة الفعل عن النبي كما يزعم أصحاب هذا الوجه ، ولسارعوا إلى القول بأنّ ما وقع لم يكن فعل النبي ، فلا يصلح للدليلية على صدق دعواه . فالحقيقة أنّ هذا الفعل إنما صدر من النبي صلى الله عليه وآله ؛ ليكون إعجازاً يُصدِّق دعوى النبوة .

**النكتة (٤٤) : الفرق بين الولاية التكوينية وبين السحر**

إنَّ الفرق بين المعجزة (الولاية التكوينيـة) والسـحر يكمن في أنَّ السحر يتحقق عبر أدوات وآليات طبيعية اعتيادية ، في حين أنَّ الولاية التكوينيـة في غنى عن الأدوات والعلل العادية والطبيعيـة . كما أنَّ السحر يمكن أن يقوم به غير صاحبه عن طريق اكتساب المعرفة بالطريقة والسر ، في حين أنَّ المعجزة والولاية التكوينيـة مختصة بصاحبـها ، ولا يتيسـر لكل أحد أن يأتي بها ، ولا يمكن اكتسابها بالتعلم والتجربة والممارسة .

إننا حين ندرس الآيات القرآنية ونعطيها حقها من التدبر ، يمكننا أن نعثر على العشرات بل المئات من الآيات القرآنية التي تتحدث عن الولاية التكوينية ، وذلك فيما يرتبط بالولاية التكوينية لأنبياء الله تعالى ، وقد ذكرنا منها أمثلة فيما مرّ ، أو فيما يرتبط بإمكان امتلاك الولاية التكوينية عن طريق آيات القرآن الكريم ، فإنه يمكن بسورة الفاتحة ـ على سبيل المثال ـ شفاء المريض وإحياء الميت ، وهذه هي الولاية التكوينية[1] .

قال الله تعالى : **﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى...﴾**[2] .

---

(١) سُئل العارف الرباني الشيخ حسن علي نخودكي : «هل بإمكانك أن تعلمنا الدعاء الذي تتلوه على مكعبات السكر والنبات وتعالج بذلك الأمراض المستعصيـة؟» ، فأجابهم ذلك الشـيخ العارف: «ليس شيئاً جديداً ، وإنما أقرأ الحمد فحسب» (*نشان از بى نشانها* ، ج ٢ ، ص ٤٦) .

(٢) *الرعد* ، الآية ٣١ .

وقال الله تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾[1].

**النكتة (٤٥) :** تفوّق الأفضل على المفضول

بعد ثبوت الولاية التكوينية في القرآن الكريم لأنبياء الله تعالى، بل ولأوصيائهم كآصف بن برخيا مثلاً، فإنَّ من هو أسمى مرتبة وأعلى مقاماً عند الله تعالى من جميع الأنبياء والملائكة، يكون صاحب ولاية تكوينية على سبيل الأولوية ، كما يلزم أن تكون ولايته في ضوء الأولوية نفسها في مرتبة أسمى وأكمل وأتمّ ؛ لأنّ القاعدة هي أنّ الأفضل أولى من المفضول ومتقدّم عليه رتبةً وكمالاً .

*** الولاية التكوينية في الأحاديث**

يمكن تصنيف الروايات الدالة على الولاية التكوينية في طائفتين:

**الطائفة الأولى:** الروايات العامة ، وهي الروايات التي تدل بصورة عامّة على ثبوت الولاية التكوينية للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام .

**الطائفة الثانية:** الروايات الخاصة ، وهي الروايات التي تدل على ثبوت الولاية التكوينية بذكر مصاديقها لكل واحد من الأئمة الأطهار عليهم السلام .

**الطائفة الأولى: (الروايات العامة)**

عن أبي جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ قال : «**إنَّ الله أقدرنا على ما نريد، ولو**

(١) *الإسراء* ، الآية ٨٢ .

**شئنا أن نسوق الأرض بأزمّتها لسقناها»**[١].

وعن محمد بن مسلم ، عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : كنت عنده يوماً ، إذ وقع عليه زوج ورشان ، فهدلا هديلهما فردّ عليهما أبو جعفر ـ عليه السلام ـ كلامهما ساعة ، ثمَّ نهضا فلما صارا على الحائط هدل الذكر على الأنثى ساعة ثمَّ نهضا ، فقلت : جعلت فداك ما حال الطير؟ فقال : **«يا ابن مسلم ؛ كل شيء خلقه الله من طير أو بهيمة أو شيء فيه روح، هو أسمع لنا وأطوع من ابن آدم، إنَّ هذا الورشان ظنَّ بأنثاه ظنَّ السوء، فحلفت له ما فعلت فلم يقبل، فقالت: ترضى بمحمد ابن علي؟ فرضيا بي، وأخبرته أنه لها ظالم، فصدقها»**[٢].

**النكتة (٤٦)** : مدى وحدود الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام

إنَّ جميع المخلوقات خاضعة للولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام ، ولا يقوى أحد منهم على الخروج من سُلطان هذه الولاية وهيمنتها ، بيد أنَّ الإنسان يتميز بأنه ذو بُعدين : البعد التشريعي والبعد التكويني ، وهو يقدر على المخالفة والتمرد في البعد التشريعي خصوصاً ، ولا يسعه ذلك في البعد التكويني . على أنّ كونه مختاراً في البعد التشريعي هو أيضاً بإذن الله تعالى وإرادته ؛ بهدف تخييره بين طريقي السعادة والشقاء ، فيكون جديراً بالثواب ، أو مستحقاً للعقاب.. لكن الإنسان نفسه في سائر الموارد خاضع للإرادة التكوينية ، ومن أمثلة موارد خضوعه وعدم اختياره : ولادته وموته ، وغناه

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٤٦، ص ٢٤٠ .

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٤٧٠ ـ ٤٧١ ، وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٤٦ ، ص ٢٣٨ .

وفقره ، وعافيته ومرضه ، وعزته وذلته.. وغير ذلك من الأبعاد التي يخضع فيها الإنسان خضوعاً ، ولا يجد بداً من الاستسلام لإرادة الله تبارك وتعالى .

**الطائفة الثانية: (الروايات الخاصة)**

وقد أسلفنا أنها الروايات التي تدل على ثبوت الولاية التكوينية بذكر مصاديقها لكل واحد من الأطهار عليهم السلام . وفيما يلي نقوم باستعراض بعضها .

**ولاية النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ على الجمادات**

قال أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ :

**«ولقد كنت معه ـ صلى الله عليه وآله ـ لما أتاه الملأ من قريش، فقالوا له: يا محمد إنك قد ادعيت عظيماً لم يدعه آباؤك ولا أحد من بيتك، ونحن نسألك أمراً إن أجبتنا إليه وأريتناه علمنا أنك نبي ورسول، وإن لم تفعل علمنا أنك ساحر كذاب. فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : وما تسألون؟ قالوا تدعو لنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها وتقف بين يديك، فقال ـ صلى الله عليه وآله ـ : إنَّ الله على كل شيء قدير، فإن فعل الله لكم ذلك أتؤمنون وتشهدون بالحق؟ قالوا نعم، قال فإني سأريكم ما تطلبون، وإني لأعلم أنكم لا تفيئون إلى خير، وإن فيكم من يطرح في القليب، ومن يُحزِّب الأحزاب. ثم قال صلى الله عليه وآله : يا أيتها الشجرة إن كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين أني رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بإذن الله. فوالذي بعثه بالحق لانقلعت بعروقها وجاءت ولها دويٌّ شديد وقصف كقصف أجنحة الطير، حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله مرفرفة، وألقت بغصنها**

**الأعلى على رسـول الله صلى الله عليه وآله، وببعض أغصـانها على منكبي، وكنت عن يمينه صلى الله عليه وآله. فلما نظر القوم إلى ذلك قالوا ـ علواً واسـتكباراً ـ: فمرها فليأتك نصفها ويبقي نصفها. فأمرها بذلك، فأقبل إليه نصفها كأعجب إقبال وأشده دوياً، فكادت تلتف برسـول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا ـ كفراً وعتواً ـ: فمر هذا النصف فليرجع إلى نصفه كما كان فأمره صلى الله عليه وآله فرجع. فقلت أنا: لا إله إلا الله؛ فإني أول مؤمن بك يا رسول الله، وأول من أقر بأنَّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بنبوتك وإجلالاً لكلمتك. فقال القوم كلهم: بل ساحر كذاب، عجيب السحر خفيف فيه، وهل يصدِّقك في أمرك إلاَّ مثل هذا ـ يعنوني ـ»**[1].

**شفاء الضرير ببركة يد النبي صلى الله عليه وآله**

لما قدم النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ المدينـةَ، تعلّق الناس بزمام الناقة، فقال النبـي ـ صلى الله عليه وآله ـ: **«يا قوم دعوا النـاقة فهي مأمورة، فعلى باب مَن بركت فأنا عنده»**، فأطلقوا زمامها وهي تهف في السير حتى دخلت المدينة، فبـركت على باب أبي أيوب الأنصـاري، ولم يكـن في المديـنة أفقـر منـه، فانقطعت قلوب الناس حسرة على مفارقة النبي صلى الله عليه وآله، فنادى أبو أيوب: يا أمّاه افتحي الباب، فقد قدم سيد البشر، وأكرم ربيعة ومضر، محمد المصطفى، والرسول المجتبى، فخرجت وفتحت الباب وكانت عمياء، فقالت: وا حسرتاه ليت كانت لي عين أبصر بها وجه سيدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فكان أوّل معجزة النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ في المدينة أنه وضع كفّه

(١) *نهج البلاغة*، مقتطفة من الخطبة الـ ١٩٢، المعروفة بالخطبة القاصعة.

على وجه أمٍّ أبي أيوب فانفتحت عيناها[١].

## شفاء عينَي أمير المؤمنين عليه السلام

عن عامر بن واثلة قال: سمعت علياً ـ عليه السلام ـ يقول يوم الشورى: **«نشدتكم بالله؛ هل فيكم أحد قال له رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ حين رجع عمر يُجبِّن أصحابه ويجبنونه، قد رد راية رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ مُنهزماً، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: «لأعطين الراية غداً رجلاً ليس بفرار، يحبُّه الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، لا يرجع حتى يفتح الله عليه»، فلمَّا أصبح قال: «ادعوا لي علياً» فقالوا: يا رسول الله هو رمد ما يطرف، فقال: «جيئوني به»، فلما قمت بين يديه تفل في عيني، وقال: «اللهم أذهب عنه الحر والبرد»، فأذهب الله عني الحر والبرد إلى ساعتي هذه، فأخذت الراية وهزم الله المشركين وأظفرني بهم، غيري؟»**، قالوا: **«اللهمَّ لا»**[٢].

## باب خيبر تُرسٌ بيد أمير المؤمنين عليه السلام

عن جابر الأنصاري أنه في خيبر حين انتهى إلى الحصن، اجتذب بابه فألقاه على الأرض، ثم اجتمع منهم سبعون رجلاً وكان جهدهم أن أعادوا الباب[٣].

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ١٩، ص ١٢١، نقلاً عن *مناقب ابن شهر آشوب*.

(٢) *المصدر نفسه*، ج ٢١، ص ٢٠، نقلاً عن *الخصال*.

(٣) *المصدر نفسه*، ج ٤١، ص ٢٧٩.

وعن أبي رافع ، قال : فحمل حتى دنا من الباب ، فاقتلعه ثم رمى خلف ظهره أربعين ذراعاً ، ولقد تكلف حمله أربعون رجلاً فما أطاقوه[١].

وفي حديث أبان عن زرارة عن الباقر ـ عليه السلام ـ : فاجتذبه اجتذاباً وتترس به ، ثم حمله على ظهره واقتحم الحصن اقتحاماً واقتحمت المسلمون والباب على ظهره.

وفي الإرشاد : قال جابر : إنَّ علياً عليه السلام حمل الباب يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، وإنهم جربوه بعد ذلك فلم يحملوه أربعون رجلاً.

وعن أبي عبدالله الجدلي ، قال له عمر : لقد حملت منه ثقلاً، فقال ما كان إلاّ مثل جُنَّتي التي في يدي.

وقال ـ عليه السلام ـ : **«ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوة ربانية»**[٢].

**أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ومعجزة ناقة صالح**

رُوي أنَّ قوماً من النصارى كانوا دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وقالوا نخرج ونجيء بأهلينا وقومنا ، فإن أنت أخرجت لنا مائة ناقة من الحجر سوداء من كل واحدة فصيل آمنًا ، فضمن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وانصرفوا إلى بلادهم ، فلما كان بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ رجعوا فدخلوا

---

(١) *المصدر نفسه*، ج ٤١ ، ص ٢٨٠ .

(٢) *المصدر نفسه*، ج ٤٠ ، ص ٣٧١ ، وج ٥٥ ، ص ٤٦ .

المدينة، فسألوا عن النبي صلى الله عليه وآله، فقيل لهم: توفي صلى الله عليه وآله، فقالوا: نجد في كتبنا أنه لا يخرج من الدنيا نبي إلاّ ويكون له وصي، فمن كان وصي نبيكم محمد؟ فدلُّوا على أبي بكر! فدخلوا عليه وقالوا: لنا دين على محمد، قال: وما هو؟ قالوا: مائة ناقة مع كل ناقة فصيل وكلها سود، فقال: ما ترك رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ تركة تفي بذلك، فقال بعضهم لبعض بلسانهم: ما كان أمر محمد إلاّ باطلاً. وكان سلمان حاضراً وكان يعرف لغتهم، فقال لهم: أنا أدلكم على وصيٍّ محمد، فإذا بعلي قد دخل المسجد، فنهضوا إليه وجثوا بين يديه فقالوا: لنا على نبيكم دَينٌ، مائة ناقة ديناً بصفات مخصوصة، قال علي عليه السلام: وتسلمون حينئذ؟ قالوا: نعم، فواعدهم إلى الغد، ثمَّ خرج بهم إلى الجبانة والمنافقون يزعمون أنه يفتضح. فلما وصل إليهم صلى ركعتين ودعا خفياً، ثم ضرب بقضيب رسول الله على الحجر فسمع منه أنين يكون للنوق عند مخاضها، فبينما كذلك إذا انشق الحجر وخرج منه رأس ناقة وقد تعلق منه رأس الزمام، فقال ـ عليه السلام ـ لابنه الحسن: خذه، فخرج منه مائة ناقة مع كل واحدة فصيل كلُّها سود الألوان. فأسلم النصارى كلهم ثم قالوا: كانت ناقة صالح النبي واحدة وكان بسببها هلاك قوم كثير، فادع يا أمير المؤمنين حتى تدخل النوق وفصالها في الحجر لئلاّ يكون شيء منها سبب هلاك أمَّة محمد، فدعا فدخلت كما خرجت[1].

**الولاية التكوينية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام**

قال الصادق ـ عليه السلام ـ: **«يا أبان؛ كيف ينكر الناس قول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ لما قال: «لو شئت لرفعت رجلي هذه فضربت بها صدر ابن أبي**

---

(١) *المصدر نفسه*، ج ٤١، ص ١٩٨، نقلاً عن *الخرائج*.

**سفيان بالشـام فنكسته عن سريره» ، ولا ينكرون تناول آصف وصيٍّ سليمان عرشَ بلقيس وإتيانه سليمان به قبل أن يرتد إليه طرفه؟ أليس نبيُّنا ـ صلى الله عليه وآله ـ أفضلَ الأنبياء ووصيُّه ـ عليه السلام ـ أفضلَ الأوصياء؟ أفلا جعلوه كوصيٍّ سليمان؟! حكم الله بيننا وبين من جحد حقّنا وأنكر فضلنا»**[1].

**الولاية التكوينية للسيدة الزهراء عليها السلام**

لمَّا كانت البحوث التي نتناولها في موضوع الولاية التكوينية، ترتبط بشؤون الإمامـة والولايـة، ولمَّا كانت الزهراء ـ عليها السلام ـ شريكة الرسالة والإمامة في الولاية التكوينية؛ كان من اللازم التعرض إلى نفحات ولايتها التكوينية.

وقد بسط القولَ في ذلك العلامةُ الأميني ـ رحمه الله ـ صاحب كتاب الغدير، وذلك ضمن محاضرة مطوّلة أُوردتْ مطبوعةً في كتاب «**فاطمة أم أبيها**».

**النكتة (٤٧)** : النسبة بين الولاية المطلقة والإمامة

إنَّ الإمام المعصوم ـ عليه السلام ـ يمتلك الولاية التكوينية المطلقة، ولكن لا يلزم من ذلك أن يكون كل من يمتـلك الولايـة المطلقة إمامـاً. أي أن بيـن الأمرين عموماً وخصوصاً من وجه؛ فإنَّ من الأئمـة ـ كإبراهيم عليه السلام ـ مَن ليس له ولاية مطلقة، كما أنَّ ممن له ولاية مطلقة ـ كالزهراء عليها السلام ـ مَن ليس إماماً.

---

(١) *الاختصاص* للشيخ المفيد، ص ٢١٢، وعنه العلامة المجلسي في *بحار الأنوار*، ج ٢٧، ص ٢٨.

فالزهراء ـ عليها السلام ـ بالرغم من كونها ليست إماماً، تمتلك جميع شؤون وحقائق الإمامة بصورة كاملة، تماماً كما أنَّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ يمتلك جميع خصائص وشؤون النبوة في تكوينه وشخصيته، ولكن من غير أن يكون نبياً.

## ظهور كرامة الزهراء ـ عليها السلام ـ بالرغم من كتمان العدا

ممَّا رواه الفريقان أنه دخلت عائشة على فاطمة ـ عليها السلام ـ وهي تعمل للحسن والحسين عليهما السلام حريرة بدقيق ولبن وشحم، في قدر، والقدر على النار يغلي وفاطمة ـ صلوات الله عليها ـ تُحرّك ما في القدر بإصبعها، والقدر على النار يبقبق، فخرجت عائشة فزعةً مذعورةً، حتى دخلت على أبيها، فقالت: يا أبه؛ إني رأيت من فاطمة الزهراء أمراً عجيباً رأيتها وهي تعمل في القدر، والقدر على النار يغلي، وهي تحرك ما في القدر بيدها! فقال لها: يا بنية؛ اكتُمي فإن هذا أمرٌ عظيم. فبلغ رسول الله صلى الله عليه وآله، فصعد المنبر، وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «**إنَّ الناس يستعظمون ويستكثرون ما رأوا من القدر والنار، والذي بعثني بالرسالة واصطفاني بالنبوة؛ لقد حرَّم الله تعالى النار على لحم فاطمة ودمها وشعرها وعصبها، وفطم من النار ذُرِّيتها وشيعتها. إنَّ من نسل فاطمة مَن تطيعه النار والشمس والقمر والنجوم والجبال، وتضرب الجن بين يديه بالسيف، وتوافي إليه الأنبياء بعهودها، وتسلم إليه الأرض كنوزها، وتنزل عليه من السماء بركات ما فيها، الويل لمن شك في فضل فاطمة. لعن الله من يبغض بعلها ولم يرض بإمامة ولدها، إنَّ لفاطمة يوم القيامة موقفاً، ولشيعتها موقفاً. وإنَّ فاطمة تدعى فتُلبِّي وتشفع فتُشفَّع على رغم كلِّ راغم**»[1].

---

(١) *فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى*، ص ١٠٢.

**الإرادة التكوينية للسيدة الزهراء عليها السلام**

حين اغتصبت الخلافة ، وتقمَّصها من ليس أهلاً لها ، وتمَّ اعتقال الإمام علي عليه السلام ، وأخذوه جراً إلى المسجد ليبايع عُنوةً ؛ خرجت فاطمة ـ عليها السلام ـ فقالت : «**يا أبا بكر أتريد أن ترملني من زوجي؟ والله لئن لم تكفّ عنه لأنشرنَّ شعري ولأشقنَّ جيبي ولآتين قبر أبي ولأصيحن إلى ربي**» ، فأخذت بيد الحسن والحسين وخرجت تريد قبر النبي صلى الله عليه وآله ، فقال علي ـ عليه السلام ـ لسلمان : «**أدرك ابنة محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ فإني أرى جنبتي المدينة تكفئان، والله إن نشرت شعرها، وشقت جيبها وأتت قبر أبيها وصاحت إلى ربها لا يناظر بالمدينة أن يخسف بها وبمن فيها**» ، فأدركها سلمان رضي الله عنه فقال : يا بنت محمَّد؛ إنَّ الله إنما بعث أباك رحمة فارجعي ، فقالت : «**يا سلمان يريدون قتل علي عليه السلام وما علي صبر، فدعني حتى آتي قبر أبي، فأنشر شعري وأشق جيبي وأصيح إلى ربي**» . فقال سلمان : إني أخاف أن يُخسف بالمدينة ، وعليٌّ بعثني إليك يأمرك أن ترجعي له إلى بيتك وتنصرفي . فقالت ـ عليها السلام ـ : «**إذاً أرجع وأصبر وأسمع له وأطيع**» .

قال سلمان ـ رضي الله عنه ـ : كنت قريباً منها فرأيت والله أساس حيطان المسجد مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ تقلّعت من أسفلها ، حتى لو أراد رجل أن ينفذ من تحتها لنفذ ، فدنوت منها ، فقلت : يا سيدتي ومولاتي ، إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ بعث أباك رحمة فلا تكوني نقمة . فرجعت ، ورجعت الحيطان حتى سطعت الغبرة من أسفلها فدخلت في خياشيمنا[1] .

---

(١) *بيت الأحزان* للشيخ عباس القمي ، ص ٨٦.

**النكتة (٤٨)** : مستوى وسعة ولاية السيدة الزهراء عليها السلام

إنَّ السيدة الزهراء ـ عليها السلام ـ حين قرّرت الدعاء باللعن ، اضطربت المدينـة ، ولو أنها ـ سلام الله عليها ـ نفذت اللعن بالفعل لاختـل نظام الدنيا ، ولقامت القيـامة.. وهذا يدل على سعة ولايتـها عليها السلام ، ومدى تأثيـرها.. وكيف لا تكون كذلك وهي التي إرادتها ـ في الحقيقة ـ إرادة الله تعالى ، وهو القائل في كتابه الكريم : ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ**﴾[1] .

**النكتة (٤٩)** : هل يقع التعارض بين قول وعمل معصومين؟

قد يُطرح هنا تساؤل مفاده : كيف صحَّ أن تخرج الزهراء ـ عليها السلام ـ للدعاء واللعن ، في حين أنَّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ غير موافق على اللعن؟ وهل يمثِّل هذا صورةً من التنافي بين موقفَي المعصومين؟

**نجيب:**

**أوّلاً:** لمَّا كان القـوم قد عزموا على قتـل الإمـام علي عليـه السلام ، قامت السيدة الزهراء ـ عليها السلام ـ بتهديدهم بالدعاء واللعن بهدف الحيلولة دون ما راموه ، ودفاعاً عن الإمامة والولاية . وهم ـ حين رأوا بأعينهم آيات غضب الله تعالى ـ كفّوا أيديهم عمَّا عزموا عليـه من قتـل الإمام عليه السلام، واكتفوا بقبول بيعة صورية تحت ظلال السيف والتهديد .

---

(١) يـس ، الآية ٨٢ .

**ثانياً:** إنَّه من الممكن أن يقع التعارض والتنافي بين موقفين يصدر أحدهما من معصوم وآخر من غير المعصوم، أو بين موقفين يصدران من شخصين كلاهما غير معصوم، إلاّ أنَّه يستحيل التنافي بين موقفين يصدران من معصومين؛ ولذا قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**يا علي أنفذ ما أمرتك به فاطمة**»[1]؛ فإنَّ المرأة حين تكون معصومةً، يمكن الأمر بطاعتها جزماً وبقول مطلق.

إنَّ الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ وبعد أن حدّث أبا بصير عن مصحف الزهراء ـ سلام الله عليها ـ بصورة مفصلة، قال ـ عليه السلام ـ له فيما يرتبط بمرتبة ومقام الصديقة الطاهرة: «**ولقد كانت مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة**»[2].

إنَّ هذه الرواية تبيِّن مدى وسعة ولاية الصديقة الطاهرة عليها السلام، وهي دالة على أنَّ طاعتها ـ تكويناً وتشريعاً ـ واجبة على جميع الخلائق.

## أزمَّة الأمور بيد الإمام المعصوم عليه السلام

عن جابر بن يزيد الجعفي قال: لما أفضت الخلافة إلى بني أمية سفكوا فيها الدم الحرام، ولعنوا فيها أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ على المنابر ألف شهر، وتبرأوا منه، واغتالوا الشيعة في كل بلدة، واستأصلوا بُنيانهم من الدنيا لحطام دنياهم، فخوفوا الناس في البلدان. وكل من لم يلعن أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ ولم يتبرأ منه، قتلوه كائناً مَن كان. قال جابر بن يزيد الجعفي

---

(١) *الصراط المستقيم*، ج ٥، ص ٨٣.

(٢) *دلائل الإمامة* للطبري، ص ٢٧ و ٢٨. *فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى*، ص ١٧٦.

فشكوت من بني أمية وأشياعهم إلى الإمام المبين، أطهر الطاهرين، زين العباد، وسيد الزهاد، وخليفة الله على العباد؛ علي بن الحسين صلوات الله عليهما، فقلت: يا ابن رسول الله؛ قد قتلونا تحت كل حجر ومدر، واستأصلوا شأفتنا، وأعلنوا لعن مولانا أمير المؤمنين ـ صلوات الله عليه ـ على المنابر والمنارات والأسواق والطرقات، وتبرأوا منه حتى أنهم ليجتمعون في مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فيلعنون علياً ـ عليه السلام ـ علانية، لا ينكر ذلك أحد ولا ينهر. فإن أنكر ذلك أحدٌ منا حملوا عليه بأجمعهم، وقالوا: هذا رافضي أبو ترابي، وأخذوه إلى سلطانهم، وقالوا: هذا ذكر أبا تراب بخير، فضربوه ثم حبسوه ثم بعد ذلك قتلوه. فلمّا سمع الإمام ـ صلوات الله عليه ـ ذلك مني، نظر إلى السماء فقال: «**سبحانك اللهم سيدي؛ ما أحلمك، وأعظم شأنك في حلمك، وأعلى سلطانك! يا رب؛ قد أمهلت عبادك في بلادك حتى ظنوا أنك أمهلتهم أبداً، وهذا كله بعينك، لا يغالب قضاؤك، ولا يرد المحتوم من تدبيرك، كيف شئت وأنى شئت، وأنت أعلم به منّا**». قال: ثم دعا ابنه محمداً ـ عليهما السلام ـ فقال: «**يا بني**»؛ قال: «**لبيك يا سيدي**». قال: «**إذا كان غداً فاغدُ إلى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وخُذ معك الخيط الذي أنزل مع جبرئيل على جدنا ـ صلى الله عليه وآله ـ فحرّكه تحريكاً ليناً، ولا تُحرِّكه شديداً، الله الله فيهلك الناس كلهم**».

قال جابر: فبقيت متفكِّراً مُتعجِّباً من قوله، فما أدري ما أقول لمولاي عليه السلام. فغدوت إلى محمد ـ عليه السلام ـ وقد بقي عليّ ليلٌ؛ حرصاً أن أنظر إلى الخيط وتحريكه. فبينما أنا على دابّتي إذ خرج الإمام عليه السلام، فقمت وسلّمت عليه، فرد عليَّ السلام، وقال: «**ما غدا بك فلم تكن تأتينا في هذا الوقت**»؟

فقلت: يا بن رسول الله سمعت أباك ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول بالأمس: «**خذ الخيط وسر إلى مسجد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فحركه تحريكاً ليِّناً ولا تحرِّكه تحريكاً شديداً فتهلك الناس كلهم**»، فقال: «**يا جابر؛ لولا الوقت المعلوم والأجل المحتوم والقدر المقدور، لخسفتُ والله بهذا الخلق المنكوس في طرفة عين، لا بل في لحظة، لا بل في لمحة، ولكنّنا عبادٌ مكرمون، لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**».

قال: قلت له: يا سيدي ولم تفعل هذا بهم؟ قال: «**ما حضرت أبي بالأمس والشيعة يشكون إليه ما يلقون من الناصبية الملاعين والقدرية المقصرين**»؟ فقلت: بلى يا سيدي. قال: «**فإنِّي أرعبهم، وكنت أحب أن يهلك طائفة منهم، ويطهر الله منهم البلاد، ويريح العباد**»، قلت: يا سيدي؛ فكيف ترعبهم وهم أكثر من أن يحصوا؟ قال: «**امض بنا إلى المسجد لأريك قدرة الله تعالى**». قال جابر: فمضيت معه إلى المسجد، فصلى ركعتين، ثم وضع خده في التراب وكلّم بكلمات، ثمَّ رفع رأسه وأخرج من كمه خيطاً دقيقاً يفوح منه رائحة المسك، وكان أدقَّ في المنظر من خيط المخيط، ثم قال: «**خذ إليك طرف الخيط، وامش رويداً، وإياك ثمَّ إياك أن تحرِّكه**». قال: فأخذت طرف الخيط ومشيت رويداً، فقال ـ صلوات الله عليه ـ: «**قف يا جابر**»، فوقفت، فحرّك الخيط تحريكاً ليِّناً، فما ظننت أنَّه حرَّكه من لينه، ثم قال: «**ناولني طرف الخيط**»، قال: فناولته.

فقلت: ما فعلت به يا بن رسول الله؟ قال: «**ويحك! أُخرجْ إلى الناس وانظر ما حالهم**»، قال: فخرجت من المسجد، فإذا صياح وولولة من كل ناحية وزاوية، وإذا زلزلة وهدّة ورجفة، وإذا الهدّة أخربت عامّة دُور المدينة، وهلك تحتها

أكثر من ثلاثيـن ألف رجل وامرأة. وإذا بخلق يخرجـون من السكك لهم بكاء وعويـل وضوضـاة ورنة شديدة وهم يقولون : إنا لله وإنا إليـه راجعون ، قـد قامت الساعة ، ووقعت الواقعة ، وهلك الناس . وآخرون يقولون: الزلزلة والهدة، وآخرون يقولون: الرجفة والقيامة، هلك فيها عامة الناس . وإذا أناس قد أقبلوا يبكون يريدون المسجد ، وبعضهم يقولون لبعض : كيف لا يخسـف بنـا وقد تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنـكر ، وظهر الفسـق والفجور ، وكثر الزنا والربا وشرب الخمر واللواطة؟ والله لينـزلن بنا ما هو أشـد من ذلك وأعظم أو نصلح أنفسنا .

إلى أن قال :

ثـم اسـتقبله أميـر المدينة راكباً وحواليه حراسه وهم ينادون في الناس : معاشر الناس احضروا ابن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ وتقربوا إلى الله عز وجل به ؛ لعل الله يصرف عنكم العذاب ، فلمـا بصروا بمحمد بن علي الباقر ـ عليهما السلام ـ تبادروا نحوه ، وقالوا : يا ابن رسول الله ؛ أما ترى ما نزل بأمَّة جدِّك محمد ـ صلى الله عليه وآله ـ هلكوا وفنوا عن آخرهم، أين أبوك حتى نسأله أن يخرج إلى المسجد ونتقرّب به إلى الله ؛ ليرفع الله به عن أمَّة جدِّك هذا البلاء؟ قال لهم محمد بن علي ـ عليه السلام ـ: يفعل الله تعالى إن شاء الله ، أصلحوا أنفسكم وعليكم بالتضرع والتوبة والورع والنهي عمَّا أنتم عليه ، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

قال جابر : فأتينا عليَّ بن الحسين ـ عليهما السلام ـ وهو يصلي فانتظرناه حتى فرغ من صلاته وأقبل علينا فقال : يا محمَّد ما خبر الناس؟ فقال : ذلك لقد

رأى من قدرة الله عز وجل ما لا زال متعجباً منها .

إلى أن ذكر قول الإمام السجاد ـ عليه السلام ـ :

**«هي والله آياتنا، وهذه أحدها وهي والله ولايتنا. يا جابر ما تقول في قوم أماتوا سنتنا، وتوالوا أعداءنا، وانتهكوا حرمتنا، فظلمونا وغصبونا، وأحيوا سنن الظالمين، وساروا بسيرة الفاسقين؟»**، قال جابر: الحمد لله الذي منَّ عليَّ بمعرفتكم، وألهمني فضلكم، ووفقني لطاعتكم، موالاة مواليكم ومعاداة أعدائكم[(١)].

وعبارة الملا هادي السبزواري ـ رحمه الله ـ في منظومته: **«أزمَّة الأمور طُرّاً بيده»**، أي بيد الله تعالى، والله تعالى جعل ذلك إلى المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

## الولاية التكوينية لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف

قال أمير المؤمنين علي ـ عليه السلام ـ :

**«يصفو له الزمان ويسمع كلامه»**[(٢)].

وفي حديث آخر عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ :

**«يسير بسيرة سليمان بن داود، يدعو الشمس والقمر فيجيبانه، وتطوى له الأرض فيوصي الله إليه فيعمل بأمر الله»**[(٣)].

---

(١) ***بحار الأنوار***، ج ٢٦، ص ٨. والرواية طويلة نقلنا منها مقتطفات، ولمن شاء التوسع والاستزادة أن يراجع تمام متنها في المصدر المذكور، فالرواية مليئة بدرر الفوائد فيما يرتبط بمعرفة الإمام.

(٢) ***معجم أحاديث الإمام المهدي*** عليه السلام، الحديث ١٥١٢.

(٣) ***الغيبة*** للشيخ الطوسي.

وما ذكرناه هنا يمثل نموذجاً من بحر معاجز وكرامات المعصومين عليهم السلام، وهو ما يعبر عن ولايتهم التكوينية. وقد قام السيد هاشم البحراني ـ رحمه الله ـ باستعراض جملة من معاجزهم ـ عليهم السلام ـ في ثمانية مجلدات من كتابه «**مدينة المعاجز**»، وهو ما يدل على أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يمتلكون الولاية والقدرة المطلقة في مجال التصرف في عالم الخلقة والتكوين[1].

### * أسباب وعلل امتلاك الولاية التكوينية

إنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم أصحاب الولاية التكوينية، ولا يوجد أي مانع يمكن أن يحول دون نفوذ وفاعلية ولايتهم المطلقة.. وافتراض المانع والحائل إنما يصح في إرادة غيرهم، وذلك حيث تكون الإرادة مستندة إلى مكمِّلات ومُتمِّمات فاعليَّتها من الأسباب والعلل الأخرى، في حين أنّ إرادة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هي عين التحقق والفعلية، كما أنّ الأمر كذلك في إرادة الله تبارك وتعالى؛ **﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[2].

---

(١) كان الميرزا علي آقا الشيرازي ـ رحمه الله ـ (أستاذ الشهيد المطهري) يقول للمرحوم الصفوي: ليت أنّ السيد البحراني لم يكتب كتابه؛ فإنّ ما ضمَّنه كتابه المذكور من الكرامات والمعاجز والولاية، هو مما يتيسر لأصحاب الأئمة وخاصتهم كسلمان وأبي ذر ونظرائهم.. وأمّا أهل البيت ـ عليهم السلام ـ فولايتهم ومرتبتهم فوق هذا بكثير.

(٢) *غافر*، الآية ٦٨.

فالحقيقة أنّ الولاية التكوينية للسادة المعصومين ـ عليهم السلام ـ مستغنية عن متمِّمات الفاعلية من الأسباب والعلل الأخرى، ولكن هذا لا يعني أنّ ما يقومون به بسلطان ولايتهم يكون على نحو الاستقلال، بل كل ما يصدر منهم فهو بإذن من الله تعالى وبموهبة وتفويض منه تبارك وتعالى.

وينبغي لنا أن نتساءل عن العلل والأسباب التي توجب أن يهب الله تعالى الولاية التكوينية للأنبياء والأوصياء والأولياء الربانيين؛ بعد المفروغية من أنّ هذا الامتياز والاختصاص لا يكون بغير سبب وداع يبرِّره في حكمة الله تبارك وتعالى، فما هي الأسباب والعلل التي تؤهِّل المصطفَين من عباد الله لنيل الولاية التكوينية والتمكُّن منها بإذن الله تعالى؟

يمكننا ذكر أسباب وعلل الولاية التكوينية على الترتيب التالي:

**١ ـ العلم.**

**٢ ـ العبودية.**

**٣ ـ قرب النوافل.**

**٤ ـ الاسم الأعظم.**

**٥ ـ الزهد.**

وفيما يلي نتكلم عن كل واحد من هذه الأسباب والعلل.

## السبب الأول: العلم

إنّ العلم يستتبع القدرة في الجملة؛ فالعلم يمكِّن من البيان، ويمكِّن من الكتابة، ويمكِّن من العمل والفاعلية.. فالعلم لا ينفك عن القدرة، بل يقتضيها

بحسب درجته وقوته. و«آصف بن برخيا» حين استطاع أن يأتي بعرش بلقيس قبل أن يرتد طرف سليمان عليه السلام، فإنما تمكّن من ذلك ببركة العلم الذي وهبه الله إياه؛ وذلك قوله تعالى: **﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾**[1]، ولو أننا افترضنا أن العلم عبارة عن البحر، فإنَّ علم «آصف بن برخيا» كان بقدر جناح بعوضة بالنسبة إلى البحر العظيم المتلاطم؛ ومن هناك كان التعبير بـ«**من**» في قوله: **﴿علم من الكتاب﴾**، في حين أنَّ التعبير عن الإمام علي ـ عليه السلام ـ كان بقوله تعالى: **﴿...قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾**[2].

إنَّ الله تعالى جعل تعليم القرآن قبل خلق الإنسان؛ فقال تعالى: **﴿الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ *﴾**[3]، وحينئذ ينبغي لنا أن نتساءل عن الشخص أو الأشخاص الذين علمهم الله تعالى القرآن قبل خلق الإنسان، وقد ورد في الرواية أنَّ الله تعالى علَّم الإمام علياً ـ عليه السلام ـ علم القرآن الكريم قبل أن ينشئه في دَوْر الخلقة المادية، أي في مرحلة الأنوار.. وحين يكون المعلِّم هو الله تبارك وتعالى، فلا بد أن يكون المتلقِّي والمتعلِّم في مرتبة عظيمة من الفضل ومنزلة سامية من الشرف، كما يلزم ـ حينئذ ـ أن تكون المادّة التعليمية في مستوى متميِّز من الفضل والشرف، وناهيك بالقرآن الكريم فضلاً وكرامة[4].

---

(١) *النمل*، الآية ٤٠.

(٢) *الرعد*، الآية ٤٣.

(٣) *الرحمن*، الآيات ١ ـ ٣.

(٤) ***تفسير كنز الدقائق***، ج ١٣، ص ١١، نقلاً عن ***تأويل الآيات***، ج ٢، ص ٦٣٠، عن أبي الحسن الرضا ـ عليه السلام ـ قال: سألته عن قول الله عز وجل **﴿الرحمن علم القرآن﴾**، قال ـ عليه السلام ـ: الله علم القرآن، قلت: فقوله **﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾**، قال ـ عليه السلام ـ: **«ذاك أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ علمه الله سبحانه بيان كل شيء يحتاج إليه الناس»**.

ولمّا كان أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أصحاب العلم المطلق ؛ فإنهم يمتلكون الولاية المطلقة أيضاً ؛ نظراً إلى الارتباط والعلاقة الوثيقة بين العلم والولاية ، فالإنسان كلّما ازداد نصيبه من علم الكتاب والعلم اللدنّي ، يكون ذا ولاية تكوينية بما يتناسب مع رصيده ونصيبه من العلم اللدنّي .

**السبب الثاني: العبودية**

والسبب والمنشأ الثاني للولاية التكوينية : العبودية ، بمعنى أنّ الولاية التكوينية إنما يتأهّل لها من امتلك مقام العبودية ، وكلّما تجذرت وسمت العبودية في شخصية الإنسان ، ازداد نصيبه من الولاية التكوينية .

يقول الشهيد المطهري ـ رحمه الله ـ أنّ الإنسان حين يصير عبداً لله تعالى ، فإنه يملك زمام نفسه ، كما أنّه يملك زمام المحيط الذي يحدق به ، وكذا زمام العالم كلّه[1] .

إنّ إرادة عبد الله هي إرادة الله ، وقدرة عبد الله هي قدرة الله ، ومشيئة عبد الله ورضاه هي مشيئة الله ورضاه .

قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ : **«العبودية جوهرة كنهها الربوبية»**[2] .

من البديهي أنّ الإنسان لا يصير بالعبادة ربًّا ، بل اعتقاد ذلك باطل وكفر ، ولكن المقصود أنّ الإنسان يمكنه بالعبادة أن يبلغ مرتبةً تؤهله لأنّ يقوم بالأعمال

---

(١) *طهارت روح*، ص ١٧٢ .

(٢) *ميزان الحكمة*، ج ٦ ، ص ١٣ ، نقلاً عن *مصباح الشريعة* .

الربانية؛ فيصير ربَّ نفسه، وربَّ الواقع الذي يحيط به، وربَّ الأسباب والعلل، بل ويمكنه أن يُعطِّل السببية كما يمكنه أن يفعِّلها، وهكذا يكون صاحب ولاية تكوينية.

وفي الحديث القدسي: «**يا ابن آدم أنا أقول للشيء كن فيكون، أطعني فيما أمرتك أجعلك تقول للشيء كن فيكون**»[١].

حين قال جابر بن يزيد الجعفي لصاحبه في الطريق: «**كن في الكوفة**»؛ يقول صاحبه إنَّه إنما سمع نون «كن» وهو الكوفة، وهذا يعني أنَّ مجرد إرادته لأن يكون في الكوفة أثرت صيرورته في الكوفة فعلاً، وهذا مقام العبودية. وفي هذا السياق نقرأ قول أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ في دعاء كميل: «**وطاعته غنى**»، وهذه العبارة تعني أنَّ طاعة الله تعالى تورث الغنى والاستغناء المطلق، وهو ما يتجسد على صعيد الغنى النفسي والمادي.. إنَّ الغنى عن الأدوات والآليات كله يكمن في العبودية لله تبارك وتعالى.

## أهمية العبودية

إنَّنا نقول في تشهد الصلاة: «**وأشهد أنَّ محمَّداً عبده ورسوله**»، كما نقرأ في بعض الزيارات: «**وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله**»[٢]؛ وهذا يعني أنَّ العبودية سابقة للنبوة والرسالة.

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٩٠، ص ٣٧٦.

(٢) *زيارة الإمام صاحب الزمان* (آل ياسين).

إنَّ موضوع العبودية وأهميتها ممَّا تمَّ التأكيد عليه في مواضع عديدة من آيات القرآن الكريم ؛ كما في قوله تعالى : ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى...**﴾[(١)]؛ فالعبودية أوّلاً ، ثمَّ المعراج .

وقال تعالى : ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾[(٢)]؛ فالعبودية شرطُ تحقُّق الارتباط بالله تعالى وتلقِّي الوحي من قبله سبحانه وتعالى .

وفيما يرتبط بالأنبياء والأوصياء الربانيين الآخرين ؛ نلاحظ أيضاً أنَّه يتمُّ التأكيد على العبودية ؛ كما في قوله تعالى : ﴿**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً**﴾[(٣)]، وكذا نلاحظ التأكيد على العبودية بذكرها مع الهداية[(٤)]، ومع الإخلاص[(٥)]، ومع الرحمة[(٦)].. وغير ذلك من الموارد .

وبذلك تتضح أهمِّية العبودية ؛ فإنها الشرط الأساس الذي يتوقَّف عليه نيل الرحمة والهداية من الله تعالى ، وكذا جميع درجات الكمال المهمَّة .

## المصاديق التامة للعبودية

إنَّ الأربعة عشر معصوماً ـ عليهم السلام ـ من أبرز المصاديق التامَّة الكاملة للعبودية والطاعة في رحاب الله تبارك وتعالى ، أي أنَّهم يجسدونها في سلوكهم

---

(١) *الإسراء* ، الآية ١ .

(٢) *النجم* ، الآية ١٠ .

(٣) *مريم* ، الآية ٣٠ .

(٤) *الأنعام* ، الآية ٨٨ .

(٥) *يوسف* ، الآية ٢٤ .

(٦) *الكهف* ، الآية ٦٥ .

الجوانحي والجوارحي في أتمِّ درجة وبأكمل صورة ؛ ومن هنا كانوا أصحاب الولاية التكوينية التامَّة التي تهيمن على عالم الخلقة بأسره.

إنَّنا حين نتدبر المقاطع الذهبية للزيارة الجامعة ، وهي زيارة تشع بالتوحيد ، نلاحظ بوضوح مرتبة العبودية التي يتميز بها أهل البيت عليهم السلام ، كالمقطع الشريف الذي جاء فيه : «**السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذي لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون**» ، وكالمقطع الآخر الذي فيه : «**إلى الله تدعون، وعليه تدلون، وبه تؤمنون، وله تسلِّمون، وبأمره تعملون، وإلى سبيله ترشدون، وبقوله تحكمون**».

ولمَّا كان السادة المعصومون الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ فانين في ذات الله تبارك وتعالى ، مستقبلين رضاه في جميع أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم ؛ فإنهم ـ لما كانوا كذلك ـ كما يبلغون أسمى مراتب الولاية التكوينية ، يعملون على إيصال وتبليغ سواهم أيضاً ، فالذين يصلون إلى شيء من الولاية التكوينية إنَّما يحصلون على ذلك ببركة التوجه والتوسل بهؤلاء المعصومين ، ومن قِبَلهم عليهم السلام.

وفي هذا يقول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ : «**بنا عُبِدَ الله، لولانا ما عُبد الله، لولانا ما عُرِف الله، لولانا ما وُحِّدَ الله**»[1].

وهذا يعني أنَّ من يصير عبداً لله ، وعارفاً بالله ، وموحداً لله ، فإنما يصير

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٦ ، ص ٢٤٧.

كذلك بالانتهال من نمير أهل البيت عليهم السلام ، والإفادة من فيض إحسانهم .

ومن هنا نقرأ في الزيارة الجامعة الكبيرة : «**مَن أراد الله بدأ بكم، ومَن وحَّدَهُ قَبِلَ عنكم، ومَن قَصَدَهُ توجَّه بكم**» .

**النكتة (٥٠)** : مقارنة قدرة التصرف بين المعصوم وغير المعصوم

ربما يجدر بنا أن نجيب عن تساؤل مفاده: أنَّ القدرة على التصرف (الولاية التكوينية) إذا كانت منحصرة في مجال أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ومن يلوذ ويتوجه بهم؛ فكيف نفسِّر قُدرة جماعة من الناس على التصرف في الأمور مع أنهم ليسوا ذوي ارتباط بأهل البيت عليهم السلام ، كما هو الحال مع المرتاضين الهنود؟

**نجيب:**

**أوّلاً:** بأنَّ قدرة المسؤول عنهم في التصرف هي قدرةٌ محدودة غير مطلقة .

**ثانياً:** بأنَّهم إن كانوا نالوا ما نالوا كنتيجة للرياضات التي يمارسونها ، فهم في الحقيقة يحصدون ثمار جهودهم المبذولة ، وهي ثمار دنيوية مادية ، في حين أنَّ ما بذلوه من جهد لا أثر له في الآخرة . على أنَّ ما يحصدونه من الآثار المادية والدنيوية هو في الحقيقة فيض يتلقونه ببركة أهل البيت عليهم السلام .

**وبعبارة أخرى:** إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ كما أنهم يمثلون واسطة الفيض في رزق العباد مؤمنهم وكافرهم ، هم أيضاً واسطة الفيض في قدرة العباد ، سواء في ذلك المؤمن والكافر ، وذلك بما يتناسب مع ما يبذل كلٌّ منهم من

جهد في سبيـل ذلك. إلاّ أنّ العناية التي يُولُونها ـ عليهم السلام ـ للمؤمن هي عنـاية متفوقة وذات أفضليـة، وليس ذلك عن طريق الرياضـات الباطلة وغيـر المشروعة، بل على أساس أداء الواجبات واجتناب المُحرّمات بالمعنى الحقيقي. في حين أنّ ما يفيضونه على غيـر المؤمنين هو قليـل ومحدود وينحصـر في البُعد الدنيوي.

وهذه قاعدة جارية في الأمور الأخرى أيضاً، فعلى سبيل المثال: إذا قام أحدُ الكفّار بنشاط علمي حثيث ليلاً ونهاراً؛ فإنّه ينال ثمار جهوده المبذولة من الاكتشافات والاختراعات، وينحصر إنجازه بثماره في هذه الدنيا. وأمّا المؤمن فإنه حيـن يقوم بمثـل ذلك في سبيـل الله تعالى؛ يحصد ثمار جهوده في الدنيا والآخرة، ويكون ما يحصده من ثمار وثواب أضعافاً مضاعفة كثيرة.

**السبب الثالث: قرب النوافل**

إنّ الإتيان بالمستحبّات الشرعيّة، سواء الصلوات النوافل أو غيرها من الأعمال المسـتحبة، هو سبب آخر من أسباب وعلل تحصيـل الولاية التكوينية بالنسبة إلى غيـر المعصوميـن عليهم السلام. ومع أنّ الإتيـان بالواجبـات من الأمـور المفروضة على جميع العباد؛ إلاّ أنّ الإتيـان بها على الوجه التام والأحسن مع اجتنـاب المحرّمات، ذو دور أساس في الحصول على الولاية التكوينيـة.. بيد أنّ المستحبات تبقى ذات أثر آكد وأقوى بالقياس إلى الواجبات.

فعن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ أن الله تبارك وتعالى قال: «**وما يتقرب إليَّ عبدٌ من عبادي بشيء أحبّ إليَّ ممّا افتـرضت عليه، وإنه ليتقرَّب إليَّ بالنافلة حتّى**

**أحبَّه، فإذا أحببته كنت إذاً سَمْعَهُ الذي يسمع به، وبَصَرَهُ الذي يُبصر به، ولسانَهُ الذي ينطق به، ويَدَهُ التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته»**[1].

حين يكون الله تبارك وتعالى السمعَ الذي به يسمع الإنسان؛ فإن الإنسان يتمكن حينئذ من سماع أصوات الملائكة عليهم السلام، وسماع أصوات الأئمة المعصومين عليهم السلام، وإذا ألقى السلام على الأئمة فأجابوه؛ يسمع جوابهم.. وهو ما يُنقل عن أولياء الله تعالى من أنهم يسمعون جواب سلام الأئمة حين يزورونهم ويلقون عليهم السلام.

وحين يكون الله تبارك وتعالى البصرَ الذي به يُبصر الإنسان؛ فإنَّ الحجُب ترتفع عن عينه، ويصبح كل شيء له منكشفاً مرئياً، سواء في ذلك القريب والبعيد، والظاهر والباطن، ومن هنا قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله عز وجل**»[2].

وحين يكون الله تبارك وتعالى اللسان الذي ينطق به الإنسان؛ فإنَّ عيون الحكمة والمعرفة تتفجر وتجري من لسانه، فإذا نطق استحوذ على القلوب.

وحين يكون الله تبارك وتعالى اليدَ التي بها يبطش الإنسان؛ تكون يده ذات قدرة ربانية، ولا تعود شبيهة بالأيدي الاعتيادية.

ولذا قال الإمام الخميني ـ قدس سره ـ لآية الله بهاء الديني ـ رحمه الله ـ: «**كل شيء تحت إمرتي واختياري**»؛ فإنَّ مرجع ذلك إلى الولاية التكوينية، والإنسان

---

(١) *الكافي*، ج ٤، ص ٥٤، ح ٢٧٣٠.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ٢١٨.

يحصل على الولاية التكوينية بما يتناسب مع تقرّبه، والعبد المطلق يحصل على الولاية المطلقة.

**النكتة (٥١)**: علاقة الولاية التكوينية بأداء الواجبات والمستحبات

ورد في بعض الروايات أنَّ الله تعالى يقول: إذا أدى المؤمن ما عليه من الفرائض، فإنه يكون عيني، ويكون يدي، ويكون سمعي، ويكون لساني. بيد أنه إذا أتى بالنوافل يكون الله عينه وسمعه ولسانه ويده. ولما كانت المرتبة الأولى أعلى، كان أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ كذلك، فهو عين الله ويد الله وأذن الله ولسان الله، وهو ـ عليه السلام ـ يقول: «**أنا علم الله، وأنا قلب الله الواعي، ولسان الله الناطق، وعين الله الناظرة، وأنا جنب الله، وأنا يد الله**»[1].

وممَّا ينبغي الالتفات إليه أنَّ (النوافل) يراد بها جميع المستحبات، وليس الصلوات المستحبة فحسب، ومن هنا كانت النوافل مما يوجب التقرب إلى الله تعالى وترتب بركات وآثار كثيرة.

إنَّ الإنسان حين يصير مقرّباً؛ تكون طاعته طاعة الله تعالى؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[2]، وفعله فعل الله تعالى؛ ﴿**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...**﴾[3]، ومن هنا كانت مبايعةُ مَن هذه منزلتُه مبايعةً لِلّه تعالى؛

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٤، ص ١٩٨، نقلاً عن *التوحيد* للشيخ الصدوق رحمه الله.

(٢) *النساء*، الآية ٨٠.

(٣) *الأنفال*، الآية ١٧.

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[١] . وحين بايع ابن عباس الإمامَ الحسين ـ عليه السلام ـ بجانب الكعبة الشريفة ، نادى أن تعالوا بايعوا الله تعالى . وحين يظهر الإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ بجانب الكعبة ، أول من يبايعه جبرئيل ـ عليه السلام ـ وهو ينادي تعالوا بايعوا الله .

**«ومرتبة الإنسان الكامل عبارة عن الجمع جميع المراتب الإلهية والكونية من العقول والنفوس الكلية والجزئية»**[٢] .

وبناء عليه : جميع ما يصدر عن الله تعالى من أفعال ، يمكن ـ بإذن الله تعالى ـ أن تصدر من خليفته .

وفي التوقيع الصادر من الناحية المقدسة للإمام المهدي ـ عجل الله تعالى فرجه ـ والذي تتم تلاوته في كل يوم من أيام شهر رجب الأصب ؛ نقرأ فيما يرتبط بالمعصومين من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ : **«لا فرق بينك وبينها إلاّ أنهم عبادُك وخلقُك»**[٣] .

فهذه العبارة توضِّح أنَّ المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ بعد التسليم بكونهم عباداً لله تعالى ومخلوقين له ، هم قادرون على جميع الأفعال التي تصدر من قبل الله تعالى . والفرق يكمن في المُظهرية ـ بضم الميم ـ والمَظهرية ـ بفتح الميم ـ فالله تعالى مُظهر ؛ ولذا نقول في الدعاء : **«يا من أظهر**

---

(١) *الفتح* ، الآية ١٠ .

(٢) *ادب فناى مقربان* ، ج ٣ ، ص ٢٨٧ .

(٣) *مفاتيح الجنان* ، الزيارة اليومية في شهر رجب المبارك .

**الجميل**» ، فهو ـ تبارك وتعالى ـ مُظهر ومبـرز الأسماء والصفات ، في حين أنَّ المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ هم مَظهر أسماء وصفات الله تعالى ، فالله تعالى يريد إظهار علمه وقدرته وكماله وصفاته ، فيودعها ويعطيها للمعصومين عليهم السلام .

إنَّ الفارق الوحيد بين الله والنبي يكمن في الوجوب والإمكان ، فالله تعالى واجب الوجود لذاته ، والنبي ممكن الوجود لذاته ؛ قال ـ تبارك وتعالى ـ : ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾[1] «**دنوًّا واقتـراباً من العليِّ الأعلى**»[2].. إنَّه القرب المطلق ، وغاية درجات التقـرب فيما يرتبـط بالنبـي المصطفى ـ صلى الله عليـه وآله ـ الذي يمثـل المَظهر الأتم والأكمل لجميع الصفات والأسماء ، وهذا يختـص بالمعصوميـن عليهم السلام ، ولا يمكن لأحـد من الخلائـق أن يبلغ هذه المرتبة من الفضل .

**النكتة (٥٢)** : أفضلية خاتم الأنبياء ـ صلى الله عليه وآله ـ من سائر الأنبياء

إذا أردنا أن نوازن بين منزلة النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ وبين منازل ومراتب سائر الأنبياء عليهم السلام ، سنجد شواهد ذلك عديدة في القرآن الكريم ، بيد أننا نقتصر على مورد واحد منها .

حين أحس بنو إسرائيـل بالخطر بعد أن أبصروا جماعة فرعون ، وقالوا :

---

(١) *النجم* ، الآيتان ٨ ـ ٩ .

(٢) *دعاء الندبة* .

﴿**إنّا لمُدركون**﴾، أجابهم موسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**كَلاّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾[1]، ولكن حين كان خاتم الأنبياء ـ صلى الله عليه وآله ـ مهاجراً إلى المدينة، ودخل برفقة صاحبه الذي كان معه في الغار، واقترب المشركون من الغار؛ قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا**﴾[2]، وللنظر في الفوارق بين التعبيرين.

في عبارة موسى ـ عليه السلام ـ تمَّ ذكرُ ذاته أوّلاً (**معي**)، ثم ذُكر الله تعالى، وفي عبارة خاتم الأنبياء ـ صلى الله عليه وآله ـ تمَّ ذكرُ الله أوّلاً (**إنَّ الله**)، ثم ذكر ذات النبي (**معنا**).

وفي عبارة موسى ـ عليه السلام ـ اكتفى موسى بذكر نفسه (**معي**)، في حين أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ يضمُّ إلى نفسه مَن معه (**معنا**)، وإن كان الذي برفقته بعيد كل البعد عند المقارنة بين الشخصيتين.

وفي عبارة موسى ـ عليه السلام ـ تمَّ ذكر الله تعالى بصفة واسم واحد من أسمائه وصفاته (**ربِّي**)، في حين أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ ذكر الله تبارك وتعالى بـ (**الله**) وهو الاسم المستجمع لجميع الصفات والأسماء.

وهذا ينبئك عن القرب الكامل، والعرفان الجامع للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله.

وفي الزيارة الجامعة الكبيرة: «**فبلغ الله بكم أشرف محلِّ المُكرَّمين، وأعلى**

---

(١) *الشعراء*، الآيتان ٦١ ـ ٦٢.

(٢) *التوبة*، الآية ٤٠.

**منازل المُقرَّبين، وأرفع درجات المُرسلين... حتَّى لا يبقى ملك مقرَّب ولا نبيٌّ مُرسَلٌ... إلاَّ عَرَّفهم جلالة أمركم وعِظَمَ خطركم...».**

وفي موضع آخر من الزيارة الجامعة الكبيرة : «**اللهم إني لو وجدتُ شفعاء أقرب إليك من محمد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار؛ لجعلتهم شفعائي**».

بناء عليه : الأقرب إلى الله تعالى هم المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام ، ولا يوجد أحدٌ هو أكثر قرباً وأخص منزلة منهم إليه تبارك وتعالى .

## السبب الرابع: الاسم الأعظم

إنَّ امتلاك الاسم الأعظم هو أحد الأسباب والعوامل لامتلاك الولاية التكوينية ، فكل من كان عنده الاسم الأعظم ، يكون صاحب ولاية تكوينية ، وتتسع وتضيق الولاية التكوينية بحسب مقدار ما عند الإنسان من حروف الاسم الأعظم ، فإن مقدار ما لديه من الاسم الأعظم هو الذي يحدد مستوى تأثيره ومدى تصرفه في الخلقة .

## مقدار الاسم الأعظم

روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني ـ رحمه الله ـ بسنده عن الإمام أبي جعفر الباقر ـ عليه السلام ـ قال :

«**إنَّ اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفاً، وإنما كان عند آصف منها حرف واحد، فتكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين سرير بلقيس، حتى تناول السرير بيده،**

**ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين، ونحن عنـدنا من الاسـم الأعظم اثنان وسبعون حرفاً، وحرف واحد عند الله تعالى استأثر به في علم الغيب عنده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»**[1].

**النكتة (٥٣) : ما هو الاسم الأعظم وما هي حدوده؟**

إنَّ الاسـم الأعظم ليس مُؤلّفـاً من الحروف الأبجدية التي نعرفها ، إضافة إلى أنَّ الحروف التي يتـألّف منها تختـلف فيما بينها ، فإنَّ القدرة التي يختزنها حرفٌ منها قد تقصـر أو تفوق على القدرة التي يختـزنها حرف آخر ، كما أنَّ من الممكن أن يمتلك شخصٌ قسماً من حرف واحد ، لا جميعه .

إنَّ الاسم الأعظم بتمامه هو عند أهل البيت عليهم السلام ، باستثناء حرف واحد منه اختص به الله تعالى ، وهو الاسم المرتبط بكنه ذاته سبحانه وتعالى ، وذلك لأنّه لا مجال لأحد من المخلوقات إلى إدراك ذاته تعالى ، وبهذا الاسم ـ المتفرّد به الله تعالى ـ خلق الله نور المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ؛ ﴿**فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾[2].

وحين يقول أهل البيت ـ عليهم السلام ـ: «**إلهي ما عرفناك حقَّ معرفتك**»[3]، في حين أنهم أهل الفناء المطلق ؛ فإنَّ قولهم ذلك إشارة إلى الذات المقدسة ، والمراد أننا لا نستطيع إدراك ذاتك المقدّسة .

---

(١) *الكافي* ، ج ١ ، ص ٣٣٤ .

(٢) *المؤمنون* ، الآية ١٤ .

(٣) *بحار الأنوار* ، ج ٦٨ ، ص ٢٣ .

**إفادة أنبياء الله ـ عليهم السلام ـ من الاسم الأعظم**

روى ثقة الإسلام الشيخ الكليني ـ رحمه الله ـ بسنده عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ أنه قال:

**«إنَّ عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ أعطي حرفين كان يعمل بهما، وأعطي موسى أربعة أحرف، وأعطي إبراهيم ثمانية أحرف، وأعطي نوح خمسة عشر حرفاً، وأعطي آدم خمسة وعشرين حرفاً، وإنَّ الله تعالى جمع ذلك كلَّه لمحمَّد صلى الله عليه وآله، وإن اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً، أعطى محمداً ـ صلى الله عليه وآله ـ اثنين وسبعين حرفاً، وحُجب عنه حرفٌ واحدٌ»**[1].

**النكتة (٥٤)**: طريق الوصول إلى الولاية التكوينية

إنَّ الإنسان الاعتيادي يمكنه عن طريق العبادة والالتزام بالنوافل والزهد الحقيقي، أن يحصل ولو على جزء من الولاية التكوينية، فيصير بذلك ذا تصرف وسلطنة على نفسه وما يحيط به وعلى عالم الخلقة ولو بنحو ودرجة ما. وأمّا علم الكتاب والاسم الأعظم فهما مختصان بأنبياء الله تعالى وبالأوصياء الربانيين وببعض الأولياء المقربين الذين بوسعهم امتلاك قسم منه لا كلّه بتمامه.

**كرامة لحمّال**

كان في سوق تبريز شخص يشتغل حمّالاً، وبينا هو في شغله إذا بطفل

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ٣٣٤ ح ٢.

يكاد يقع من أعلى بناية إلى الأرض، فصاحت أمُّ الطفل: «**طفلي!**»؛ فدعا الحمّال الذي كان يشهد الموقف قائلاً: «**اللهمَّ أَمْسِكِ الطفل**»، فإذا بالطفل يبقى معلقاً في الهواء فلا يهوي إلى الأرض، حتى تناولته أمُّه وضمته إلى حضنها.. فأحاط الناس بالحمال وهم مندهشون ممّا شاهدوه، وأخذوا يسألونه عمّا جعله يصل إلى هذه المرتبة، فأجابهم قائلاً: «**لقد بقيت عُمراً أطيع الله في كل ما طلبه مني، وفي هذه المرة طلبتُ منه شيئاً فاستجاب لي تبارك وتعالى**».

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ**﴾[1].

## أسماء المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ هي اسم الله الأعظم

بينما كان أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ قائماً فوق بحر ما بين السماء والأرض، إذ مرَّ به راهبٌ كان يمشي على متن ماء البحر، والإمام ـ عليه السلام ـ مشرف عليه من عَلٍ، فقال الإمام للراهب: «**بأي ذكر استطعت أن تمشي على الماء؟**»، فأجابه الراهب: «**مع أنَّ هذا من الأسرار التي لا نذيعها لكل أحد، إلاَّ أنني أقوله لك لأنك تفوقني في المرتبة، إنَّ أسلافنا وكبارنا ذكروا أنَّه يكون في آخر الزمان نبيٌّ، مَن ذكر اسم وصيِّه يمكنه أن يمشي على الماء، وإنني أذكر (يا علي) مرة واحدة فيتيسر لي المشي على الماء**». فقال له الإمام ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ وصيَّ نبيٍّ آخر الزمان هو أنا**»، فآمن الراهب، ولازم الإمامَ، واستشهد في بعض الغزوات[2].

---

(١) *البقرة*، الآية ٤٠.

(٢) *أنوار الولاية*، ص ٣٣٦.

إنَّ الاسم المبارك للإمام علي ـ عليه السلام ـ هو اسم الله الأعظم الذي كان يعد من الأسرار في الأمم السابقة، وكانوا يلهجون بذكره مع الاعتقاد الراسخ بقدسيته، وكانوا يجنون بركته ويلمسون تأثيره. وهو الاسم الذي يغلب أن ينطق به معظم الناس في هذا الزمان مع الغفلة عن عظيم ما له من الشأن والمنزلة.

إنه الاسم الذي ما كان ينطق به النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ إلاّ على طهارة. ولو أنَّ أحداً نطق باسم الإمام علي ـ عليه السلام ـ مع الاعتقاد الراسخ، فإنه سيرى تأثير الاسم الأعظم.

## معنى بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ أسماء المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ هي اسم الله الأعظم. ونحن في ليالي القدر العظيمة نُقسم على الله تعالى بأسماء الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام؛ وذلك لقدسية أسمائهم وكونها الاسم الأعظم.

وجدير بالالتفات أنّنا نقول «**بسم الله الرحمن الرحيم**»، ولا نقول «**بالله الرحمن الرحيم**»؛ فما هو اسم الله الذي نستعين به حين ندعو الله الرحمن الرحيم؟ إنَّ الله تعالى يقول: ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[1]، ويقول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «**نحن والله الأسماء الحسنى**»[2].

وبناء عليه يكون معنى ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ الاستعانة والابتداء بأسماء الله الحسنى التي هي عبارة عن الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام.

---

(١) *الأعراف*، الآية ١٨٠.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ١٤٣.

**السبب الخامس: الزهد**

إنَّ الصفات الأخلاقية ذات طابع اكتسابي يمكن الحصول عليها . والزهد يحتل مكانة مهمة بين الصفات الأخلاقية الحسنة. والمقصود من الزهد الإعراض وعدم الرغبة بالنسبة إلى كل أمر لا يراد به الله تعالى، إلاّ أنَّ الناس يتصوّرون أن الزهد ذو علاقة بالأمور الدنيوية، فيربطون مفهوم الزهد بالبيت المتواضع والصغير، والفرُش الخلقة الممزّقة.. في حين أنَّ العنصر الدنيوي لا يمثل إلا نسبة ضئيلة جداً في تكوين الزهد. والزهد الحقيقي هو عدم الالتفات إلى الدنيا وكل ما يعد منها ، من قبيل الرئاسة والشهرة والشهوة والأتباع والمكانة الاجتماعية.. بل يشمل الزهد حتى عدم الرغبة في امتلاك الاسم الأعظم.

كان أحد أساتذة الأخلاق يعاتب وينتقد طلاب العلم لعدم امتلاكهم الولاية التكوينية وعدم قدرتهم على التصرف في الكون، فقال أحد الأساطين: لا يزال هذا الأستاذ عبداً لهوى نفسه؛ وأيُّ شيء يقتضي أن يطلب العبدُ الولاية التكوينية، إنّما تكليف العبد في أن يكون مطيعاً لمولاه تبارك وتعالى، ليس إلاّ . وقد ذُكر من وجوه تفسير استغفار أهل البيت ـ عليهم السلام ـ صدور المعجزات والكرامات من قبلهم؛ فإنَّ ذلك وإن كان يقع موافقاً لمشيئة الله تعالى، إلاّ أنهم ـ عليهم السلام ـ كانوا لا يحبون أن تصدر من أشخاصهم كرامةٌ لأنهم مستغرقون في الفناء المطلق والعبودية المحضة.

**صدق النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ وإخلاصه في التبليغ**

كان الشيخ إسماعيل الدولابي ـ رحمه الله ـ يقول: تعلّموا كيفية التبليغ من النبي الأكرم صلى الله عليه وآله؛ فإنَّ القرآن الكريم إنّما وصل إلى العباد عن

طريق النبي الذي كان مكلّفاً بتبليغ القرآن والدين، وقد بلغ صدق وإخلاص النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ في تبليغ القرآن الكريم مبلغاً عظيماً، يشهد لذلك أننا حين نتلو القرآن الكريم، نشعر بالأنس والارتباط المباشر مع الله تبارك وتعالى، ونحس بكل وضوح أنّ الله تعالى هو الذي يتحدّث معنا وليس النبي صلى الله عليه وآله، وهذا دليل على صدق وإخلاص النبي في التبليغ، وفنائه في التوحيد.

في حين أنّ كثيراً منّا يسعون إلى إظهار أنفسهم ولو من حيث لا يشعرون، ويهتمون بازدياد أتباعهم وتعرّف الناس عليهم، أكثر من اهتمامهم بتعرف الناس على القرآن وأهل البيت عليهم السلام؛ ولذا تبلغ الأصنام التي في أنفسهم ١٠١ صنم، بعد أن كانت ١٠٠ صنم.

وعلى كلٍّ؛ الزهـد مهم جداً، ولا بد من تجسيد الزهد عملياً في الحياة. إنّ من الممكن أن يعيـش شخصٌ ما زاهداً فيما يرتبط بمأكله وملبسه، ولكن يهيمن عليه حبُّ الرئاسة والجاه والشهرة؛ ومن هنا قال أحد الصالحين: «**آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حبُّ الرئاسة**»[1].

إنّ مقام الصديقين ـ من حيث معرفة الله تعالى ـ في غاية الرفعة والسمُوّ، إلاّ أنّ هؤلاء الصديقين أيضاً يمكن أن يُبتلوا بحب الشهرة والرياسة والأتباع. وأمّا أولياء الله حقيقةً فهم الذين يعيشون حقيقة الزهد، ويشمل زهدهم الزهد حتى عن ثناء الآخرين في حقهم، فلا يطلبون مديحاً ولا ثناءً.. وهم إذا امتلكوا قدرةً تراهم لا يحبون حتى إبراز وتنفيذ قدرتهم، وإذا كان لديهم الاسم الأعظم تراهم لا يفيدون منه، بل لا يحرصون على تحصيله من الأساس.

(١) **شرح *نهج البلاغة*** لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٨١.

## احتياج وليّ الله تعالى إلى النصيحة

كان «**النخودكي**» ـ رحمه الله ـ من أولياء الله ، وذا كرامات كثيرة ، فطلب من «**الدوائي**» ـ رحمه الله ـ الذي كان من العظماء ، أن يعظه ، فقال له «**الدوائي**» : «**إنَّ الله تعالى كتب لك حسنات عظيمة، وادخر لك ذخائر وكنوزاً، ولكنك تريد أن تصرفها وتنفقهما جميعاً في دار الدنيا ولا تبقي لنفسك شيئاً للآخرة، إضافة إلى أنك أصبحت حجاباً تحول بين الناس والإمام الرضا عليه السلام**» ، فتساءل «**النخودكي**» ـ رحمه الله ـ عن المطلوب منه أن يصنعه ، فطلب منه «**الدوائي**» ـ رحمه الله ـ أن يغادر مدينة مشهد ، فامتثل أمره وغادر مشهد وقلّل من إبراز كراماته .

إنَّ الإنسان يحصل على مراتب الولاية التكوينية بقدر ما يتصف به من الزهد ، بيد أنَّ الزهد المطلق والتام لا يوجد إلاّ في الهداة الطاهرين من أهل البيت عليهم السلام .

## الزهد هو ما شرطه الأنبياء لله تبارك وتعالى

إنَّ الله تعالى وقبل أن يصطفي الأنبياء للنبوة ، شرط عليهم وألزمهم بالزهد في درجات الدنيـا الدنية ، فلما قبل الأنبياء هذا الإلزام ، وعلم الله تعالى منهم أنهم يفون بما أعطوه من الشرط ، اجتباهم الله تعالى للرسالة ، وإضافة إلى ذلك حباهم بـ ١٢ كرامة أخرى ، ولذلك نقرأ في الدعاء :

«**بعد أن شرطتَ عليهم الزهدَ في درجات هذه الدنيا الدنيَّة وزُخْرُفها وزِبْرِجِها، فشرطوا لك ذلك، وعلمتَ منهم الوفاءَ به، فقبلتَهُم وقرَّبتَهُم، وقدَّمت لهم الذكرَ العليَّ، والثناءَ الجليَّ، وأَهبطتَ عليهم ملائكتَكَ، وكرَّمتهم بوَحْيِكَ، ورفدْتَهُمْ بعِلْمِكَ، وجعلتهم**

**الذريعةَ إليك، والوسيلةَ إلى رِضوانك...»**[١].

لقد ذكرت في هذه المقتطفة من دعاء الندبة تسع خصائص وكرامات مَنَّ الله بها على الأنبياء عليهم السلام، فإذا أضفنا إليها ثلاثاً أخرى جاءت في بداية الدعاء؛ يكون المجموع اثنتا عشرة كرامةً لهم عليهم السلام.

لقد كانت مفاتيح الكنوز بأيدي الأنبياء العظام عليهم السلام، بما عندهم من الاسم الأعظم والولاية التكوينية، ومع ذلك عاشوا ـ عليهم السلام ـ زاهدين معرضين عن زخارف الدنيا ولذّاتها، وأنفقوا أعمارهم لله وفي سبيل الله، فاستحقوا كلّ هذه الكرامات منه تبارك وتعالى.

### مكانة العلماء

قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «**إنَّ العلماء ورثة الأنبياء**»[٢].

إنَّ العلماء ينوبون عن الأنبياء في مكانتهم، فمكانة العلماء هي مكانة الأنبياء؛ ومن هنا يتوجّب على علماء الإسلام أن يكونوا زاهدين في الدنيا وذوي سيطرة على أنفسهم فلا ينقادون لهواها، بل يطوّعونها للانقياد لأوامر الله تعالى.

وقد قال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ: «**وأمَّا مَن كان مِن الفُقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً على هواه، مطيعاً لأمر مولاه، فللعوامِّ أن يتَّبعوه**»[٣].

---

(١) *مفاتيح الجنان*، دعاء الندبة.

(٢) *الكافي*، ج ١، ص ١٣٢.

(٣) *وسائل الشيعة*، ج ٢٧، ص ١٣١.

إنَّ إدارة أمور العباد في المجال الاجتماعي أيضاً هي في عهدة علماء الدين، فإنَّ دورهم لا يقتصر في مجال الفتوى وتبيين الأحكام والمسائل الدينية، بل وظيفتهم هي وظيفة أنبياء الله تعالى.

قال أبو عبد الله الحسين ـ عليه السلام ـ: «**مَجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه**»[1].

**ما المقصود بالتحديد من ولاية الفقيه؟**

لقد قام آية الله بهاء الديني ـ رحمه الله ـ بتقديم تعريف جديد لولاية الفقيه، حيث قال: قَدِمَ شخصٌ إلى بيتنا ومعه كتابٌ في ثلاث مُجلّدات، وقال: إنني ألقيت دروساً فيما يرتبط بموضوع ولاية الفقيه، وأرجو منك أن تبدي وجهة نظرك فيما يرتبط بهذا الكتاب. فقلتُ له: وهل تعرف حقاً ماذا تعني ولاية الفقيه؟ فقال: وماذا تعني؟ فقلتُ له: إنّها تعني أنَّ فقيهاً لا بد له أوّلاً أن تكون له ولاية على نفسه، فتصير نفسه مطيعة ومنقادة له، فيأمرها بما ينبغي لها وينهاها عما لا ينبغي لها، فإذا امتلك هذه القدرة فيما يرتبط بنفسه، فحينئذ يصبح أمينَ الله تعالى، فيقول الله تعالى له: إنك لن تخون الناس أبداً، فيسلمه أمر الناس وولايتهم. فهذه هي ولاية الفقيه. فهل توصّلْتَ إلى هذا الفهم؟ فكان الرجل صريحاً وصادقاً حين قال لي: لا؛ لم أتوصل إلى هذا.

ومن هنا نفهم أنَّ الله تعالى لا يسلِّم أزمَّة الناس إلى فقيه فيجعله وليَّهم

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٩٧، ص ٧٩.

والقائم على أمورهم، إلاّ حين يكون ذلك الفقيه عارفاً بدينه، ومأموناً لا تحتمل في حقِّه الخيانة، وذا مواقف يراعي فيها وجه الله ورضاه، وليس هوى النفس.

وبهذا يتضح أنَّ للزهد ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بالولاية، فكلما كان الزهد أكمل وأتمَّ، كانت الولاية أكمل وأتمَّ أيضاً.

## ثمرات الزهد

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ عليهما السلام ـ: «**من زهد في الدنيا ولم يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها، هداه الله بغير هداية من المخلوق، وعلمه بغير تعليم، وأثبت الحكمة في صدره، وأجراها على لسانه**»[1].

## * نسبة الخلق والرزق إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام

ممَّا تمَّ طرحه ودراسته إلى الآن؛ تبيَّن أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أصحاب ولاية تكوينية مطلقة تخضع لها جميع ذرات العالمين، من زمان ومكان، وحتى الأنبياء والأولياء والملائكة.. وفي جميع المجالات من علم وقدرة... وغيرها، فولايتهم على كل موجود ما عدا الله تبارك وتعالى.

وبعبارة أخرى: إنهم ـ عليهم السلام ـ مَظهر لجميع أسماء الله تعالى وصفاته، والله سبحانه وتعالى تجلى في وجود الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام، وحباهم كل شيء.

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٧٥، ص ٧٦٣. و*تحف العقول*، ص ٢٢٣.

وفي هذا المجال يُطرح عادةً تساؤل عمّا إذا كانت ولاية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ تشمل الخلق والرزق أيضاً أم لا .

وبعبارة أخرى : هل هم ـ عليهم السلام ـ مظهرٌ لخالقية الخالق ورازقية الرازق سبحانه وتعالى ، أم ليسوا كذلك؟

ما يمكن أن نقوله بصورة إجمالية : أنَّه نظراً للآيات والروايات الكثيرة ؛ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يمتلكون القدرة على الخلق والرزق ، وقد مارسوا هذا الدور في الجملة أيضاً ، وهذا أمرٌ مقطوع به ومفروغ عنه . وأمَّا أنهم الذين قاموا بخلق العالم والموجودات بإذن الله تعالى ، وأنهم يتكفلون برزق المخلوقات ، فهذا ما يتطلب وقفةً وتدقيقاً ودراسة ، وهو ما نتناوله هنا على نحو الإشارة .

## الأقوال في الموضوع

فيما يرتبط بولاية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في مجال الخلق والرزق ، أقوال ومذاهب مختلفة ، نستعرضها فيما يلي :

**القول الأول:**

رأي من يقول بأنَّ قدرة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ في طول قدرة الله تعالى ، وأهل البيت هم أوّل من خلق الله تعالى ، وبعد أن خلقهم أوكل إليهم تدبير جميع أمور الخلقة ، ومن جملة ذلك الخلق والرزق ، فجميع العالم ـ في نظر هؤلاء ـ مخلوقات لأهل البيت عليهم السلام ، وهم الذين يلون أمر خلقتهم وإماتتهم .

وهذا القول هو الذي تعرف به الغلاة المفوضة. ولا ريب أنّ هذا المعتقد شركٌ وكفرٌ بالله تعالى، والمعتقدون بهذا خارجون عن ملّة الإسلام، وهذا الاعتقاد شبيه باعتقاد اليهود الذين حكى القرآن اعتقادهم في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾[١].

**القول الثاني:**

رأي من يقول بأنّ الله تعالى أوجد الخلقة من أجل أهل البيت عليهم السلام، وأهل البيت هم واسطة الفيض، إلاّ أنهم ـ فيما عدا ذلك ـ لا دور لهم في الخلق والرزق، بل الله هو الذي يخلق يرزق من أجلهم وبسببهم.

**القول المختار**

إنّ كلا القولين قد حادا عن الصواب، فأصحاب القول الأوّل وقعوا في الإفراط والغلو، في حين أنّ أصحاب الرأي الثاني وقعوا في التفريط والتقصير.

والصحيح الذي نعتقده أنّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يمتلكون قدرة الخلق والرزق، ولكن لا بنحو مستقل، بل بواسطة فيض الله تعالى، وهذا الفيض مستمر متصل في كل آن، ولو أنّ فيضه تبارك وتعالى انقطع عنهم لحظةً لافتقدوا هذه القدرة. فقدرتهم ليست في عرض قدرة الله تعالى؛ فلا يلزم الشرك.

وليس القبول بهذه الفكرة أمراً مستعصياً بعد أن قام أنبياء الله تعالى ـ عليهم السلام ـ بخلق بعض المخلوقات كما جاء ذكر ذلك في القرآن الكريم، وكذلك

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٧٥، ص ٧٦٣. و*تحف العقول*، ص ٢٢٣.

أهل البيت ـ عليهم السلام ـ الذين مارسـوا في الجملة عمليـة الخلق أو تغيير الخلق .

ومثال ذلك أنَّ الإمـام الكاظم ـ عليه السلام ـ قام بخلق الأسد في مجلس هارون الرشيد ، كما قام الإمام الحسـن المجتبـى ـ عليه السلام ـ بتغيير ماهيـة الخلقة.. ولا ريب أنهم حيث فعلوا ذلك فإنهم تكفلوا بالرزق المادي والمعنوي أيضاً، ولكن ـ كما أسلفنا ـ في الجملة . ويبقى التساؤل عما إذا كانوا ـ عليهم السلام ـ يرزقون ويخلقون في الجمـلة أيضاً ، وهو ما نتوقّف فيه ونكل علمه إلى الله تعالى وإلى أهل البيت عليهم السلام .

**النكتة (٥٥)**: هل هناك فرق بين الخالقية والرازقية وغيرهما من الأسماء والصفات؟

لقد ثبت لدينا في البحوث الماضية أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يقدرون على جميع الأفعال، وأنهم مظهر لجميع أسماء الله تعالى وصفاته بما يعم العلم والرحمة والقدرة والخلق والرزق... وغيـرها . ولكن باسـتثناء الذات المقدسـة التي لا مجال لأحد إلى إدراكها . ولكن لما كان موضوع الخلق والرزق يتميـز بحساسية خاصة تجعله مثاراً للتساؤل والجدل ؛ ينبغي لنا أن نوليه عناية خاصة ، ونفرده بالدراسة والتحقيق، وإلاّ فلا فرق بين الخلق والرزق وبين سائر الأسماء والصفات ؛ فإنَّ أهل البيت ـ صلوات الله عليهم ـ يمثـلون تجلِّي جميـع الأسماء والصفات .

***

وفيما يلي نسوق الأدلة على الرأي المختار .

**الدليل الأول:**

الصغرى: لقد ورد في الآيات والروايات الكثيرة نسبةُ الخلق إلى أنبياء الله تعالى وملائكته عليهم السلام.

الكبرى: قد دلت الآيات والروايات على أنَّ المعصومين الأربعة عشر ـ عليهم السلام ـ ذوو منزلة تفوق منازل جميع أنبياء الله تعالى وملائكته عليهم السلام.

النتيجة: الأفضل لا بد أن يكون أفضل أو مساوياً للمفضول. فبناء عليه: نقطع أنَّ الأربعة عشر معصوماً ـ عليهم السلام ـ أيضاً قادرون على الخلق. أضف إلى أنهم قاموا بذلك عملياً.

أمَّا خالقية الملائكة؛ فإليك بعض ما يدل عليها:

ورد في الرواية أنَّ النطفة حين تستقر في الرحم، وبعد صيرورتها علقة ثم مضغةً؛ يبعث الله ملكين فيكلفهما خلقَ الإنسان؛ فقد جاء في الرواية عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ:

«**إذا وقعت النطفة في رحم؛ استقرت فيها أربعين يوماً، وتكون علقه أربعين يوماً، وتكون مضغة أربعين يوماً، ثمَّ يبعث الله مَلَكين خَلاّقين، فيقال لهما: اخلُقا كما يريد الله ذكراً أو أنثى، صوِّراه واكتبا أجله ورزقه ومنيَّته، وشقياً أو سعيداً...**» إلخ الرواية[١].

---

(١) *الكافي*، ج ١، ص ١٦.

فلاحظ أنَّ الله تعالى يفوض أمر الخلقة إلى ملكين ، وينسب إليهما عملية الخلق بكلمة «**اخلُقا**» .

وفي رواية أخرى عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ :

«**إنَّ الله فوَّض الأمر إلى ملك من الملائكة، فخلق سبعَ سماوات وسبعَ أرضين**»[1] .

**النكتة (٥٦)** : نفي التعارض بين القرآن والروايات

قال الله تعالى فيما يرتبط بالخلق والتصوير: ﴿**خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾[2]، فنسب الله تعالى الخلق والتصوير إلى نفسه ، بينما وجدنا في الروايات التي نحن بصددها أنَّ الخلق والتصوير منسوب إلى الملائكة.. فهل هذا يمثل تعارضاً بين القرآن والروايات؟

لا ريب أنه لا يوجد أي تناف بين المدلولين ؛ فإنَّه حين يتم بناء عمارة معينة ، فإننا ننسب البناء إلى المهندس الذي قام بالتخطيط النظري للمشروع ، كما يمكننا أن ننسب عملية البناء في الوقت نفسه إلى كبير البنائين الذي تولى تنفيذ المشروع برفقة العاملين تحت يده .

والأمر نفسه يجري في هندسة عالم الخلقة ؛ فإنَّ أصل الخلقة والإيجاد منسوب إلى الله تعالى ، والله تعالى هو الذي يُقدِر الملائكة على التنفيذ ، فيوجدون في ـ ظلّ وطول إرادته وإذنه ـ السماوات والأرضين .

---

(١) *وسائل الشيعة* ، ج ١ ، ص ١٠٢ .

(٢) *التغابن*، الآية ٣ .

وليس من الصحيح حمل النسبتين على الحقيقة والمجاز، بأن يُقال إن الخلق حقيقةً لله تعالى ، بينما الذي ينسب إلى غير الله تعالى هو على سبيل المجاز لا الحقيقة . بل الصحيح أنَّ الله تعالى يَكِلُ ويفوِّض حقيقةَ الخلق إلى الملائكة ، كما أنَّ المهندس المعمار يصدر أوامره للبناء فيتولى كبير البنّائين تنفيذ عملية البناء حقيقة .

***

أمَّا خالقية الأنبياء ؛ فمما ورد في ذلك قوله تعالى على لسان نبيه عيسى ـ عليه السلام ـ : **﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[1]، وقوله تعالى يخاطب عيسى ـ عليه السلام ـ أيضاً : **﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِي﴾**[2].

**النكتة (٥٧) :** العلاقة بين الولاية التكوينية وإذن الله تعالى

إنَّنا نلاحظ أنَّ مفردة (إذن الله) تكررت ثلاثة مرات في هاتين الآيتين ؛ والسر في ذلك أنه تعالى أراد تفنيد الوهم الذي يمكن أن يحدث في العقليات الضعيفة، فالمطلوب ألاّ ينسب ضعفاء العقول الربوبية إلى عيسى بن مريم عليهما السلام ، وحتى يتم التأكيد على أنَّ ما يصدر من نبي الله من فعل ، فهو ليس على نحو الاستقلال والاستغناء ، بل هو بإذن الله والقدرة المستمدة منه تبارك

---

(١) *آل عمران*، الآية ٤٩ .

(٢) *المائدة*، الآية ١١٠ .

وتعالى . والغرض من ذلك تنبيـه عامّة الناس إلى هذه النكتـة ، أي استناد ذلك إلى إذن الله تعالى ، ولولا ذلك لما كان من اللازم استعمال مفردة الإذن في الآية الكريمة ، والدليـل على ذلك أنَّ آصف بن برخيـا حين قال : ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] ، فإنه ـ عليه السلام ـ لم يقل «بإذن الله» ؛ والسـر في ذلك أنَّ المخاطَب هنا هو نبي الله سليمان عليه السلام ، وهو يعلم بكل وضوح أن قدرة وصيِّه آصف بن برخيـا هي من عند الله تعالى وبإذنه ، فلم يكن ثمـة داع لذكر الإذن .

وفي ضوء ذلك يمكننا أن نستنتج أنَّنا حيـن نتشـرف بزيارة المعصومين ـ عليهم السلام ـ فليس هناك داع لأن نقول للمعصوم : اطلب من الله أن يعطيني ، أو أن نقول : اشف مريضـي بإذن الله ؛ فإنَّ كل الأعمـال الصادرة من المخلوق إنما تكون بإذن الله تعالى ، ولا نتصور عملاً يتحقق بغير إذنه وفي ظل قدرته . بل الله تعالى حين أقدرهم ـ عليهم السلام ـ على الكرامة فقد أذن لهم بها ، وكما أنه تعالى أودع الشـفاء في القرآن الكريم ، فإنه كذلك جعل تربـة الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ شـفاء أيضاً ، فالله تعالى هو الذي أودع هذه الخاصيـة في تربة أبي عبد الله الحسين عليه السلام .

فالحاصل أنَّ عبارة (بإذن الله) حين ترد في الأدعيـة والزيارات أو الآيات القرآنية ، فالغرض منها هو تبديد الغلو وتفنيد نسبة الألوهية إلى الأنبياء والمعصومين عليهم صلوات الله .

---

(١) *النمل*، الآية ٤٠ .

**مكانة أهل البيت عليهم السلام**

اتفق علماء الإمامية على أنَّ الأربعة عشر معصوماً أفضل من جميع أنبياء الله وملائكته، ويقول العلامة المجلسي ـ رحمه الله ـ في هذا الصدد: «**لا خلاف بين الإمامية في أنَّ الأنبياء والأئمة ـ عليهم السلام ـ أفضل من جميع الملائكة**»[1].

**النكتة (٥٨)**: الفرق بين التعبير بـ (لا خلاف) والتعبير بـ (الإجماع)

إنَّ عبارة (لا خلاف) أقوى وآكد من عبارة (الإجماع)؛ لأنَّ الإجماع لا ينفي وجود المخالف، فيمكن وجود المخالف في الإجماع، وأمَّا التعبير بـ (لا خلاف) فيعبر عن انتفاء الخلاف، وبالتالي: الوفاق فيه أقوى وآكد.

***

وممَّا يدل على المطلوب قول النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**علماء أُمَّتي أفضل من أنبياء بني إسرائيل**»[2].

**النكتة (٥٩)**: من هم مصداق (**علماء أُمَّتي**)؟

إنَّ المقصود من (علماء أمَّتي): السادة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام؛ لأنَّ فضائل العلماء الربانيين نسبية في حين أن فضائل الأنبياء مطلقة. ولو أمكن القول بأفضلية العلماء الربانيين من بعض الجهات، فإنَّه لا يمكن

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٥٧، ص ٢٨٥.

(٢) *ليالي بيشاور*، ص ٤٧٣.

القول بذلك بقول مطلق ومن جميع الجهات . فعلى سبيل المثال : أنبياء الله تعالى يتميزون بالعصمة ، في حين أنَّ العلماء الربانيين ليسوا معصومين . ومن هنا يمكننا القول بأنَّ الرواية الأخرى التي لفظها: «**علماء أُمَّتي كأنبياء بني إسرائيل**» يمكن أن يكون المراد منها العلماء الربانيون .

***

**فضل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على أنبياء الله تعالى**

**«عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا جلوساً عند رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ إذ أقبل إليه رجل فقال: يا رسول الله؛ أخبرني عن قول الله عز وجل لإبليس: ﴿أستكبرت أم كنت من العالين﴾، مَن هم ـ يا رسول الله ـ الذين هم أعلى من الملائكة المقربين؟ فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، كنا في سرادق العرش نسبح الله فسبحت الملائكة بتسبيحنا قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بألفي عام. فلمَّا خلق الله عز وجل آدم، أمر الملائكة أن يسجدوا، ولم يؤمروا بالسجود إلاَّ لأجلنا، فسجدت الملائكة كلُّهم أجمعون إلاَّ إبليس أبى أن يسجد، فقال الله تبارك وتعالى له: ﴿يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدَيَّ أستكبرتَ أم كنت من العالين﴾[١] أي من هؤلاء الخمسة المكتوبة أسماؤهم في سرادق العرش. فنحن باب الله الذي يؤتى منه، وبنا يهتدي المهتدون، فمن أحبنا أحبه الله، ومَن أبغضنا أبغضه الله وأسكنه ناره، ولا يحبُّنا إلاَّ مَن طاب مَولدُه»**[٢].

---

(١) ص، الآية ٧٥ .

(٢) *بحار الأنوار*، ج ١١ ، ص ١٤٢ . *والقطرة* ، ج ١ ، ص ٨٤ .

**فضل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على ملائكة الله المقربين**

**«عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ يقول: افتخر إسرافيل على جبرائيل فقال: أنا خير منك، قال: ولم أنت خير مني؟ قال: لأنِّي صاحب الثمانية حملة العرش، وأنا صاحب النفخة في الصور، وأنا أقرب الملائكة إلى الله تعالى، قال جبرائيل ـ عليه السلام ـ : أنا خير منك، فقال: بمَ أنت خير مني؟ قال: لأنِّي أمين الله على وحيه، وأنا رسوله إلى الأنبياء والمرسلين، وأنا صاحب الخسوف والقذوف، وما أهلك الله أمَّةً من الأمَم إلاَّ على يدَيَّ، فاختصما إلى الله تعالى، فأوحى إليهما: اسكتا؛ فوعزتي وجلالي لقد خلقت من هو خيرٌ منكما، قالا: يا ربِّ أو تخلق خيراً منا ونحن خلقنا من نور؟ قال الله تعالى: نعم ، وأوحى إلى حجب القدرة: انكشفي، فانكشفت فإذا على ساق العرش الأيمن مكتوب: (لا إله إلا الله، محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين خير خلق الله) ، فقال جبرائيل: يا رب؛ فإني أسألك بحقهم عليك إلاَّ جعلتني خادمهم، قال الله تعالى: قد جعلت، فجبرائيل من أهل البيت وإنه لخادمنا»**(١).

وفي رواية أخرى: **«إنَّ الملائكة لخُدّامنا وخُدّام مُحبِّينا»**(٢).

وفي ضوء ذلك نقول إنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لمّا كانوا خيراً من الملائكة المقرّبين وأنبياء الله المرسلين ، وأفضل منهم وأقرب إلى الله تعالى ، فهم ـ لما كانوا كذلك ـ قادرون على كلّ ما يقدر عليه أولئك الملائكة والأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين .

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ١٦ ، ص ٣٦٤ .

(٢) *المصدر نفسه*، ج ١٨ ، ص ٣٤٥ .

وإضافة إلى الاستدلال بالأفضلية ؛ تشهد لصحة ذلك العديد من الروايات ، نستعرض منها ما يلي .

## خلق الأسد من قبَل الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام

روى ابن شهر آشوب ـ رحمه الله ـ في «**المناقب**» :

**«علي بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن ـ عليه السلام ـ ويخجله في المجلس، فانتدب له رجل معزم، فلما أحضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز، فكان كلَّما رام خادم أبي الحسن تناول رغيف من الخبز، طار من بين يديه، واستفز هارونَ الفرحُ والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن ـ عليه السلام ـ أن رفع رأسه إلى أسد مُصوَّر على بعض الستور، فقال له: يا أسد الله خذ عدوَّ الله، قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع، فافترس ذلك المعزم، فخرَّ هارون وندماؤه على وجوههم مَغشيًّا عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه، فلمَّا أفاقوا من ذلك بعد حين، قال هارون لأبي الحسن ـ عليه السلام ـ: أسألك بحقي عليك ؛ لمَّا سألت الصورة أن تردَّ الرجل، فقال ـ عليه السلام ـ: إن كانت عصا موسى ردَّت ما ابتلعته من حبال القوم وعصيِّهم فإنَّ هذه الصورة تردُّ ما ابتلعته من هذا الرجل»**[1].

ويحقُّ لنا أن نتساءل : إذا لم يكن ما صنعه الإمام الكاظم ـ عليه السلام ـ خلقاً ، فما عساه أن يكون؟ وبأيٍّ تسمية نسمِّيه؟

---

(١) *مناقب آل أبي طالب* لابن شهر آشوب ، ج ٣ ، ص ٤١٧ .

إنَّ أمثـال هذه الأعمـال في غاية اليسـر والسهولة بالنسبة إلى أهـل البيت عليهم السلام ، بل إنَّ أقلَّ المتمسكين بولايتهم والطاعمين من موائدهم ، تصدر منهم الكرامات المذهلة العجيبة .

## أولياء الله وإحياء الأموات

كان السيد القاضي ـ رحمه الله ـ يمشي في ساحة مسجد السهلة برفقة أحد الطلاب الذي يبدو أنه كان شاكاً في منـزلة وعظمة السيد القاضي ، فصادفا في ساحة المسجد حيَّةً ميتةً ، فقام السيد القاضي ـ رحمه الله ـ بتحريك الحيَّة بعصاه عدّة مَرّات ، فلم تُحرِّكْ الحيَّةُ ساكناً ، فخاطب السيد القاضي الحيَّةَ قائلاً : «**احيِ بإذن الله**» ، فدبّت الحياة في الحيَّة ، وبدأت بالحركة .

فقد قام السيد القاضي ـ رحمه الله ـ باستعمال مظهر من مظاهر (**يا محيي**) ، فاستطاع أن يرجـع تلك الحيـة إلى الحيـاة.. هذا وهو أحد أتبـاع أهل البيت ـ عليهم السلام ـ والمنتهلين من نمير علومهم والمستطعمين على موائدهم ، فكيف نستبعد بعد ذلك أن يمتلك أهل البيت ـ عليهم السلام ـ القدرة على الخلق؟

وفي ضوء ذلك نقول : إنَّ في المقام طائفتين من الروايات ، وهي من جهة تنسب الرزق والخلق ـ بواسطة أو بغير واسطة ـ إلى أهل البيت عليهم السلام . وممَّا ينبغي التسليم به أنَّهم مارسوا ذلك في الجملة، فأما الخلق بالتفصيل وبالجملة، فهو ما نكل علمه إلى الله تعالى والمصطفين من عباده، ونتوقف فيه، والله العالم .

***

**الدليل الثاني:**

ومن الأدلة على الرأي المختار: حديث المشيئة، وهو ما تمسك به آية الله السيد «زين العابدين الأبرقويي»، وهو من أساطين العلماء، وذهب إلى أنَّ جميع الأشياء مخلوقة بالأيدي المباركة لأهل البيت عليهم السلام[1].

ونص حديث المشيئة كما يلي:

عن أبي عبد الله ـ عليه السلام ـ قال: «**خلق الله المشيئة بنفسها، ثم خلق الأشياء بالمشيئة**»[2].

**النكتة (٦٠)**: ما هو المقصود بالمشيئة؟

هنا استفهامان ينبغي لنا أن نجيب عنهما:

**الاستفهام الأوّل:** ما هي المشيئة التي خلقها الله تعالى بصورة مباشرة ومن دون واسطة وبغير وسائط وأسباب؟

**الاستفهام الثاني:** ما هي الباء التي دخلت على المشيئة في الحديث وبأي معنى هي؟

في سبيل الإجابة عن الاستفهام الأوّل؛ يقول آية الله الأبرقويي إنَّ المشيئة هي عبارة عن أهل البيت عليهم السلام، وذلك للعديد من الروايات التي تدل

---

(١) *ولاية المتقين*، ص ١١٤ و ١٣١. وقد أثنى آية الله الميرجهاني في كتاب *الولاية الكلية*، ص ٣٩٩، أثنى مع التعظيم والتبجيل على آية الأبرقويي، ووافقه على استدلاله وتصدى لشرحه وتبيينه.

(٢) *بحار الأنوار*، ج ٥٤، ص ٥٦.

على أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم الصادر الأوّل، أي أوّل ما خلق الله تعالى .

ومن تلك الروايات ما عن الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ قال :

**«قال الله تبارك وتعالى: يا محمد؛ إنّي خلقتك وعلياً نوراً، يعني روحاً بلا بدن قبل أن أخلق سماواتي وعرشي وبحري...»**[1].

***

**النكتة (٦١) :** تقدُّم الخلقة

إنَّ خلق السماوات والأرضين كان قبل خلق الإنسان والملائكة وغيرهما، وإلاّ فإن لم توجد السماوات والأرضون، فأين تسكن تلك المخلوقات؟

***

ومن الروايات أيضاً ما عن محمد بن سنان ، قال :

**«كنتُ عند أبي جعفر الثاني ـ عليه السلام ـ فأجريت اختلاف الشيعة، فقال: يا محمد؛ إن الله تبارك وتعالى لم يزل متفرداً بوحدانيته، ثمَّ خلق محمداً وعلياً وفاطمة، فمكثوا ألف دهر، ثم خلق جميع الأشياء»**[2].

**النكتة (٦٢) :** ما هو المقصود بالدهر؟

إنَّ المقصود بالدهر : الفترة الزمنية الطويلة ، ولكن لا بسنين الدنيا . كما أنَّ المقصود بالأشياء جميع المخلوقات بما يشمل الإنسان والملائكة والجن وغيرها .

---

(١) *الكافي*، ج ١ ، ص ٤٤٠ .

(٢) *المصدر نفسه*، ج ١ ، ص ٤٤١ .

فالشيء كلمة عامَّة لكل موجود، ومن هنا يُقال في الفلسفة: «**كلُّ شيء موجودٌ، وكلُّ موجود شيءٌ**».

***

ومن الروايات أيضاً ما عن جابر أنه قال:

«**قال لي أبو جعفر ـ عليه السلام ـ: يا جابر؛ إنَّ الله أوّلَ ما خَلَقَ خلقَ محمداً ـ صلى الله عليه وآله ـ وعترته الهُداة المُهتدين**»[1].

**النكتة (٦٣): من هو أوّل مخلوق؟**

يعتقد آية الله حبيب الله الكاشاني ـ رحمه الله ـ فيما يرتبط بهذا الموضوع أنَّ النظرة الأولية في الروايات المتعددة تنتهي بنا إلى القول بأنَّ هناك عدة أشياء ذكرت في الروايات كأوّل مخلوق لله تعالى، ففي رواية أنَّ أوّل مخلوق هو العقل، وفي رواية أخرى: العلم، وفي روايات أخرى: النور، والقلم، واللوح، والعرش، والروح، والمشيئة... إلخ. فما هو حل هذا التعارض؟

في الحقيقة لا يوجد أي تعارض بين مفاد هذه الروايات، بل الصادر الأوّل ـ بغير شك ـ هم أهل البيت عليهم السلام، وما ذكر مما عداهم فهو في الحقيقة من شؤونهم ومما يرتبط بهم ويرجع إليهم عليهم السلام، فهم العقل، وهم النور المطلق، والماء الذي هو مصدر الحياة هو من شؤونهم؛ لأنهم ـ عليهم السلام ـ عنصر الحياة ومادتها بالنسبة إلى العالم، والعلم والروح والعرش جميعها

(١) *المصدر نفسه*، ج ١، ص ٤٤٢.

تتلخص في وجودهم المبارك. فيتضح من ذلك أن الروايات صحيحة كلها، ولا تعارض بينها؛ ولذا يقولون: أنا اللوح، أنا القلم و... لأنهم أوّل ما خلق الله تعالى.

نظير ذلك ما يقال في تفسير «**الكوثر**»؛ فقد ورد في الروايات تفسير هذه المفردة بالعلم والنهر والشفاعة... وغير ذلك، وفي نفس الوقت نجد بالنص الصريح في القرآن الكريم أن المراد بالكوثر هي السيدة الزهراء سلام الله عليها. وفي الحقيقة أن جميع ما ذكر في الروايات من معان للكوثر، يتلخص في ذات الزهراء سلام الله عليها، ويرجع إليها ويُعَدّ من شؤونها.

إنّ العرش خُلق من نور النبي صلى الله عليه وآله، والملائكة من نور أمير المؤمنين عليه السلام، والسماوات والأرضون من نور الزهراء عليها السلام، والشمس والقمر من نور الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، والجنة والحور العين من نور سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام. فكل ما عدا الله من الوجود هو في الحقيقة من بركة أهل البيت عليهم السلام.

***

### معاني البـاء

لقد قرأنا في الحديث أنّ المشيئة هي أوّل ما خلق الله تعالى، وقد عرفنا أن المراد بها أهل البيت عليهم السلام، وفي الحديث نفسه ورد التعبير بـ«**ثم خلق الأشياء بالمشيئة**». ونريد هنا أن نعرف معنى هذه الباء الداخلة على المشيئة.

والمعاني المتصورة على الترتيب التالي:

**المعنى الأول:** باء الآلة، كالتي في قولك: «**كتبت بالقلم**»، فإنّ القلم أداة وآلة للكتابة، والكتابة تنسب إلى فاعلها، لا إلى القلم. ومن الواضح أنّ هذا المعنى

للبـاء لا يصح افتراضه في حديث المشـيئة ؛ لأنَّه لا يتناسب مع المقام السامي لأهـل البيت عليهم السلام ، في حين أنَّ الرواية في مقام بيان فضلهم وشريف منزلتهم ، فكيف يصحُّ أن يكون الحديث دَالاً على أنَّهم مُجرّد أداة وآلة للخلق بغير أي مدخلية وفاعلية حقيقية .

**المعنى الثاني:** باء الاستعانة ، كالتي في قولك : «**جئت بزيد**» ، فإنَّ معناه : جئتُ بمعونـة زيد ، وهذا المعنى أيضاً غيـر صحيح ، بل هو موجب للكفر والشرك ؛ لأنه يعني القول بأنَّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ استعان بأهل البيت ـ عليهم السلام ـ في الخلق والإيجاد ، كما أنه يتنافى مع صدر الحديث .

**المعنى الثالث:** باء السببية ، والتي تأتي على نحوين :

( أ ) السبب المتصل ، نحو «**سخن الماء بالشمس**» ، فإنَّ معناه أنَّ الماء سخن بسبب الشمس ، والشمس لها فاعلية ومدخلية مباشرة في تحقق الفعل .

(ب) السبب المنفصل ، نحو «**بالعلماء يرفع البلاء**» ، أي بسبب العلماء يرتفع البـلاء ، والعلماء هنـا لا يؤثرون بصورة مباشـرة ، بل الله تعالى هو الذي يرفع البـلاء بسبب وجود العلماء .

والمعنى الثالث ، أي السببية ، ينسجم مع الحديث تماماً ، كما ينسجم أيضاً مع الآيات والروايات .

قال الإمـام الصـادق ـ عليه السلام ـ : «**أبى الله أن يجري الأمور إلاَّ بأسباب فجعل لكل شيء سبباً**»[1] .

---

(١) *المصدر نفسه* ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

فكما أنَّ الله تعالى لا ينزل رزق الإنسـان بصورة مباشـرة من السماء، بل يجعل له سلسلة من الأسباب، فكذلك جعل أهل البيت ـ عليهم السلام ـ سبباً لخلق العالم، وهذا هو الفهم الصحيح.

إنَّ الله تعالى قال لآدم ـ عليه السلام ـ: «**لولاهم لما خلقتك ولا خلقت الجنة والنار ولا السماء والأرض**»[1].

وقال تعالى: «**لولاك لما خلقت الأفلاك**»[2].

ويقول آية الله «الأبرقويي» في تتمة كلامه: إذا اعتبرنا الباء سببية من نحو السبب المنفصل؛ يلزم من ذلك عدم الفضل لأهل البيت عليهم السلام، فلا بد من اعتبار الباء سببية متصلة، ليكون مؤدى ذلك أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ذوو مدخليـة مباشـرة في عملية الخلق، وأنهم خالقـو السـماوات والأرضين.. وغير ذلك.

ولكننا نرى أن ما ذكره غيـر تام؛ لأنَّ الالتزام بالسبب المنفصل لا يوجب نفي فضل أهل البيت في الروايات بل لا يوجب وهناً فيه أيضاً، بل هذه بنفسها فضيلة كبيـرة، أن يكون العالم قد خلق لأجلهم، ويكون الجميـع مستطعمين على موائد بركتهم الفاضلة.

وهو ما نراه أكثر انسجاماً مع مدلول الروايات.

فمن الروايات حديث الكساء الشريف الذي جاء فيه:

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ١٦، ص ٣٦٢.

(٢) *المصدر نفسه*، ص ٤٠٥.

**«وعزَّتي وجلالي؛ إنِّي ما خلقتُ سماء مَبنيَّةً، ولا أرضاً مَدْحيَّةً، ولا قَمَراً مُنيراً، ولا شـمساً مُضيئةً، ولا فَلَكاً يدورُ، ولا بَحْراً يَجْري، ولا فُلْكاً يَسْـري، إلاَّ لأجلكم ومَحَبَّتكم»**(١).

على أنَّ بعض الأدعية والروايات قد تفيد تقوية السببية المتصلة أيضاً، نحو: **«أين السبب المتصل بين الأرض والسماء»**(٢)، ونحو: **«والرحمة الموصولة»**(٣).

فلو قال الرحمة المفصولة ؛ لكان معناه لأجلكم، ولكنه قال **الرحمة الموصولة**، وهذا يعني أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على اتصال برحمة الله تعالى.

فتحصل من الروايات أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم واسطة فيض الله تعالى بالنسبة لجميـع الكائنات والمخلوقات في الوجود ، ومن طريقهم تنتشر الفيوض كلها ، وهم حلقة الوصل بين الخالق والمخلوق ، وهم أنفسهم ـ عليهم السلام ـ في مقام غاية القرب وتمام الاتصال بالذات المقدسة .

### اختلاف الشيعة وجواب الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه

إنَّ آية الله السيد محمد تقي الموسوي الأحمد آبادي الأصفهاني ، عقد في كتابه الشريف **«مكيال المكارم»** باباً ـ وهو الثالث ـ بعنوان «في نبذة من حقوقه ـ عليه السلام ـ علينا ومراحمه علينا» ، أي حقوق الإمام المهدي عجل الله تعالى

---

(١) *مفاتيح الجنان*، حديث الكساء الشريف .

(٢) *دعاء الندبة* .

(٣) *الزيارة الجامعة الكبيرة* .

فرجه ، وهناك عنـوان الحقّ الأول بـ «**حق الوجود**» ، وتحته ذكر عدة روايات ، ونقل عن كتاب الاحتجاج هذه الرواية :

«اختلف جماعة من الشيعة في أنَّ الله عز وجل فوّض إلى الأئمة ـ صلوات الله عليهم ـ أن يخلقوا ويرزقوا ، فقال قوم : هذا محال لا يجوز على الله تعالى ؛ لأنَّ الأجسام لا يقدر على خلقها غيرُ الله عز وجل ، وقال آخرون : بل الله أقدر الأئمَّةَ على ذلك وفوَّض إليهم ، فخلقوا ورزقوا ، وتنازعوا في ذلك نزاعاً شديداً. فقال قائلٌ : ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمد بن عثمان ؛ فتسألوه عن ذلك ليوضح لكم الحق فيه ؛ فإنَّه الطريق إلى صاحب الأمر ، فرضيت الجماعة بأبي جعفر وسلمت وأجابت إلى قوله . فكتبوا المسألة وأنفذوها إليه ، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته : **إنَّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسَّم الأرزاق ؛ لأنه ليس بجسم ولا حالٍّ في جسم ، ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير . وأمَّا الأئمة ـ عليهم السلام ـ فإنَّهم يسألون الله تعالى فيخلق ، ويسألونه فيرزق ؛ إيجاباً لمسألتهم وإعظاما لحقهم**»[1].

وروي عنـه ـ عجل الله تعالى فرجه ـ أنه قال : «**نحن صنائع ربنـا، والخلق بعد صنائعنا**»[2].

فالحصيلة أنَّ الأئمة الأطهار ـ عليهم السلام ـ واسطة فيض الله تعالى بالنسبة إلى جميع المخلوقات ، أو نقول أنَّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ يمثلون العلة

---

(١) **_مكيال المكارم_**، ج ١ ، ص ٧١ .

(٢) **_بحار الأنوار_**، ج ٥٣ ، ص ١٧٨ .

الغائيـة للخلقة ، فما هو موجـود إنما هو لأجلهم ، وهو ما يؤيـد الوجه الثاني لرواية أمير المؤمنين ـ عليه السلام ـ حيث قال : «**فإنا صنـائع ربنا، والنـاس بعد صنائع لنا**»[1].

ومن معاني الصناعة : التربية ، أي نحن الذين ربّانا الله تعالى ، والناس تلقوا التربية منا ؛ وذلك نظير قوله تعالى : ﴿**وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي**﴾[2].

## جريان الأرزاق على أيدي أهل البيت عليهم السلام

روى الشيخ الصفار ـ رحمه الله ـ في البصائر بسنده عن أبي حمزة الثمالي ، قال :

«**كنت عند علي بن الحسـين ـ عليهما السلام ـ وعصـافير على الحائط قبـالته يصحن، فقال: يا أبا حمزة؛ أتدري ما يقلن؟ قال: يتحدثن أنَّ لهن وقتـاً يسـألن فيه قوتهن، يا أبا حمزة لا تنامنَّ قبـل طلوع الشمس فانى أكرهها لك ان الله يقسم في ذلك الوقت أرزاق العباد وعلى أيدينا يجريها**»[3].

## من هم أسماء الله الحسنى؟

قال الله تبارك وتعالى : ﴿**وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾[4].

---

(١) *نهج البلاغة* ، الرسالة ٢٨ .

(٢) *طـه* ، الآية ٤١ .

(٣) *بصائر الدرجات* ، ج ٧ ، ص ٣٦٣ . وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٤٦ ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ، برقم ٥ .

(٤) *الأعراف* ، الآية ١٨٠ .

وقال الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ : «**نحن والله الأسـماء الحسنى الذي لا يقبل من أحد إلاّ بمعرفتنا، قال: فادعوه بها**»[١].

إنَّ لله تعالى في دعـاء الجوشـن الكبير ألفَ اسم وواحداً (١٠٠١)، وهي الأسماء اللفظيـة له تبارك وتعالى، وأما الأسماء الحقيقية لله تعالى فتتمثـل في أهل البيت الطاهرين عليهم السلام.

لقد قيل في تعريف الاسم: الاسم ما أنبأ عن المسمَّى[٢].

إنَّ جميع أسماء الله تجلّت في الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام؛ فهم مظهر جميع الأسماء والصفات.

إنَّ المَظهَر لا بد أن يكون قادراً على أن ينـوب عن المُظهر، فلما كان الله تعالى المحيي والمميت والشافي والوافي والخالق والرازق... إلى آخـر الأسماء والصفات، فإن أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هم مَظهَرٌ لتلك الأسماء والصفات، وهم قادرون على جميـع الأعمال، وهم في الجمـلة قاموا بإبراز مجموعة من الأعمـال في العديد من الموارد حيث اقتضت المصلحة، ولكن لا في جميـع الأحوال والموارد.

إنَّ المهم في الأمر أنهم ـ عليهم السلام ـ كانوا ولا يزالون يمتـلكون هذه القدرة، وهذا هو المقصود، لا أنهم قد استعملوا هذه القدرة على وجه الجزم والقطع. في الحقيـقة أنَّ امتـلاك القدرة أهمٌّ من التنفيـذ عمليـاً؛ لأنَّ استعمال

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٩١، ص ٦. نقلاً عن تفسير العياشي.

(٢) *أصول الفقه* للشيخ المظفر.

القدرة قد لا يكون موافقاً للمصلحة ، بل كثيراً ما تكون المصلحة تقتضي عدم إعمال القدرة . إنَّ من يمتلك الاسم الأعظم ولكنه لا يستعمله ، فذلك يعبر عن عظمته ومبلغ قدرته ، وهكذا هم أهل البيت عليهم السلام .

**حصيلة البحث**

يقول آية الله الميرجهاني[١] ـ رحمه الله ـ :

لقد ثبت بدليل الكتاب السماوي وأحاديث حُجج الله ودلالة العقل النيِّر ، جوازُ وصحّةُ نسبة الخلق والإماتة والإحياء وغير ذلك إلى الملائكة والأنبياء عليهم السلام ، ولا يلزم من ذلك كفرٌ أو شركٌ . كما ثبت أيضاً أن الأئمة الأطهار من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ أفضل من جميع الملائكة وجميع الأنبياء باستثناء خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله . وثبت بالأولوية أيضاً جواز وصحة نسبة ذلك إلى الأئمة الأطهار عليهم السلام ، ولا يلزم منه شركٌ . فيثبت أنهم ـ عليهم السلام ـ السبب المتصل والواسطة النافذة في وصول كل فيض إلى جميع المخلوقات الأرضية والسماوية ، من فيض وعلم وجود ورحمات وأرزاق ، وصولاً إلى ما يُقدّر من الآجال والأمراض والنقمات وغير ذلك من المقدّرات .

وما ورد عنهم ـ عليهم السلام ـ من أنهم قالوا : «**إنَّ أمرنا صعبٌ مستصعب، لا يحتمله إلاَّ مَلَكٌ مُقرَّبٌ أو نبيٌّ مُرسَلٌ أو عبدٌ مؤمنٌ امتحنَ اللهُ قلبَهُ للإيمان**»[٢] ،

---

(١) *ولايت كليه* ، ص ٤١٠ .

(٢) *بحار الأنوار* ، ج ٢ ، ص ٧١ .

فالمراد به هذا النوع من الفضائل، مما يصعب ويثقل عليك حتى النظر في الأخبار والأدلة المتعلّقة به، فضلاً عن أن تقبل وتعتقد به.

وفي حديث آخر ورد بدلاً من «أمرنا»: «حديثنا» أو «سرّنا»، حيث المراد أمرهم عليهم السلام. وليس كما توهم البعض من كون أحاديثهم ـ عليهم السلام ـ متعسرة الفهم إلاّ على هذه الطوائف الثلاث؛ فإنّ هذا الوهم يستلزم الباطل إضافة إلى أنه لا ينسجم مع ظاهر الحديث.

ولا يخفى على أولي الألباب، ولا ينبغي أن يشتبه عليهم الأمر، ولا بد أن يعلموا أن الممكن لا يمكن أن يصير واجباً، والواجب لا يمكن أبداً أن يصير ممكناً، لا بالحقيقة، ولا بالحلول، ولا بالاتحاد؛ فإنّ هذا الأمر محالٌ.. إنّ المصنوع لا يمكن أن يستحيل صانعاً، والصانع لا يمكن أن يتّحد مع صانعه.

وكمثال: لا يمكن أن يتحول الخَزّاف أن بمرور الزمان إلى جرّة، كما لا يمكن للجرّة بالرياضة والمشقّة أن تتحوّل إلى خَزّاف.. إنّ المصنوع مهما كان بديعاً وصالحاً، حتى ولو كان العقل الأول ونور الأنوار، فإنّه ـ مهما بلغ من الكمال ـ يبقى في حدّ المصنوع، ولا يصير صانعاً.

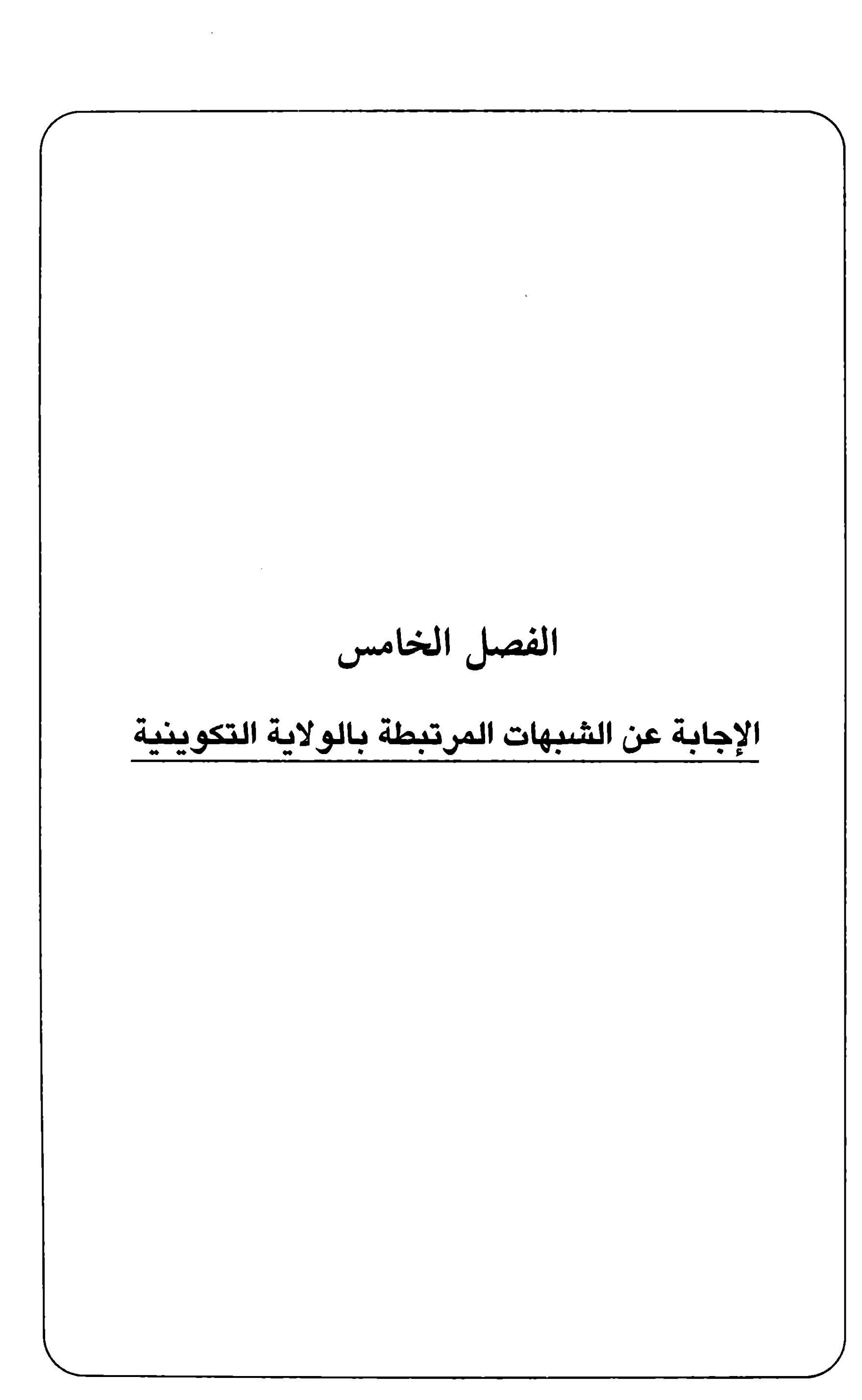
إنّ البعض وبسبب عظمة المضمون مع دقته، وظهور آثار الصفات والأسماء من مَظاهرها، وقعوا في وهم كبير، حيث تصوّروا أنّ المعصومين ـ عليهم السلام ـ هم الذين صنعوا وخلقوا الأشياء، في حين أنّ جماعة أخرى أنكروا هذه الفضائل والمقامات التي هي من لوازم الولاية العامة؛ وذلك بسبب قصر في النظر، وعمًى في القلب، والبعد عن أهل المعرفة، وعدم الاطلاع على

الأخبـار والآثار ، والتأثر بما كتبه وقاله الآخرون من أعداء أهـل البيت الأطهار عليهم السلام .

واعلم أيضاً أنَّ الله تعالى لا شريك له في كل وقت وفي كل مرتبة ، لا في الخالقية ولا في الألوهية ، ولا في الربوبية.. إلهاً واحداً أحداً فرداً صمداً، لم يتخذ صاحبـة ولا ولـداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وكبِّره تكبيراً. والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[1].

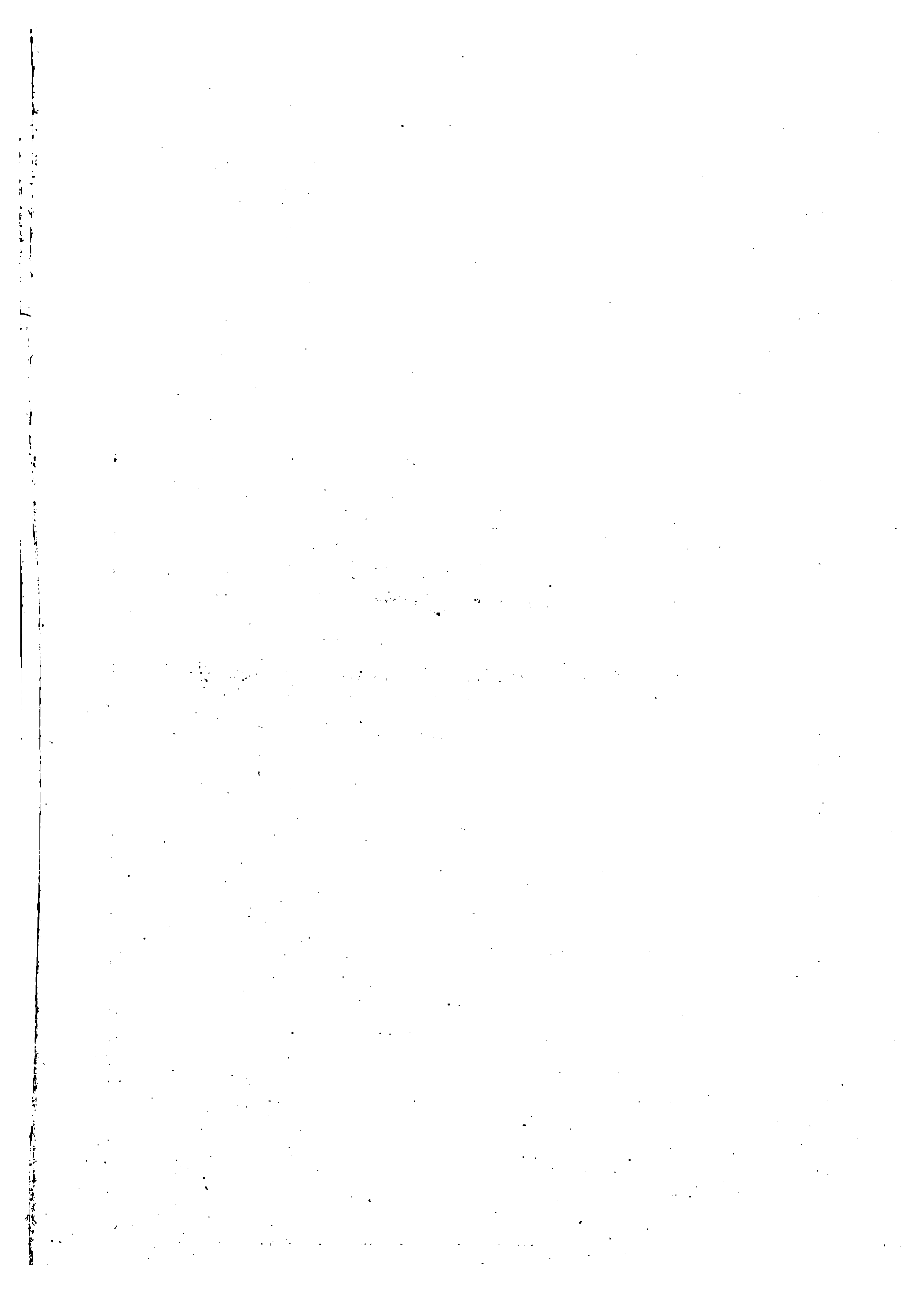
***

(١) *ولايت كليه* ، ص ٤١٢ .



# الفصل الخامس

## الإجابة عن الشبهات المرتبطة بالولاية التكوينية



# الإجابة عن الشبهات المرتبطة بالولاية التكوينية

إنّ منكري فضائل أهل البيت على قسمين:

**القسم الأوّل:** أعداء أهـل البيـت عليهم السلام. وهؤلاء لا يألون جهداً في إنكار الفضائل عالمين عامدين.

**القسم الثاني:** مرضى القلوب من مُحبِّي أهل البيت عليهم السلام.

والذين هم من القسم الثاني يقومون بذلك بسبب أمراض نفسية يعانون منها، فيذكرون أموراً هي مدعاة للأسف، ومن المؤسف أنّ بعض السذّج والبسطاء من المؤمنين يتّبعونهم بغير دراية ولا علم[1].

---

(١) يؤسفنا أن نقول إنه صار شائعاً في هذه الأيام أن بعض من ينتسبون إلى أهل العلم لأسباب يحسن بنا ألا نذكرها، يقومون باختبار وتجربة قدراتهم العلمية عن طريق التشكيك في الأحاديث والروايات والأدعية والزيارات والأماكن المقدسة. وكما أنّ هناك مَن ينجر مع الأجواء التسطيحية للعوام، فإنّ هؤلاء يعيشون حالة التشكيك في أصل كل شيء، ويثيرون كل ساعة علامة استفهام حول أصل من أصول الشيعة، أو ينكرونها، فتارة يشككون في حديث الكساء، وتارة يشككون في زيارة عاشوراء، وفي زيارة الناحية المقدسة، وفي مسجد جمكران المقدس، وفي كفر معاندي وغاصبي حقّ المولى سلام الله عليه، حتى إنّ تشكيكاتهم طالت دعاء الندبة ونهج البلاغة والزيارة الجامعة الكبيرة، والله أعلم بما سيتطاولون عليه فيما بعد من أصول الشيعة. وإنه ليحق لنا أن نتساءل عما إذا كان في شيء من هذه الموارد تعارض من حيث اللفظ والمضمون مع الآيات والروايات والأصول المسلمة عند الشيعة؟ وما هو الضرر الذي تجره على الإسلام

وممّا لم يسلم من تطاول أهل الشبهات: مبحث الولاية التكوينية لأهل البيت الطاهرين عليهم السلام ، بالرغم من أنّ هذه العقيدة مَبنيَّة على أسُس متينة قطعية من القرآن والسنة والأدلة العقلية . ومن دواعي العجب أنهم حاولوا الاستدلال بآيات من القرآن الكريم في سبيل نفي الولاية التكوينية . وقد قام أحد هؤلاء الذين هم مرضى قلوب كما عبر القرآن الكريم حيث قال : ﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً...**﴾[1]، قام بتأليف كتاب أورد فيه مجموعة من الآيات القرآنية مع بترها صدراً وذيلاً ، وتفسيرها بالرأي ، مع استدلال مغلوط وبعيد عن العقلانية ، في سبيل أن ينفي الولاية التكوينية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وبتبع ذلك عن أئمة الهدى من أهل البيت عليهم السلام .

وفي هذا الفصل نريد أن نستعرض مزاعمه، ونذكر مناقشات العلامة الميرجهاني ـ رحمه الله ـ في الردّ عليه .

***

وأهله حتى يتفرغ هؤلاء المحققون لمجابهتها وإبطالها؟ وهل إذا نجحوا في إبطالها ستُحل مشاكل الإسلام والمسلمين؟ ألم تعد لدى المسلمين مشكلة يعالجونها ما عدا هذه الأدعية والزيارات على الرغم مما فيها من المضامين السامية والمعاني العالية والأسانيد المتقنة؟ إنّنا لا نريد أن نقلل من قيمة جانب الصدور والدراسة السندية، إلاّ أنّ هذا النوع من الدراسات له أهله وميدانه التخصصي ، ومن المرفوض أن يتم طرحه بصورة تسطيحيه من المنابر والمنائر.. اللهم اجعل عواقب أمورنا خيراً.

(١) *البقرة* ، الآية ١٠ .

**الآية الأولى:**

استدل صاحب الشبهات بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1].

فزعم صاحب الشبهة أنَّ كلمة «**شيء**» نكرةٌ في سياق النفي، فتفيد العموم، فيكون معناه أنَّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ ليس على مسؤوليته شيءٌ من الأمور التكوينية، فتبقى الولاية التشريعية وتنتفي الولاية التكوينية بالعموم.

وأجاب العلاّمة الميرجهاني ـ رحمه الله ـ بقوله :

إنَّ ترجمته لا تخلو من إشكال؛ فإنه ترجم كلمة «**الأمر**» إلى «**الأمور**»، كما أنه فسر كلمة «**لك**» بـ «**عليك**»، أو أضاف بجانب «**لك**» : «**عليك**». ولو صح فهمه لكان المتن هكذا: «**ليس لك ولا عليك من الأمور شيء**»، وهو خلاف المتن والمقصود. والصحيح أنَّ المراد من كلمة «**الأمر**» ليس جميع الأمور؛ لأنَّ اللام فيها للعهد، أي الأمر الذي تمت الإشارة إليه في الآيات التي سبقت هذه الآية، وقد أشار إليه المفسرون أيضاً، وهو ما ينسجم مع سبب النزول.

فالآيات التي قبل هذه الآية تتحدث عن المشركين في معركة «بدر». فالشيطان وسوس للمشركين وجعلهم يفكرون في القضاء على الإسلام. فقال الله تعالى أنَّ هذا الذي قمنا به، كان لإهلاك فريق من الكفار، ومن نجا منهم من القتل رجع حزينًا قد ضاقت عليه نفسه، يَظهر عليه الخزي والعار، ومن بقي على كفره يعذبه الله في الدنيا والآخرة بسبب ظلمه وبغيه، ولعل بعض

(١) *آل عمران*، الآية ١٢٨.

هؤلاء الذين قاتلوك تنشرح صدورهم للإسلام فيسلموا، فيتوب الله عليهم.

فأراد الله تعالى ألاّ يتحمل النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ تبعة مقتل المشركين، وكذا ألاّ يصاب المسلمون بالغرور، فقال تبارك وتعالى: إنَّ جميع ما وقع كان بفعل الله تعالى، وليس بيدك.

ونظير هذا الأسلوب: ما قاله الإمام الخميني ـ رحمه الله ـ بعد تحرير «**خرمشهر**»، حين قال: «**إنَّ خُرّمشهر حرَّرها الله تعالى**».

إذاً فلفظ «**شيء**» وإن كان نكرة في سياق النفي، إلاّ أنَّه مُقيَّد بكلمة «**من الأمر**»، أي أنَّ الذي نُفي عن النبي هو ضمن الأمر المعهود الذي تتحدث الآيات عنه، وليس جميع الأمور. والأمر المعهود في ضوء الآيات السابقة إمَّا هو النصر، أو هو إشارة إلى الأمور الأربعة: (القتل)، (الذلة)، (قبول التوبة)، (العذاب).

فيتضح ممَّا ذُكر أنَّه لا علاقة للآية الكريمة بالولاية التكوينية؛ فلا يصح الاستدلال بها لنفي الولاية التكوينية من أساسها، بخلاف ما توهمه هذا الشخص مريض القلب، أو افتعله اختلاقاً للشبهة.

## سبب نزول الآية في ضوء الروايات

عن جابر الجعفي، قال: قرأت عند أبي جعفر ـ عليه السلام ـ قول الله عز وجل: ﴿**ليس لك من الأمر شيء**﴾، قال: بلى، والله إنَّ له من الأمر شيئاً وشيئاً وشيئاً، وليس حيث ذهبت، ولكني أخبرك أنَّ الله تبارك وتعالى لمَّا أمر نبيه ـ صلى الله عليه وآله ـ أن يظهر ولاية علي عليه السلام، فكّر في عداوة قومه له،

ومعرفته بهم، وذلك للذي فضله الله به عليهم في جميع خصاله ؛ كان أوّل مَن آمن برسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ وبمن أرسله ، وكان أنصر الناس لِلّه ولرسوله، وأقتلهم لعدوهما، وأشدهم بُغضاً لمن خالفهما ، وفضل علمه الذي لم يساوه أحد ، ومناقبه التي لا تحصى شرفاً ، فلما فكّر النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ في عداوة قومه له في هذه الخصال وحسدهم له عليها ضاق عن ذلك ، فأخبر الله أنَّه ليس له من هذا الأمر شيء ، إنما الأمر فيه إلى الله أن يصير علياً ـ عليه السلام ـ وصيَّه ووليَّ الأمر بعده ، فهذا عنى الله . وكيف لا يكون له من الأمر شيء وقد فوض الله إليه أن جعل ما أحل فهو حلال ، وما حرم فهو حرام ، قال : ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[1] .

**النكتة (٦٤)** : القرآن الكريم ظنِّي الدلالة

إنَّ القرآن الكريم قطعي الصدور ظنِّيُّ الدلالة ، ومعنى ذلك أنَّه وإن كان من حيث الصدور قطعياً لا يتطرق إليه الريب والشك ، إلاّ أنه من حيث الدلالة حمّال أوجه ؛ وذلك بسبب عموم بعض الآيات ، أو بسبب سموّ مضامينه ، أو غير ذلك من الأسباب .

ولذلك كانت الحاجة إلى المبيِّن الذي يعيِّن الوجه الصحيح من الدلالة ، وهم الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام .

وفي هذا يقول الله تبارك وتعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ**

---

(١) *آل عمران* ، الآية ١٢٨ .

**مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ...﴾**[(١)].

ومن هنا قال الله تعالى فيما يرتبط بالمُبيِّن المفسِّر للقرآن الكريم: **﴿...وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾**[(٢)].

إنَّ القرآن الكريم يشتمل على الشفاء من كل داء، ففيه علاج لكل الأمراض والأسقام، وعلى مختلف أنواع الأسقام والآلام. بيد أنه لا بد من الطبيب الذي يشخّص الداء والدواء للمحتاجين. ومن هنا كان القرآن الكريم غير قادر لوحده ومن دون اقترانه بأهل البيت ـ عليهم السلام ـ على تلبية حاجات المجتمع وهدايتهم بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ ولذا قال النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ: «**إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[(٣)].

إنَّ الإمام علياً ـ عليه السلام ـ حين بعث عبد الله بن عباس لمحاججة الخوارج؛ أوصاه قائلاً: «**لا تخاصمهم بالقرآن؛ فإنَّ القرآن حمَّال ذو وجوه، تقول ويقولون... ولكن حاججهم بالسنَّة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصاً**»[(٤)].

إنَّ من الممكن الإفادة والاستدلال بالقرآن الكريم مع أناس عقلاء منصفين، إلاّ أنه من غير الممكن بناء جميع أصول الاستدلال بآيات القرآن الكريم، بل تبرز الحاجة حينئذ إلى الروايات الشريفة أيضاً. كما أنه لا يمكن في إطار

---

(١) *آل عمران*، الآية ٧.

(٢) *الحشر*، الآية ٧.

(٣) *وسائل الشيعة*، ج ٢٧، ص ٣٣.

(٤) *نهج البلاغة*، الرسالة ٧٧.

المتشابهات التمسك بالقرآن الكريم . ومن هنا يتضح الوجه الذي جعل غاصبي الخلافة يرفعون شعار «**حسبنا كتاب الله**»[١]، ويمنعون رواية الحديث ؛ تمهيداً منهم لإنكار آيات الولاية ، وتوطئةً لطرح المحتملات والوجوه الدلالية الأخرى .

**الآية الثانية:**

واستدل صاحب الشبهات بقوله تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ...**﴾[٢].

فزعم أنَّ التعبير بـ «**ما**» و «**إلاَّ**» يفيد الحصر ، وبنى عليه أنَّ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ يتصف بالرسول فحسب ، ولا يتصف بأي عنوان آخر ، كما كان الأنبياء السابقون . ولما كان الأنبياء السابقون قائمين على الأمر التشريعي فحسب ، ولم تكن لهم ولاية تكوينية ؛ فإنَّ هذا يعني أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ مكلف الجانب الرسالي الشرعي ، وأمَّا القيُّومية على الكون والولاية على الممكنات ، فهذا ممَّا تنفيه عنه الآية .

وفي سبيل الإجابة عن هذا الاستدلال الهزيل ؛ نقول :

إنَّه كما قيل في مُقدِّمات الحكمة : لا بد من مراعاة القرينة التكلمية ، أي أنه لا بد من النظر في أنَّ المتكلم بصدد بيان أيِّ مطلب بكلامه[٣]. ومن هنا لا بد من ملاحظة سبب نزول الآية ، وهو ما يفيد أن الآية نزلت في معركة أحد ،

---

(١) *بحار الأنوار*، ج ٢٢، ص ٤٧٣ .
(٢) *آل عمران*، الآية ١٤٤ .
(٣) *أصول الفقه*، للشيخ المظفر .

وذلك حين أُشيـع أنَّ النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ قد قتل ، فقال مجموعة من المسلميـن الذين كانوا حديثـي عهد بالإسلام : لو كان محمّد ـ صلى الله عليه وآله ـ نبياً لما قُتل ، وقال فريق آخر : الآن إذ قُتل نبيُّ الله ـ صلى الله عليه وآله ـ فإننا سـنرجع إلى ديننا السـابق ، وعلينا أن نطلب الأمان من أبي سفيـان . وأمَّا أهل الثبـات من المسلمين فقـالوا: قاتلوا على ما قاتل عليه نبيـكم حتى يفتـح الله عليكم ، أو تلحقوا به . فنـزل قوله تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلاَّ رَسُـولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْله الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتـلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ**﴾[١] .

وفي ضوء ذلك نفهم بوضوح أنَّ الآية ليس فيها دلالة على نفي الولاية ، لا التكوينية ولا التشريعية ، بل هي في مقام بيان أن الدين دينُ الله تعالى ، وليس متوقفاً على حياة وممات أشخاص معينين ، فليس يذهب بموت إنسان ، فكما توفي الأنبياء من قبل أو قتلوا ، فكذلك مصير النبي صلى الله عليه وآله ، وهذا لا يستلزم ذهاب الدين بذهابه .

ثمَّ إنَّ إثبات شيء لا ينفي ما عداه ، وتطبيقاً لذلك نقول : إنَّ إثبات عنوان الرسالة للنبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ لا ينفي ما عدا ذلك من العناوين ؛ فإنَّ الله تعالى قـد وصفه بعدّة عنـاوين في القرآن الكريم ، كالبشـير ، والنذير ، والشاهد ، والشفيع ، والذكر ، والبرهان ، والنور ، والنعمة ، والمشكاة ، والمصباح ، والفضل ، والشجرة الطيبة ، والكلمة الطيبة ، والمثل الأعلى... وغيرها[٢] .

---

(١) *آل عمران* ، الآية ١٤٤ .

(٢) لقد ذكر ابن شهر آشوب في كتاب *المناقب* ما يقرب من ٤٠٠ صفة وعنوان مختص (بصـورة إجمالية) لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ على سبيل الرواية ، وهي تبين جانب وخصائص مختلفة لشخصيته المباركة صلى الله عليه وآله .

أضف إلى ذلك أنَّ الولاية من خصائص الرسالة، بمعنى أنه لا يمكن أن يتصف شخصٌ بالرسالة من غير أن يتّصف بالولاية، فإنَّ الولاية تلازم الرسالة، ومن الآيات ما هو صريح في ذلك، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[1]، فهذه الآية تدل على الولاية، لا المحبة؛ إذْ لو كانت بصدد الدلالة على المودة لما كان للحصر معنًى.

على أنَّ نافي الولايـة عن النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ ينفيـها عن غيره من أنبياء الله تعالى، وهو باطل قطعاً؛ فإنَّ الله تعالى أثبت في آيات القرآن الكريم الولاية للأنبيـاء عليهم السلام. ولما كان خاتم الأنبيـاء ـ صلى الله عليه وآله ـ هو أفضـل من جميـع أنبياء الله تعالى، وهو الواصـل إلى مقـام ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى**﴾[2]، فتثبت له الولاية بصورة قطعية.

ونلخص الإجابات على الترتيب التالي:

**أولاً:** إنَّ الحصر في الآية ﴿**وما محمد إلاّ رسول**﴾ ليس حصراً حقيقياً.

**ثانياً:** إنَّ القول بأنَّ ما ذكر من أوصاف النبي ـ صلى الله عليه وآله ـ وخصائصه وصفاته في القرآن الكريم، هي استثناء؛ يوجب استثناء الأكثر، وهو مستهجن وباطل.

**ثالثاً:** إنَّ الولاية من شؤون الرسالة ولوازمها.

**رابعاً:** إنَّ سائر أنبياء الله كانت لهم ولاية، ولمَّا كان النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ أفضلهم وأكملهم؛ لزم أن يكون ذا ولاية بنحو أتم وأكمل.

---

(١) *المائدة*، الآية ٥٥.

(٢) *النجم*، الآيتان ٨ و ٩.

**الآية الثالثـة:**

واسـتدل صاحب الشـبهات بقوله تعالى: **﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَـرّاً وَلا رَشَـداً * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * إِلاَّ بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾**[١].

وفي سبيـل توضيح المراد من الآيـة الكريمة، وتفنيـد ما يزعمه صاحب الشبهات؛ قال العلاّمة الميرجهاني ـ رحمه الله ـ:

إنَّ هذه الآية تبيِّن أنَّ النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ لا يملك النفع والضرر بذاته وبالاستقلال، أي نفي معتقد الغلاة والمفوضة القائم على أنَّ النبي يشارك الله في الأفعال. فإن كان المـراد أن الله تعالى قد فوض ربوبيتـه إلى النبي وآله ـ صلى الله عليه وآله ـ وكفـّ يده سبحانه وتعالى؛ فإنه بلا ريب اعتقادٌ كفريٌّ ومعتقده مرتدٌّ.

وأمَّا الاعتقاد بتسخير الكائنات تحت إرادتهم ـ عليهم السلام ـ بإذن الله تعالى وبحوله وقوته، وذلك على نحو السببيـة، لا بنحو الاستقلال؛ فإنه لا يلزم منه باطل، ولا إشكال فيه، وهو ما ثبت بالأحاديث الصحيحة والمتواترة[٢].

وقد تمت الإشـارة إلى هذه المسـألة في آيات من القرآن الكريم، كقوله تعالى: **﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾**[٣].

---

(١) *الجـن*، الآيات ٢١ ـ ٢٣.

(٢) *ولايت كليه*، ص ٣٦٦.

(٣) *يونس*، الآية ٤٩، و *الأعراف*، الآية ١٨٨.

**فأوّلاً:** هذه الآيات تدل على أن النبي الأكرم والأئمة الأطهار ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ لا يملكون النفع والضر بذواتهم وبالاستقلال ، إلاّ ما شاء الله تعالى أن يمنحهم من القدرة على ذلك .

**وثانياً:** إنّ سبب نزول الآية الكريمة هو فيما يرتبط بولاية أميـر المؤمنين عليه السلام ، ونص الرواية عن الإمام الكاظم ـ عليه السلام ـ:

**«إنّ رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ دعا الناس إلى ولاية علي ـ عليه السلام ـ فاجتمعت إليه قريش فقالوا: يا محمد؛ أعفنا من هذا، فقال لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ: هذا إلى الله ليس إليّ، فاتهموه وخرجوا من عنده، فأنزل الله: ﴿قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلا رَشَـداً * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَداً * إِلاَّ بَلاغاً مِنَ اللَّهِ وَرِسَالاتِهِ﴾».**

فسُئل الإمام الكاظم ـ عليه السلام ـ إن كان أمر ولاية عليٍّ منزلاً من عند الله تعالى ، ثم قال الإمام ـ عليه السلام ـ :

**«﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ في ولاية علي ﴿فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً﴾»**[1].

ويقول صاحب **مجمع البيان** في تفسير هذه الآية :

**«خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: ﴿قل﴾ يا محمد للمكلفين ﴿إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً﴾ أي لا أقدر على دفع الضرر عنكم، ولا إيصال الخير إليكم، وإنما القادر على ذلك هو الله تعالى، ولكني رسول ليس علي إلاّ البلاغ**

---

(١) *الكافي*، ج ١ ، ص ٤٣٤ .

**والدعاء إلى الدين، والهداية إلى الرشاد. وهذا اعتراف بالعبودية، وإضافة الحول والقوة إليه تعالى. ثم قال: ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿إنِّي لن يجيرني من الله أحد﴾ أي لا يمنعني أحد مما قدره الله علي ﴿ولن أجد من دونه﴾ أي من دون الله ﴿مُلتحداً﴾ أي ملتجأ إليه أطلب به السلامة ﴿إلاَّ بلاغاً من الله﴾ أي تبليغاً من الله آياته ﴿ورسالاته﴾ فإنَّه ملجئي ومنجاي وملتحدي، ولي فيه الأمن والنجاة»** .

إنَّ الفهم الخاطئ لمنكري الولاية التكوينية ، هو على خلاف النصوص الصريحة من الآيات والروايات المتواترة ، وهو انحراف بيِّن عن الجادّة .

وفي كنز الفوائد للكراجكي ـ رحمه الله ـ :

«ذكروا أنَّ أبا حنيـفة أكل طعاماً مع الإمام الصادق جعفر بن محمد عليهم السلام ، فلما رفع الصـادق ـ عليه السلام ـ يده من أكله ؛ قال : الحمد لله رب العالمين ، اللهم هذا منك ومن رسولك صلى الله عليه وآله . فقال أبو حنيفة: أبا عبد الله ؛ أجعلت مع الله شريكاً؟ فقال له : ويلك ! فإنَّ الله تعالى يقول: في كتابه : **﴿وما نقموا إلاَّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله﴾**[1] ، ويقول في موضع آخر : **﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله﴾**[2] . فقال أبو حنيـفة : والله لكأني ما قرأتهما قط من كتاب الله ولا سمعتهما إلاَّ في هذا الوقت . فقال أبو عبـد الله ـ عليه السلام ـ : بلى ؛ قد قرأتهما وسمعتهما ، ولكن الله تعالى أنزل فيـك وفي أشـباهك : **﴿أم على قلوب أقفالها﴾**[3] ، وقال :

---

(١) *التوبة* ، الآية ٧٤ .

(٢) *التوبة* ، الآية ٥٩ .

(٣) *محمد* ، الآية ٢٤ .

**﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾**[١]»[٢].

**النكتة (٦٥)** : الفكر الحنفي وإلغاء أهل البيت عليهم السلام

إنّ نمط التفكيـر الحنفي قائم على رفض كل فضيلة لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ مع التذرُّع بمسألة التوحيد والشرك ، وهو ما طرحوه في كتبهم أيضاً ، والسبب في هذا النمط الأعوج من الفكر هو الرغبة في إلغاء وإقصاء أهل البيت ، وطمس فضائلهم . وإلاّ فالقوم أبعد ما يكونون عن همِّ التوحيد والشرك . واستدلالاتهم الواهية التي يُطلقها أمثالهم ، هي لهذا السبب[٣].

وبهذا نكون قد وصلنا إلى تمام ما أردنا دراسته من بحوث الولاية التكوينية .

والحمد لله رب العالمين .

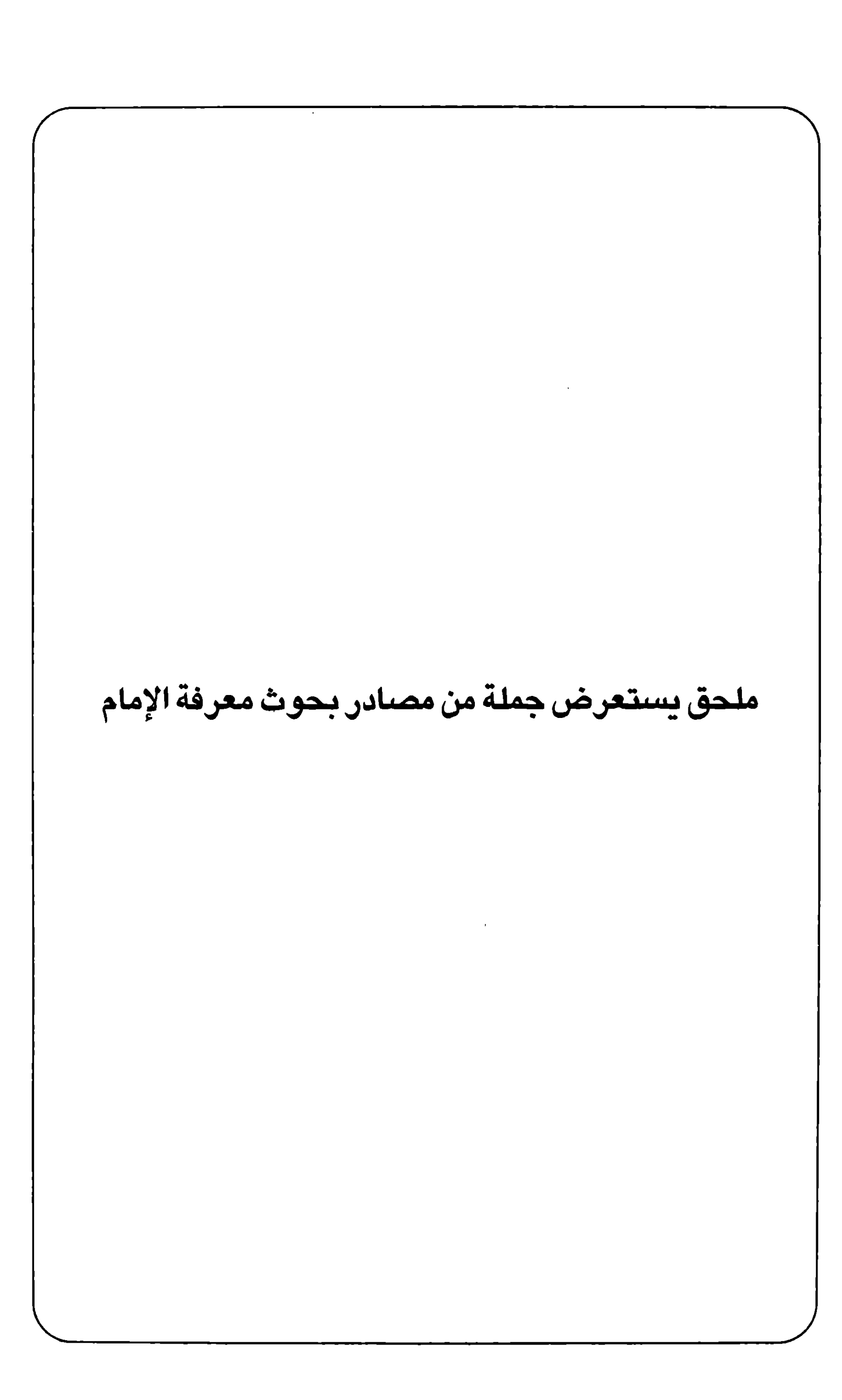
***

---

(١) *المطففين* ، الآية ١٤ .

(٢) *كنز الفوائد* ، ص١٩٦ . وعنه *بحار الأنوار* ، ج ٤٧ ، ص ٢٤٠ ، ح ٢٥ .

(٣) وقد قام العلامة الميرجهاني في كتابه *ولايت كليه* بتناول شبهات أخرى حول الولاية التكوينية ، فراجع إن شئت .



# ملحق يستعرض جملة من مصادر بحوث معرفة الإمام

في هذا الملحق نستعرض بعض المصادر والكتب في موضوع معرفة الإمام؛ على أمل أن نسهم بذلك في مساعدة من يرغب في التوسع في بحوث هذا الموضوع .

١ ـ **آيات ولايت**، د. السيد محمد مرتضوي، المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع ـ قم، في ٥ مجلدات، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : دراسة وتحقيق حول آيات الولاية في القرآن الكريم . وهو دراسة مقارنة، تبين وجه الاستدلال، وتتطرق لسبب النزول، وتجيب عن الشبهات في مختلف أبعادها، سواء ذات العلاقة بأسباب النزول، أو السياق أو الجانب اللغوي، أو الفقهي أو الرجالي أو الكلامي أو الأصولي أو التاريخي أو الاقتصادي... وغير ذلك من الجوانب التي يمكن أن تمثل موضوع الشبهة ومنطلقها .

يشتمل المجلد الأول على آية الولاية (المائدة : ٥٥)، والمجلد الثاني على آية التطهير (الأحزاب : ٢٣)، والثالث على آية التبليغ (المائدة : ٦٧)، والرابع على آية الإكمال (المائدة : ٣)، والخامس على آية أولي الأمر (النساء : ٥٩).

٢ ـ **آيات ولايت در قرآن**، أبو القاسم عليان نژاد، آية الله مكارم شيرازي، انتشارات نسل جوان ـ قم، في ٤٦٤ صفحة، وزيري، الطبعة الأولى : ١٣٨١ هـ ش، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : يتناول الكتاب مجموعة من آيات الولاية في القرآن الكريم، وذلك بصورة مقارنة، مع استعراض ودراسة الروايات الواردة في الموضوع .

وهو في ستة فصول :

الفصل الأول : آيات الخلافة والزعامة .

الفصل الثاني : آيات فضائل أهل البيت عليهم السلام .

الفصل الثالث : آيات فضائل الإمام علي ـ عليه السلام ـ خاصّةً .

٣ ـ **إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات** ، الشيخ الحر العاملي ، مع مقدمة لآية الله المرعشي النجفي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ، ١٤٢٥ هـ ، في ٥ مجلدات .

موضوع الكتاب : بعد مقدمة مبسوطة عقدها المؤلف الجليل ـ رحمه الله ـ فيما يرتبط بعلم الكلام ؛ قام المؤلف بنقل روايات من كتب الفريقين تدل على ضرورة النبوة والإمامة وعصمة الأنبياء والأئمة المعصومين. ثم يقوم المؤلف بنقل النصوص الدالة على معاجز كل واحد من الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام .

٤ ـ **إحقاق الحق وإزهاق الباطل** ، الشهيد القاضي السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري رحمه الله ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم ، في ٣٦ مجلداً .

موضوع الكتاب : إثبات الإمامة والخلافة بلا فصل لأمير المؤمنين عليه السلام ، وإبطال خلافة غاصبي الخلافة والمتقمصين لها بغير وجه مشروع . كما يتطرق إلى إثبات إمامة الأمة المعصومين عليهم السلام ، وبيان فضائل ومناقب السيدة الزهراء صلوات الله عليها ، وموقف أهل السنة واعترافات علمائهم بحقانية أهل البيت عليهم السلام .

إنّ هذا الكتاب مليء بالفوائد والفرائد الدقيقة والعميقة فيما يرتبط بأهل البيت عليهم السلام ، وقد قام السيد المرعشي النجفي ـ رحمه الله ـ بإضافة

تعليقات وحواش مفيدة ونفيسة جداً على هذا الكتاب، ليبلغ الكتاب ٣٦ مجلداً في المطبوع، والمجلدات الأربعة الأخيرة عبارة عن فهارس لجميع ما تضمنه الكتاب من عناوين.

٥ ـ **ادب فنای مُقرّبان**، سماحة العلاّمة آية الله الجوادي الآملي دام ظله، مركز منشورات إسراء ـ قم، في ٤ مجلدات، باللغة الفارسية.

موضوع الكتاب: هو شرح معمّق وبديع للزيارة الجامعة الكبيرة، وهو رسالة مبسوطة وسلسلة متكاملة في بحوث الإمامة والولاية. والمؤلف ـ حفظه الله تعالى ـ يفتتح كتابه بمقدمة مطولة حول الحكمة من الزيارة، والتولي والتبري، وسند الزيارة الجامعة... وغير ذلك. ثم يشرع في شرح مقاطع الزيارة الشريفة، ويتطرّق خلال شرحه إلى مطالب نفيسة في غاية الدقة والعمق.

٦ ـ **الألفين**، العلامة الحلّي قدّس سرّ، منشورات المكتبة الحيدرية في النجف الأشرف، الطبعة الثانية: ١٣٨٨ هـ، مجلد واحد.

موضع الكتاب: قام العلامة الحلي ـ رحمه الله ـ في هذا الكتاب بذكر ألفي دليل من القرآن والسنة والعقل، تدل على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وتطرق إلى مواضيع في مجال الإمامة وعلم الإمام والعصمة.

٧ ـ **الإمامة في أهم الكتب الكلامية وعقيدة الشيعة الإمامية**، آية الله السيد علي الحسيني الميلاني، مركز آلاء للتحقيق والترجمة والنشر ـ قم، ١٤٢٢ هـ، في ثلاث مجلدات.

موضوع الكتاب: دراسة عقائدية مقارنة حول الإمامة، في الكتب المعتبرة لأهل السنة وفي عقيدة الشيعة، مع الاستدلال بالآيات والروايات، وذكر مطالب نفيسة ودقيقة.

٨ ـ **الأنوار الساطعة في شرح الزيارة الجامعة**، آية الله الشيخ جواد الكربلائي، منشورات الأعلمي ـ طهران، الطبعة الأولى: ١٣٧٠ هـ ش، في ٥ مجلدات.

موضوع الكتاب: قام المؤلف القدير في بحوث معرفة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بإيراد أحاديث كثيرة، وتناول بالشرح والتوضيح ٤٢٠ فضيلة من فضائلهم ـ عليهم السلام ـ مما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة.

٩ ـ **الحُجج البالغة في حقانية التشيع في ضوء القرآن والسنة والتوراة والإنجيل**، عطائي الإصفهاني، منشورات المجمع العالمي لمعرفة الشيعة والتشيع ـ قم، ١٤٢٧ هـ، في مجلد واحد.

موضوع الكتاب: يتناول الكتاب الأسُس العقدية للشيعة والسنة في موضوع الإمامة، ونشأة الشيعة والمذاهب الأربعة، والأدلة القرآنية والحديثية على إمامة الأئمة المعصومين عليهم السلام، تبشير أنبياء الله السابقين وكذا الكتب السماوية بالأئمة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، وأربعة عشر عرشية فيما يرتبط بالسادة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

١٠ ـ **الغدير**، العلامة عبد الحسين الأميني النجفي، في ١١ مجلداً باللغة العربية، وترجمته تقع في ٢٢ مجلداً، نشر بنياد بعثت ـ طهران، ١٣٧٦ هـ ش.

موضوع الكتاب: هذا الكتاب النفيس يُعدُّ من المصادر الأساسية في الموضوع، وقد قام مؤلفه القدير فيه بتناول بحوث الإمامة، وخصوصاً إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وفيما يرتبط حادثة الغدير وحديثها المتواتر، وكذا تناول العديد من الأحاديث التي رواها الفريقان، من قبيل: حديث المنزلة، وحديث الثقلين... وغيرهما، كل ذلك في دقة علمية وتوسع في الدراسة منقطعَي النظير، بحيث لم يدع عذراً لأهل الإنصاف. وقد استبصر ببركة هذا الكتاب مجموعة من علماء

أهل السنة واعترفوا بحقانية أمير المؤمنين عليه السلام ، وانتقلوا إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام .

١١ ـ **القطرة من بحار مناقب النبي والعترة** ، آية الله السيد أحمد المستنبط رحمه الله ، نشر حاق ـ قم ، في مجلدين .

موضوع الكتاب : قام المؤلف القدير في مقدمة الكتاب بالتطرق إلى موضوع معرفة أهل البيت عليهم السلام ، وأهمية هذه المعرفة في حياة ومصير الإنسان ، ثم تطرق في ١٤ فصلاً إلى مناقب وفضائل المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام ، وذلك عن طريق استعراض الروايات والتطرق للنكات البديعة ، وفي الختام تناول فضائل ذرية السادات الطيبة ، وكذا فضائل شيعة ومحبي أهل البيت عليهم السلام .

١٢ ـ **امامت وانسان كامل از ديدگاه امام خمينى قدس سره** ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ـ طهران ، في ٦٠٦ صفحة ، من القطع الوزيري ، الطبعة الأولى : ١٣٨١ هـ ش . باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : في هذا الكتاب تم جمع كتابات ومحاضرات الإمام الخميني ـ قدس سره ـ فيما يرتبط بمقام المعصومين المطهرين عليهم السلام ، وذلك في سبعة أقسام :

القسم الأول : الإنسان الكامل ، القسم الثاني : الولاية ، القسم الثالث : الولاية التكوينية ، القسم الرابع : الولاية التشريعية ، القسم الخامس : منزلة ومقام الأئمة الأطهار عليهم السلام ، القسم السادس : التشيع هو مدرسة أهل البيت عليهم السلام ، القسم السابع : شبهات حول موضوع الإمامة .

١٣ ـ **امامت وولايت**، السـيد محمد هاشـم دستغيب ، منشـورات عتيق ـ شيراز ، ١٣٧٦ هـ ش ، في مجلد واحد ، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : بحوث تتعلق بالإمامة وكونها أصلاً، وبمعرفة الإمام ومعرفة الله تعالى ، والعصمة ، ومسـألة النص على الإمـام ، ودراسـة ٦ آيات من آيات الولاية في القرآن الكريم .

١٤ ـ **أنوار الولاية**، آية الله ملاّ زين العابدين الگلپايگاني ، ١٤٠٩ هـ ، في مجلد واحد .

موضوع الكتاب : مؤلف الكتاب يُعرف بـ «حجة الإسـلام» ، وقد كان من مراجع التقليد في زمانه ، وكان يتميز بالثبات والاقتدرا في بحوث الولاية والمعرفة . وقد تناول في كتابه هذا بحوث ولايت ومحبة أمير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام ، وعلم الإمام ، وحديث معرفة الإمام... وغيرها من المواضيع المهمة .

١٥ ـ **بشـارة المصطفى لشـيعة المرتضى**، محمد بن أبي القاسـم الطبري ، مؤسسة النشر الإسلامي ، في مجلد واحد .

موضوع الكتاب : هو من المصادر التي صدر عنها صاحب بحار الأنوار ، ويتضمن روايات فضائل أهل البيت عليهم السلام .

١٦ ـ **بحار الأنوار**، العلامة محمد باقر المجلسي رحمه الله ، في ١١٠ مجلداً .

موضوع الكتاب : الكتاب مليء بدرر الأحاديث الشريفة فيما يرتبط بموضوع الإمام والولاية ، وقد خصص العلامة المجلدات من ٢٢ إلى ٥٣ بالأربعة عشـر معصـوماً عليهم السلام ، حيث يورد العـلاّمة ـ رحمه الله ـ الآيـات والروايات والاحتجاجات الشـريفة والمضامين النفيسـة والنكات الدقيـقة فيما يخص كل واحد من المعصومين عليهم السلام . والمجلدات من ٢٨ إلى ٣١ مختصة بمثالب

أعداء العترة الطاهرة عليهم السلام .

١٧ ـ **بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد** صلى الله عليه وآله ، لأبي جعفر محمد بن الحسن فروخ الصفار ، مؤسسة الأعلمي ـ طهران ، ١٤٠٤ هـ ، في مجلد واحد .

موضوع الكتاب : مؤلفه من أجلة أصحاب الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، وقد روى في هذا الكتاب الشريف الكثير من الأحاديث النفيسة فيما يرتبط بالأئمة المعصومين عليهم السلام ، وخصائصهم وفضائلهم وولايتهم وعلمهم . وهذا الكتاب في غاية الاعتبار والأهمية عند العلماء والمحدثين .

١٨ ـ **تاريخ أمير المؤمنين** عليه السلام ، آية الله الشيخ عباس الصفائي الحائري ، منشورات مشجد جمكران المقدس ، في مجلدين ، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : مجموعة من المحاضرات العلمية الرصينة التي ألقاها آية الله الصفائي الحائري في موضوع الإمامة والأحداث التاريخة في صدر الإسلام ، وتطرق فيها إلى بطلان مذاهب المخالفين لأهل البيت عليهم السلام ، ويتميز بالطرح السلس مع العمق والدق العلمية .

١٩ ـ **تحقيق پيرامون امامت عامّه وخاصه** ، حجة الإسلام والمسلمين حبيب لله طاهري ، منشورات زائر ـ قم ، ١٣٨١ هـ ش ، في مجلد واحد بالفارسية .

موضوع الكتاب : في قسم الإمامة العامة ؛ قام المؤلف بتناول تعريف الإمامة ، وفلسفة الإمامة ، وعظمة مقام الإمام ، وضرورة معرفة الإمام ، وشؤون الإمامة ، وعصمة الإمام. وفي قسم الإمامة الخاصة ؛ تناول الأدلة على إمامة أمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام ، كما تطرق إلى سيرتهم عليهم السلام .

٢٠ ـ **تفسير البرهان**، للسيد هاشم البحراني، في مجلدين.

موضوع الكتاب: هو تفسير في غاية الدقة والعمق، أشار فيه المؤلف إلى دقائق المعارف وعميق النكات، ومن خصائص هذا التفسير كونه حديثياً مع الاهتمام الخاص بالجانب الولائي.

٢١ ـ **سيرى در تاريخ معصومين واحوال آنها**، أمير محمد إسماعيل طالب الشهرستاني، منشورات جهان رايانه ـ طهران، ١٣٧٩ هـ ش، في مجلد واحد، باللغة الفارسية.

موضوع الكتاب: دراسة فضائل وخصائص الأئمة الأطهار عليهم السلام، في مجال الزهد والمحبة والسرور والتقوى والتواضع والعلم والشجاعة والعدالة والصراحة والسخاء والرحمة والعبادة والشهادة.. وغير ذلك، مع الاستشهاد بالآيات والروايات.

٢٢ ـ **ليالي بيشاور**، آية الله العلامة السيد محمد الموسوس الشيرازي رحمه الله، المعروف بسلطان الواعظين، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ١٤٢٣ هـ، في مجلد واحد.

موضوع الكتاب: إنّ سلطان الواعظين ـ رحمه الله ـ في مناظراته العلمية التي جرت بينه وبين علماء أهل السنة في بيشاور باكستان، وذلك سنة ١٣٤٥ هـ، استدل بالكتب المعتبرة عند أهل السنة، في سبيل إثبات حقانية وخلافة وإمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وأثبت بطلان عقائد أهل السنة عن طريق وثائقهم وأدلتهم التي تتم بها الحجة عليهم. وقد كانت نتيجة هذه المناظرات ذات الطابع العلمي الرصين والبعيدة عن التعصب والتكفير، أن استبصر المناظرون، وإثر ذلك تشيع الكثير من أبناء السنة في باكستان واعتنقوا مذهب أهل البيت عليهم السلام.

وفي البدء كانت المناظرات تنشر في الصحف الباكستانية المعروفة، ثم بعد ذلك تم جميعها وطبعها في هذا الكتاب. وهو كتاب ينمُّ عن موهبة فريدة وذكاء فائق واقتــدار علمي متميــز وذاكرة في غاية القوة عند سلطان الواعظين رحمه الله . وهذا الكتاب البديع تم طبعه مراراً بلغات عديدة ، وببركته استبصر آلاف الأشخاص المنصفين من أهل السنة . وللمؤلف كتاب آخر مطبوع تحت عنوان **الفرقة الناجية** ، وهو عبارة عن مناظرات جرت بين المؤلف وبين مجموعة من شبان أهل السنة في طهران.

٢٣ ـ **شناخت نامه اهل بيت** عليهم السلام ، مجلد واحد باللغة الفارسية، صادر عن المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ١٣٨٣ هـ ش ، بمناسبة أول مؤتمر حول كتاب أهل البيت عليهم السلام .

موضوع الكتاب : يتضمن الكتاب في الفصــل الأوّل مقالات حــول أهــل البيت ـ عليهم السلام ـ لسماحة قائد الثورة الإسلامية ـ مُدّ ظله العالي ـ وغيره من الأعلام والكُتّاب . ويتضمن الفصل الثاني التعريف ببعض الكتب التي هي حول أهل البيت عليهم السلام . ويتضمن الفصل الثالث دراسة نُسخ ومخطوطات نهج البلاغة ، وكذا مصادر دراسة الإمام الحسين ، وكذا مصادر حديث الغدير ، وكذا مصادر دراسة حياة أهل البيت عليهم السلام بصورة عامة، وكذا المصادر التي كتبت حول السيدة الزهراء صلوات الله عليها . مع تعريف بالكتب ومحتوياتها .

**٢٤ ـ صحيفة الأبرار في مناقب المعصومين الأطهار عليهم صلوات الملك الجبار ،** العلامة الميــرزا محمد التبريزي المامقاني الملقب بحجة الإسلام ، والمتخلِّص بـ «نيِّــر» ، مطبعة الشفق ـ تبــريز ، ١٣٨٨ هـ ش ، جزءان في مجــلد واحد في ٨٠٠ صفحة من القطع الرحلي .

موضوع الكتاب : قام المؤلف القدير بإيراد أحاديث كثيرة من المصادر المعتبرة فيما يرتبط بموضوع فضائل ومعاجز الأربعة عشر معصوماً عليهم السلام ، وأضاف إليها الشرح والتوضيح مع بيان النكات الدقيقة والعميقة .

٢٥ ـ **علي** عليه السلام **والمناقب** ، عبد العلي گويا ، منشورات زرارة ـ طهران ، ١٣٧٩ هـ ش ، في مجلد واحد باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : تناول الكتاب فضائل ومعاجز الأنبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ وكذا الإمام علي والزهراء عليهما السلام ، ومعارف مروية عن الأئمة المعصومين عليهم السلام ، وكذا خصائص أنوار الله القدسية .

٢٦ ـ **علي** عليه السلام **وپايان تاريخ** ، السيد مجيد فلسفيان ، منشورات مسجد جمكران المقدس ، ١٣٧٨ هـ ش ، في مجلد واحد ، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : تناول مؤلف الكتاب المعنى الاصطلاحي للحُجَّة ، والأدلة العقلية على الاضطرار إلى الحجَّة ، والحجج بعد النبي صلى الله عليه وآله ، وصفات حُجج الله ، وعلم الإمام.. وبحوث أخرى تتعلق بالأئمة المعصومين عليهم السلام ، وكذا وظيفة العباد إزاء الإمام ، وإقامة الدولة الإسلامية.. ومواضيع أخرى .

٢٧ ـ **غاية المرام وكفاية الخصام** ، العلامة السيد هاشم بن سليمان البحراني ، مجلد واحد .

موضوع الكتاب : إثبات إمامة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام . والكتاب ينمُّ عن اقتدار وتبحر مؤلفه ، وقوة ذاكرته بحد يقل نظيره ، والكتاب معدود من المصادر والمراجع المعول عليها عند الكثير من المحققين ، كالعلامة الأميني

وغيره . والمؤلف هو صاحب كتابَي **مدينة المعاجز** و**تفسير البرهان**، اللذَين يُعدّان من الكتب ذات الأهمية الفائقة في مجاليهما .

٢٨ ـ **فرهنگ اهل بيت** عليهم السلام **از ديدگاه قرآن**، عبد الأمير ساكي، منشورات جهان رايانه ـ طهران، ١٣٨٠ هـ ش، في مجلد واحد، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : معجم مفردات القرآن الكريم مع تفسير يبـرز شأن أهل البيت عليهم السلام، على أساس ترتيب سور القرآن الكريم . وقد قام المؤلف بذكر جميع الآيات القرآنية النازلة في المعصومين عليهم السلام، مع ذكر أسباب النزول في ضوء الروايات المعتبرة من ٣٠ مصدراً من كتب الشيعة والسنة . حيث يذكر تحت كل آية ما ترتبط بها من روايات . والكتاب من هذه الجهة فريد في بابه .

٢٩ ـ **قادتنـا كيف نعرفهـم**، آية الله سـيد محمد علي ميلاني، مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث ـ قم، ١٤١٥ هـ، في ٨ مجلدات .

موضوع الكتاب : الأحاديث التي اتفق على روايتها الفريقان في مناقب السادة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام. المجلدات الأربعة الأولى تختص بمناقب أمير المؤمنين عليه السلام، والثالث بالتحديد يتناول مناقب علي ـ عليه السلام ـ في القرآن الكريم، والمجلدات ٥ ـ ٦ ترتبط بمناقب الزهراء والأئمة من ذريتها عليهم السلام . والجلد الثامن خُصص للفهارس الفنية للكتاب .

٣٠ ـ **الكافي**، ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني، منشورات فرهنگ اهل بيت ـ طهران .

موضوع الكتاب : هو من الكتب الأربعة المعتبرة عند الإمامية، والذي قام مؤلفه المحدث الورع ـ رحمه الله ـ بجمع أحاديث أهل البيت ـ عليهم السلام ـ

فيه ، وذلك في ثلاثة أقسام : الأصول ، الفروع ، الروضة . وفي القسم الأول بعد أن روى الأحاديث المتعلقة بالعقل والجهل وفضل العلم ؛ روى الأحاديث المتعلقة بموضوع التوحيد ، ثم تطرق إلى الأحاديث التي تندرج تحت عنوان الحجَّة ، حيث روى أحاديث تتعلّق بمعرفة الإمام ، وخلْق الإمام ، خصائص الإمام ، وحياة الأئمة عليهم السلام.. وغير ذلك من الروايات المتعلق ببحوث الإمامة ومعرفة الإمام .

٣١ ـ **كشف الغمة في معرفة الأئمة** ، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح الإربلي ، منشورات الشريف الرضي ، ١٤٢١ هـ ، في مجلدين .

موضوع الكتاب : إن المؤلف الكتاب (ت ٦٩٢ هـ) من الأجلاء المبجلين عند علماء الإمامية ، وكتابه بمحل احترام وتقدير وعناية لدى أهل العلم . هذا الكتاب يتناول سيرة النبي الأكرم ـ صلى الله عليه وآله ـ والأئمة المعصومين عليهم السلام ، من جهة الولادة والوفاة والفضائل والأولاد والأحاديث والمواعظ.. وغير ذلك .

٣٢ ـ **كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد** ، العلامة الحلي رحمه الله . مكتبة المصطفوي ـ قم ، مجلد واحد .

موضوع الكتاب : هو شرح للعلامة الحلي على كتاب تجريد الاعتقاد للخواجة نصير الدين الطوسي ، وهو مخصص للبحوث الاعتقادية الكلامية . وفي موضوع الإمامة تم تناول بحوث مهمة وبديعة في مجال فضائل وخصائص وعصمة وعلم وشجاعة الأئمة المعصومين عليهم السلام .

٣٣ ـ **مدينة المعاجز** ، العلامة السيد هاشم بن سليمان البحراني ، مؤسسة المعارف الإسلامية ، في ٨ مجلدات .

موضوع الكتاب: قام المحدِّث الخبير العلامة البحراني في هذا الكتاب النفيس بجمع معاجز وكرامات المعصومين عليهم السلام في جميع الأبعاد والمجالات، بما يبين ويثبت عظمتهم ـ عليهم السلام ـ وامتلاكهم للولاية التكوينية.

٣٤ ـ **مصباح الهداية في إثبات الولاية**، آية الله السيد علي البهبهاني.

موضوع الكتاب: أربعون حديثاً في إثبات إمامة المعصومين من أهل البيت عليهم السلام، مع الإفادة من الآيات والأحاديث، إضافة إلى التطرق إلى النكات الدقيقة والفوائد العلمية العميقة. وقد تمّ طبعه بعد أن قام بإعداده آية الله الأستادي.

٣٥ ـ **معرفة الإمام**، السيد محمد حسين الحسيني الطهراني، دار المحجة البيضاء ـ بيروت، ١٤١٦ هـ، في ١٨ مجلداً.

موضوع الكتاب: هو الترجمة العربية لمجموعة مقالات العلامة الطهراني في بحوث معرفة الإمام، والتي تشتمل على بحوث تفسيرية، وحديثية، وتاريخية، واجتماعية.. وذلك فيما يتعلق بالإمامة العامة والخاصة.

٣٦ ـ **منتهى الآمال في تاريخ النبي والآل**، الشيخ عباس القمي، في مجلدين باللغة الفارسية. وقد تمت ترجمته إلى العربية أيضاً.

موضوع الكتاب: يتناول الكتاب سيرة النبي الأكرم والمعصومين عليهم السلام، بصورة مفصلة تشمل جميع مناحي حياتهم عليهم السلام، من ولادة ووفاة وسيرة وكلمات ومعاجز، وأصحاب وأولاد.. مع تفصيل وبيان نفيس ونكات بديعة. وقد قام المؤلف في *تتمة المنتهى* بتناول حياة أئمة الظلم الباغين الذي عاصروا الأئمة المعصومين عليهم السلام.

٣٧ ـ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، العلامة المحقق الميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي، في ٢١ مجلداً.

موضوع الكتاب : شرح كامل وجامع لنهج البـلاغة ، يقوم فيه مؤلفه بنقل أقوال الشـراح الآخرين ، مع التقييم والنقد ، بحيث يغني البـاحث عن مراجعة الكثير من شروح نهج البـلاغة . إضـافة إلى أنه يتناول بحوث الإمامة ومعـرفة الإمام بصورة مفصلة ومعمقة مع اقتدار علمي متميِّز .

٣٨ ـ **نسـيم معرفت**، حُجّـة الإسـلام والمسلمين الشـيخ حسين الگنجي ، منشورات طوباى محبت ـ قم ، ١٣٨٤ هـ ش ، في مجلد واحد ، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : شرح مختصر على الزيارة الجامعة الكبيرة ، يتناول مقام ومنزلة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بلغة مبسّطة قريبة إلى المثقف وبالخصوص لجيـل الشباب . وقد صدر منـه إلى الآن مجلد واحد . وللمؤلف كتب أخرى في موضوع الإمامة ومعرفة الإمامة باللغة الفارسية .

٣٩ ـ **ولايت در قرآن كريم**، مجموعة من المؤلفين ، منشورات شهريار ـ قم ، ١٣٧٩ هـ ش ، مجلد واحد ، باللغة الفارسية .

موضوع الكتاب : يتناول الكتاب عدة مواضيع منها : معنى الولاية وأنواعه ، الولاية التكوينية للنبي والأئمـة عليهم السلام ، الولاية التشـريعية ، ولاية الأئمة ـ عليهم السلام ـ في القرآن الكريم ، فضائل الإمام علي عليه السلام في القرآن الكريم ، خاتم الولاية ، حكومة الصالحين في الأرض وأولياء الله تعالى .

٤٠ ـ **ولايت كليه**، آية الله العلامة السيد حسين الميرجهاني الطباطبائي ، منشورات الهادي ـ قم ، في ٣٧٠ صفحة ، من القطع الوزيري ، الطبعة الأولى : ١٣٨٢ هـ ش .

موضوع الكتاب : إنَّ مؤلف الكتاب من الأجلاء أصحاب الكرامات والتشرف بلقاء الإمام صاحب الزمان عليه السلام . وقد قام بطرح آرائه فيما يرتبط بالأئمة

المعصومين ـ عليهم السلام ـ في كتابه هذا على الترتيب التالي :

١ ـ الولاية ؛ لفظها ومعناها .

٢ ـ خاتم الأنبياء والإمامة والولاية الكلية .

٣ ـ معرفة الإمام هي معرفة الله تعالى .

٤ ـ علم الإمام .

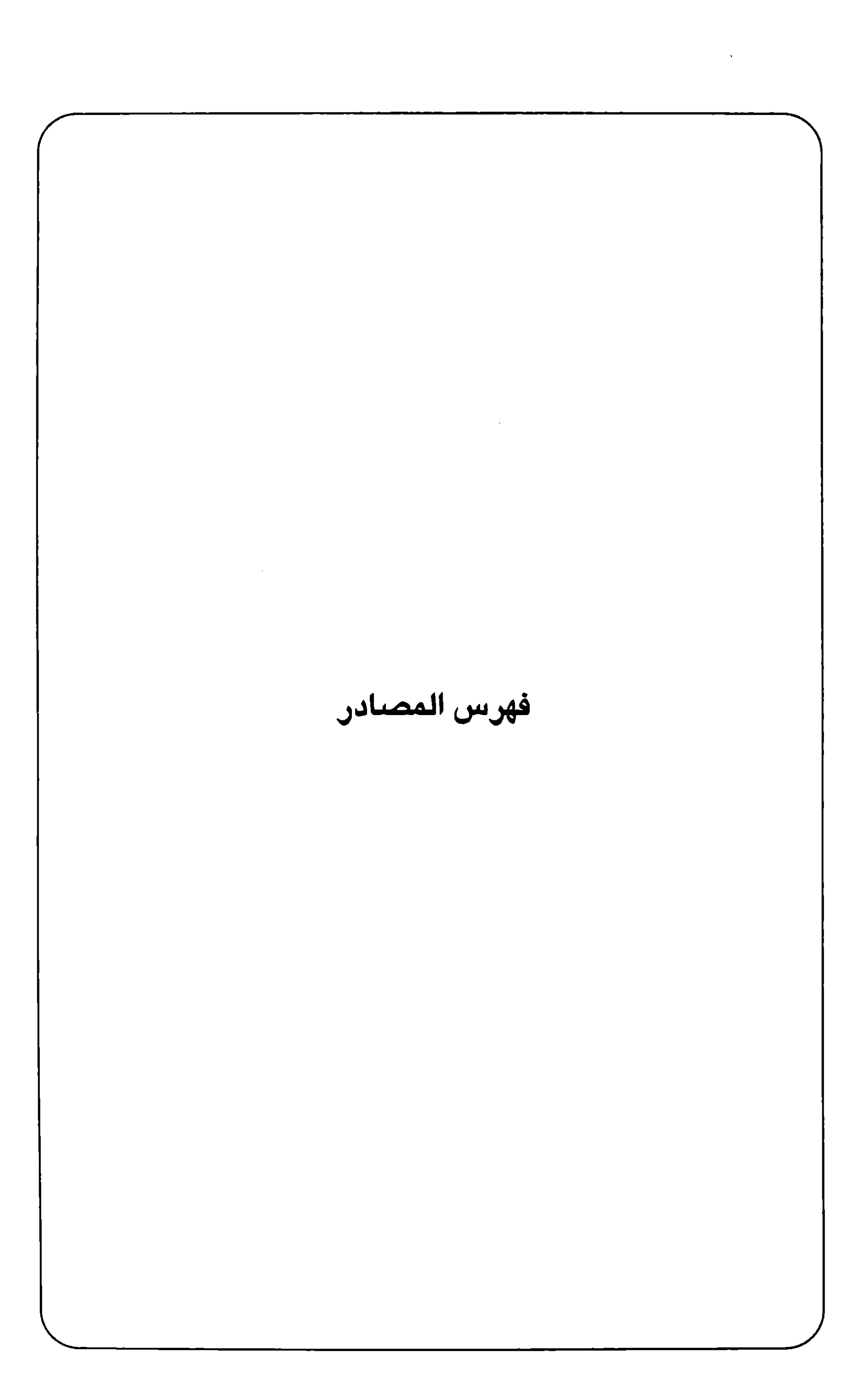
٥ ـ العترة وجوب معرفتهم .

٦ ـ مقام الولاية الكلية للأئمة الأطهار عليهم السلام .

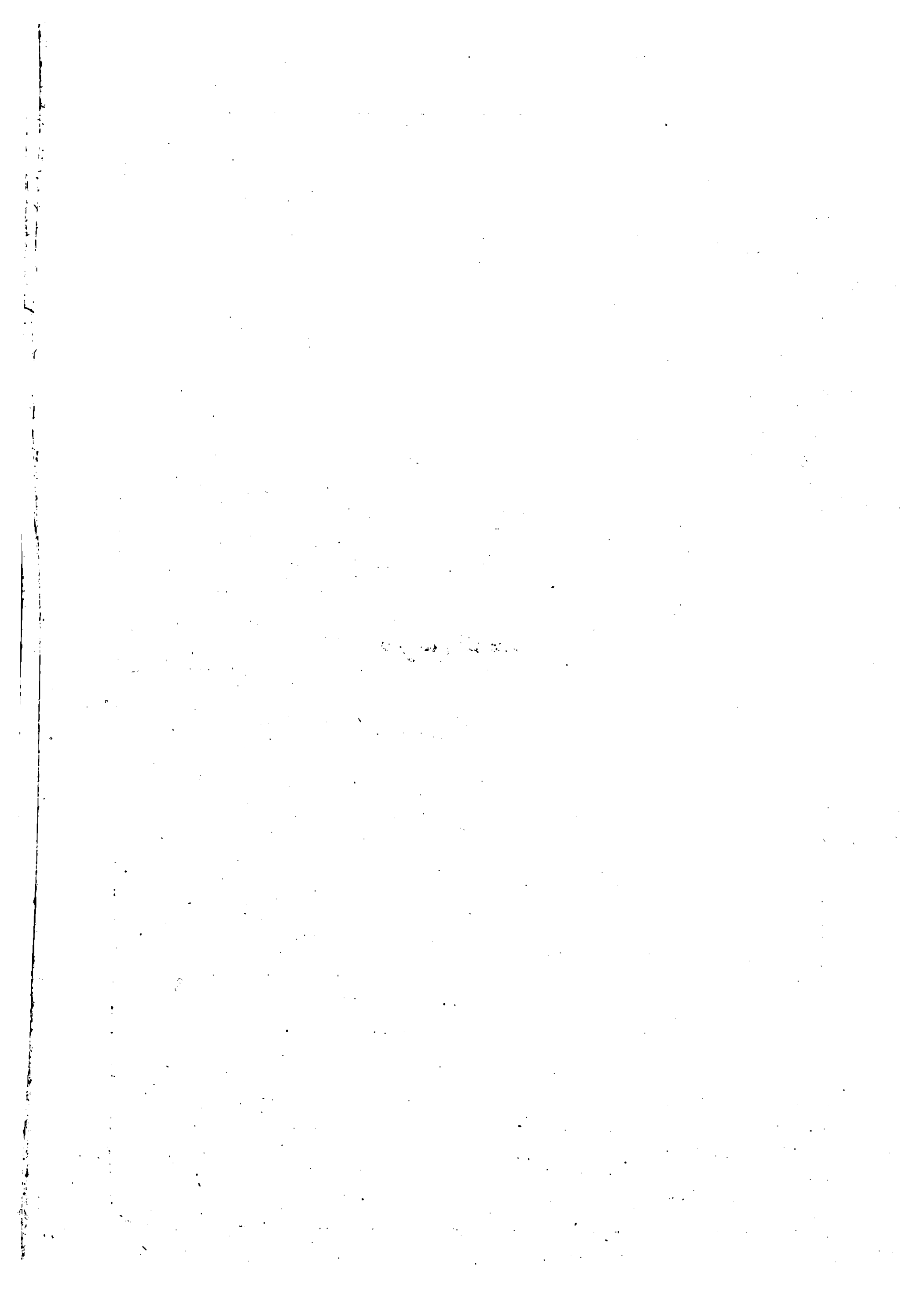
٧ ـ اشتقاق الأسماء الخمسة المباركة .

وفي القسم الثاني من الكتاب تعرض المؤلف للشبهات المطروحة في موضوع الولاية التكوينية للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله ، وتناولها بالنقد والتفنيد .

***



# فهرس المصادر



١ ـ **القرآن الكريم** .

٢ ـ **نهج البلاغة** ، أحاديث الإمام علي ـ عليه السلام ـ جمعها السيد الرضي ، مع الترجمة الفارسية للمرحوم محمد الدشتي .

٣ ـ **مفاتيح الجنان** ، الحاج الشيخ عباس القمي رحمه الله .

٤ ـ **آيات ولايت در قرآن** ، أبو القاسم عليان نژاد ، آية الله مكارم الشيرازي ، منشورات نسل جوان ـ قم ، الطبعة الأولى : ١٣٨١ هـ ش .

٥ ـ **آيت بصيرت** ، آية الله الحاج رضا بهاء الديني ، السيد حسن شفيعي ، منشورات پارسيان ـ قم ، الطبعة الثانية : ١٣٧٥ هـ ش .

٦ ـ **إحقاق الحق وإزهاق الباطل** ، القاضي نور الله التستري رحمه الله ، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم ، ١٤٠٦ هـ .

٧ ـ **ادب فناى مقربان**، شرح الزيارة الجامعة الكبيرة، آية الله الجوادي الآملي ، منشورات إسراء ـ قم ، الطبعة الأولى : ١٣٨٣ هـ ش .

٨ ـ **اربعين**، للشيخ البهائي (الترجمة الفارسية) منشورات حكمت ـ طهران، ١٣٧٣هـ ش .

٩ ـ **إرشاد القلوب** ، الشيخ حسن بن علي الديلمي ، منشورات دار الأسوة ـ طهران .

١٠ ـ **أصول الكافي** ، محمد بن يعقوب الكليني ، ترجمة المصطفوي، منشورات فرهنگ اسلامى ، طهران .

١١ ـ **أصول الفقه** ، محمد رضا المظفر ، منشورات مكتب النشر الإسلامي ـ قم ، الطبعة الثالثة : ١٣٦٨ هـ ش .

١٢ ـ **امامت وانسان كامل از ديدگاه امام خمينى**، تبيان، الكراسة الثانية والأربعون، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني ، طهران ، الطبعة الأولى : ١٣٨١ هـ ش .

١٣ ـ **أنوار الولاية** ، آية الله الملا زين العابدين الگلبايگاني ، سنة ١٤٠٩ هـ .

١٤ ـ **الإمام علي بن أبي طالب** عليه السلام **مَن حبه عنوان الصحيفة** ، أحمد الرحماني الهمداني ، مركز منير الثقافي ـ طهران ، ١٣٧٥ هـ ش .

١٥ ـ **الإرشاد**، الشيخ المفيد، مؤسسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأولى: ١٤١٣ هـ.

١٦ ـ **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**، لابن عبد البر القرطبي، دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥ هـ.

١٧ ـ **الاحتجاج**، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٤٠٣ هـ.

١٨ ـ **الحدائق الناضرة**، الشيخ يوسف البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بالحوزة العلمية ـ قم المقدسة.

١٩ ـ **الجنة العاصمة**، آية الله السيد حسن الميرجهاني الطباطبائي، منشورات صدر ـ طهران، ١٣٩٨ هـ.

٢٠ ـ **الصراط المستقيم**، علي بن يونس النباطي العاملي البياضي، المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٣٨٤ هـ.

٢١ ـ **الغدير**، العلامة الأميني، منشورات الإمام أمير المؤمنين، الطبعة الرابعة ـ طهران.

٢٢ ـ **الغيبة**، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم، ١٤١١ هـ.

٢٣ ـ **الغيبة**، محمد بن إبراهيم النعماني، مكتب الصدوق ـ طهران، ١٣٩٧ هـ.

٢٤ ـ **الفصول العلية في فضائل أمير المؤمنين** عليه السلام، الحاج الشيخ عباس القمي، مؤسسة في طريق الحق ـ قم، الطبعة الأولى: ١٣٦٥ هـ ش.

٢٥ ـ **القطرة في بحر مناقب النبي والعترة**، آية الله السيد أحمد المستنبط، منشورات حاذق ـ قم، الطبعة الأولى: ١٤٢١ هـ.

٢٦ ـ **بحار الأنوار**، العلامة محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء ـ بيروت.

٢٧ ـ **بصائر الدرجات**، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار القمي، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٤ هـ.

٢٨ ـ **بيت الأحزان**، الشيخ عباس القمي، مطبعة سيد الشهداء ـ قم، الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ.

٢٩ ـ **تحف العقول**، حسن بن علي الحراني، منشورات الإسلامية ـ طهران، ١٤٠٠ هـ.
٣٠ ـ **تفسير البرهان**، السيد هاشم البحراني، مؤسسة البعثة ـ طهران، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
٣١ ـ **تفسير التسنيم**، آية الله الجوادي الآملي، منشورات إسراء ـ قم، الطبعة الأولى: ١٣٧٨ هـ ش.
٣٢ ـ **تفسير سورة يس**، محاضرات آية الله المظاهري في الحرس الثوري ـ قم.
٣٣ ـ **تفسير الصافي**، الملا محسن الفيض الكاشاني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت، ١٤٠٢ هـ.
٣٤ ـ **تفسير العياشي**، محمد بن مسعود العياش السمرقندي، منشورات العلمية الإسلامية ـ طهران، ١٣٨١ هـ ش.
٣٥ ـ **تفسير القمي**، علي بن إبراهيم القمي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٤١٢ هـ.
٣٦ ـ **تفسير كنز الدقائق**، محمد بن محمد رضا المشهدي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامية ـ طهران، ١٤١١ هـ.
٣٧ ـ **تفسير مجمع البيان**، الفضل بن الحسن الطبرسي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي ـ قم، ١٤٠٣ هـ.
٣٨ ـ **تفسير الأمثل**، آية الله مكارم الشيرازي وجمع من العلماء، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، الطبعة الثانية والثلاثون: ١٣٧٤ هـ ش.
٣٩ ـ **تفسير نور الثقلين**، عبد علي بن جمعة الحويزي، منشورات إسماعليان ـ قم.
٤٠ ـ **التوحيد**، الشيخ محمد بن علي بن حسين بن بابويه القمي، مكتبة الصدوق ـ طهران، ١٣٧٨ هـ.
٤١ ـ **تهذيب الأحكام**، الشيخ الطوسي، دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت.
٤٢ ـ **ثواب الأعمال**، الشيخ الصدوق، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

٤٣ ـ **حديقة الشيعة**، أحمد بن محمد المقدس الأردبيلي، منشورات گلي ـ طهران، الطبعة الرابعة : ١٣٧٧ هـ .
٤٤ ـ **حصون**، فصلية تُعنى بحياة قائد الثورة الإسلامية وفكره السياسي، مركز التحقيقات الإسلامية التابعة لممثلية الولي الفقيه في الحرس الثوري ـ قم، كلية الشهيد المحلاتي .
٤٥ ـ **در محضر علامه طباطبائي**، محمد حسن رخشاد، منشورات سماء القلم ـ قم، الطبعة الرابعة : ١٣٨٥ هـ ش .
٤٦ ـ **دلائل الإمامة**، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤسسة البعثة ـ قم .
٤٧ ـ **رساله نوين**، الإمام الخميني قدس سره، مؤسسة انجام كتب ـ طهران، الطبعة الثانية : ١٣٦١ هـ ش .
٤٨ ـ **روضة المتقين**، العلامة محمد تقي المجلسي، منشورات مؤسسة الثقافة الإسلامية ـ قم، ١٣٩٣ هـ .
٤٩ ـ **رياحين الشريعة**، الشيخ ذبيح الله المحلاتي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ١٣٦٩ هـ .
٥٠ ـ **زمهر افروخته**، السيد علي الموسوي الطهراني، منشورات سروش ـ طهران، الطبعة الأولى، ١٣٨١ هـ ش .
٥١ ـ **سفينة البحار**، الحاج الشيخ عباس القمي، منشورات الأسوة ـ قم وطهران، الطبعة الثانية : ١٤١٦ هـ .
٥٢ ـ **سيرى در صحيحين**، محمد صادق النجمي، قم، ١٣٥١ هـ ش .
٥٣ ـ **سيره پيشوايان**، مهدي پيشوائي، مؤسسة الإمام الصادق (ع) ـ قم، الطبعة الثالثة : ١٣٧٥ هـ ش .
٥٤ ـ **شبهاى پيشاور**، المرحول سلطان الواعظين الشيرازي، دار الكتب الإسلامية ـ طهران، الطبعة ١٢ .
٥٥ ـ **شجره طوبى**، الشيخ محمد مهدي الحائري المازندراني، المكتبة الحيدرية ـ قم، الطبعة الأولى : ١٣٧٨ هـ .

٥٦ ـ **شرح نهج البلاغة**، ابن أبي الحديد المعتزلي، دار إحياء الكتب العربية ـ مصر، ١٣٨٥ هـ.

٥٧ ـ **شناخت‌نامه اهل بيت**، المعاونيـة الثقافيـة للمجمع العالمي لأهـل البيت عليهم السلام، ١٣٨٣ هـ ش.

٥٨ ـ **شواهد التنزيل**، الحاكم الحسكاني، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ١٣٩٢ هـ.

٥٩ ـ **الطرائف**، السيد ابن طاوس، مطبعة خيام ـ قم، ١٤٠٠ هـ.

٦٠ ـ **طهارت روح**، نماز وعبادت در آثار شهيد مطهري، حسين واعظي نژاد، ستاد اقامه نماز ـ قم، الطبعة الأولى، ١٣٧٤ هـ ش.

٦١ ـ **رجال الكشي**، محمد بن عمر الكشي، منشورات جامعة مشهد، ١٣٤٨ هـ ش.

٦٢ ـ **عيون أخبار الرضا (ع)**، الشيخ الصدوق، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف، ١٣٩٠ هـ.

٦٣ ـ **غرر الحكم ودرر الكلم**، عبد الواحد التميمي الآمدي، ترجمة محمد علي الأنصاري القمي، الطبعة الثامنة ـ قم.

٦٤ ـ **فاطمة الزهراء أم أبيها**، العلامة الأميني، منشورات الاستقلال ـ طهران، الطبعة الأولى: ١٣٧٦ هـ ش.

٦٥ ـ **فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى**، الشيخ أحمد الرحماني الهمداني، منشورات منيز ـ طهران، الطبعة الثالثة: ١٣٧٨ هـ ش.

٦٦ ـ **قادتنـا كيف نعرفهم**، آية الله السيـد محمد هادي الميلاني، مطبعة مهر ـ قم، مؤسسة آل البيت، الطبعة الثانية، ١٤١٣ هـ.

٦٧ ـ **كاشف الأسرار**، المولى نظرعلي الطالقاني، مؤسسة رسا ـ طهران، الطبعة الأولى: ١٣٧٣ هـ ش.

٦٨ ـ **كتاب سليـم بن قيس** (أسرار آل محمد)، سليـم بن قيس الكوفي، دار الكتب الإسلامية ـ قم.

٦٩ ـ **كنز الفوائد**، أبو الفتح محمد بن عثمان الكراجكي، مكتبة مصطفوي ـ قم.
٧٠ ـ **مدينة المعاجز**، السيد هاشم البحراني، مؤسسة المعارف الإسلامية ـ قم، الطبعة الأولى: ١٤١٤ هـ.
٧١ ـ **مرآة العقول**، العلامة محمد باقر المجلسي، دار الكتب الإسلامية ـ قم، ١٣٦٣ هـ ش.
٧٢ ـ **مستدرك الوسائل**، الميرزا حسين النوري الطبرسي، مؤسسة آل البيت ـ قم، ١٤٠٧ هـ.
٧٣ ـ **مسند الجواد** (ع)، عزيز الله العطاردي، مؤتمر الإمام الرضا العالمي، ١٤١٠ هـ.
٧٤ ـ **مصباح الشريعة**، المنسوب إلى الإمام الصادق (ع)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٠ هـ.
٧٥ ـ **مصباح الهداية والولاية**، آية الله السيد علي الموسوي البهبهاني، مطبعة سلمان الفارسي ـ قم، الطبعة الرابعة: ١٤١٨ هـ.
٧٦ ـ **معاني الأخبار**، الشيخ الصدوق، منشورات الإسلامية ـ قم، ١٣٦١ هـ ش.
٧٧ ـ **معجم أحاديث الإمام المهدي (ع)**، الشيخ علي الكوراني، مؤسسة المعارف الإسلامية، ١٤١١ هـ.
٧٨ ـ **مكيال المكارم**، آية الله السيد محمد الموسوي الأصفهاني، منشورات مدرسة الإمام المهدي ـ قم، ١٤٠٤ هـ.
٧٩ ـ **مناقب الخوارزمي**، الخطيب الخوارزمي، مطبعة النجف الأشرف (افست) طهران.
٨٠ ـ **منتهى الآمال**، الحاج الشيخ عباس القمي، منشورات جاويدان علمي.
٨١ ـ **منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة**، العلامة الميرزا حبيب الخوئي، منشورات المكتب الإسلامي.
٨٢ ـ **مهج الدعوات**، السيد ابن طاووس، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.
٨٣ ـ **نشان از بى نشانها**، علي المقدادي الأصفهاني، منشورات آداب.

٨٤ ـ **وسائل الشيعة**، الشيخ الحر العاملي، منشورات المكتب الإسلامي ـ طهران، الطبعة الخامسة، ١٣٩٨ هـ.

٨٥ ـ **وصيت‌نامه سياسى الهى امام خميني**.

٨٦ ـ **ولايت المتقين**، زين العابدين بن حسين الطباطبائي الأبرقويي.

٨٧ ـ **ولايت كليه**، آية الله الحاج السيد حسن الميرجهاني، منشورات الهادي ـ قم، الطبعة الأولى: ١٣٨٢ هـ ش.

٨٨ ـ **ينابيع المودة**، السيد أحمد سليمان القندوزي، مطبعة إسلامبول، ١٣٠٢ هـ.

***



# فهرس مواضيع الكتاب

## الفصل الرابع

## الولاية التكوينية لأهل البيت عليهم السلام



## الفصل الخامس

## الإجابة عن الشبهات المرتبطة بالولاية التكوينية

# برخی از آثار و منشورات
# مجمع جهانی شیعه شناسی




| نام کتاب | زبان | نام مؤلف | سال چاپ | نوع جلد | تعداد صفحه | قطع | قیمت (تومان) |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| امامان شیعه(ع)، ازدیدگاه اهل سنت | فارسی | قربانعلی محقق ارزگانی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۴۸۰ | وزیری | ۹۵۰۰ |
| سیمای شیعه از نگاه اهل بیت(ع) | فارسی | سید جعفر صادقی فدکی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۵۹۲ | وزیری | ۱۱۵۰۰ |
| فصل سرخ اندیشه | فارسی | ش.زهرایی متین | ۱۳۸۶ | شومیز | ۱۶۹ | وزیری | ۲۵۰۰ |
| ریشه‌های تاریخی تشیع در ایران | فارسی | محمد علی حاجیلو | ۱۳۸۶ | شومیز | ۲۰۰ | وزیری | ۳۰۰۰ |
| آسیب شناسی جامعه ازدیدگاه قرآن | فارسی | دکتر احمد مهدی زاده | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۲۴۷ | وزیری | ۴۹۵۰ |
| آسیب شناسی جامعه ازدیدگاه قرآن | فارسی | دکتر احمد مهدی زاده | ۱۳۸۶ | شومیز | ۲۴۷ | وزیری | ۳۷۰۰ |
| سیمای صحابه در قرآن و احادیث متواتره | فارسی | ابوالعباس ابن کمال | ۱۳۸۷ | گالینگور | ۲۵۶ | وزیری | ۵۰۰۰ |
| سیمای صحابه در قرآن و احادیث متواتره | فارسی | ابوالعباس ابن کمال | ۱۳۸۷ | شومیز | ۲۵۶ | وزیری | ۳۸۵۰ |
| شیعیان عراق | فارسی | علی نادری دوست | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۳۴۴ | وزیری | ۶۹۰۰ |
| راه هدایت | فارسی | محبوب ابراهیم زاده سرابی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۶۵۰ | وزیری | ۱۳۰۰۰ |
| امام علی(ع) و سقیفه | فارسی | معصومه قره داغی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۱۵۱ | وزیری | ۲۳۰۰ |
| امام شناسی | فارسی | استاد حسین گنجی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۴۱۰ | وزیری | ۸۲۰۰ |
| رسول اعظم(ص) از دیدگاه امام علی(ع) | فارسی | دکتر سید محمد مرتضوی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۳۲۷ | وزیری | ۶۵۰۰ |
| اصحاب ایرانی ائمه اطهار(ع) | فارسی | دکتر سید حسن قریشی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۳۶۰ | وزیری | ۷۲۰۰ |
| دنیا و ارتباط آن با آخرت از نگاه قرآن | فارسی | دکتر فضل الله روزبهی | ۱۳۸۷ | گالینگور | ۴۱۲ | وزیری | ۸۲۵۰ |
| مصائب آل محمد(ص) | اردو | ترجمه : مولانا سید اختررضوی (محمد مهدی اشتهاردی) | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۴۲۹ | وزیری | ۸۵۰۰ |
| الحجج البالغة في حقانية التشيع | عربی | عطایی اصفهانی | ۱۳۸۶ | گالینگور | ۴۴۸ | وزیری | ۹۰۰۰ |
| جزئية الشهادة الثالثة في الاذان و الاقامة | عربی | عبدالهادی کرمی | ۱۳۸۷ | گالینگور | ۴۶۳ | وزیری | ۹۳۰۰ |
| قرة العين بحديث الثقلين | عربی | الشيخ زكريا بركات درويش | ۱۳۸۹ | گالینگور | ۲۲۸ | وزیری | ۶۰۰۰ |
| منتخب مفاتیح الجنان با اصلاح و اضافات | عربی | استاد انصاری بویراحمدی | ۱۳۸۹ | شومیز | ۲۰۸ | جیبی | ۱۶۰۰ |
| بزرگترین مصیبت عالم | فارسی | محمد خادمی | ۱۳۸۹ | شومیز | ۲۸۰ | وزیری | ۴۰۰۰ |
| آوای ولایت | فارسی | مجید جعفرپور | ۱۳۸۹ | شومیز | ۴۰ | جیبی | ۴۵۰ |
| مناجات الخاشعين | عربی | استاد انصاری بویراحمدی | ۱۳۸۳ | شومیز | ۵۹ | جیبی | ۷۰۰ |